

معجم أدباء الأطباء

تأليف

محمد الخليلي

الجزء الثاني

طبع على نفقة صاحب مطبعة الغري

١٣٦٥ — ١٩٤٦

مطبعة الغري
النجف

محمد الخليلي



الجزء الثاني

طبع على نفقة صاحب مطبعة الغري
مرزه الخليلي

١٣٦٥ — ١٩٤٦

مطبعة الغري
النجف



مقدمة

بالنظر لما قوبلت به من حسن الظن والاقبال من مختلف الأعلام والأدباء والمؤلفين ، وما لاقيت من تشجيعهم واطرائهم بعد صدور الجزء الأول من كتابي (معجم أدباء الأطباء) فقد حفزني ذلك الى اخراج هذا الجزء الثاني بعد الاعتماد على الله ، والأمل بمؤازرة الاساتذة المحترمين والاخوان الكرام بالرغم من صعوبة الطبع وغلاء الورق ، والعناء الشديد الذي يعرفه كل مؤلف مني بطبع تأليفه ، أو أشرف على تأليف غيره في مثل هذه الأيام .

وما ذلك الثناء ، وحسن الظن إلا لطف ، وتكرم ، أعرب عن سمو نفوس اولئك الأعلام الافاضل والاساتذة الكرام ، وعظيم تقديرهم للعلم والعرفان .

وعلى كل حال ، فان كل من عرف هول البحث والتنقيب المجهد واطلع على مثل هذا التأليف ـ الأول من نوعه ـ وشعر بانه لا يقوم الا على مصادر مبعثرة ولا يستقي إلا من الآثار المخطوطة ، والوقائع المنسية على الأغلب ايقن ان تلك المصادر لم تستوف سائر نوابغ هذه الفصيلة الخاصة بالبحث في هذا الكتاب .

وعليه فان هذه الخواطر بمجموعها هي التي دفعتني الى قيامي بتأليف الجزء الأول ، واتباعه بهذا الجزء الثاني ومن الله استمد التوفيق

المؤلف

محمد الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢٤ ــ علي الآمدي سيف الدين * ٥٥١ ـ ٦٣١ ﻫ

علي بن أبي علي (١) محمد بن سالم التغلبي الآمدي الشهير بسيف الدين من أهل آمد ولد بها سنة ٥٥١ ﻫ وتوفي في دمشق سنة ٦٣١ ﻫ كان أوحد الفضلاء العقلاء وسيد الحكماء والاطباء أذكى أقرانه وأسبقهم في الحكمة، وأقدمهم في الطب، وكان عارفاً بالأمور الشرعية متديناً، بهي الصورة فصيح الكلام وكانت له في الأدب المنزلة الرفيعة.

قال القفطي: قرأ على مشايخ بلده الفقه والأصول على مذهب الشافعي ثم رحل الى العراق، وأقام في الطلب ببغداد مدة وصحب ابن بنت المنى المكفوف وأخذ عنه وأجاد عليه الجدل والمناظرة وأخذ علم الأوائل عن جماعة من نصارى الكرخ ويهودها، وتظاهر بذلك فجفاه العلماء وتحاموه ووقعوا في عقيدته فغادر العراق الى مصر فدخلها في ذي القعدة سنة ٥٩٢ ﻫ ونزل في المدرسة المعروفة (بمنازل العز) التي كان يتولى تدريسها، الشهاب الطوسي وناظر بمصر وحاضر وأظهر بها تصانيفه في علوم الأوائل ونقلت عنه وقرأها عليه من رغب في شيء من ذلك، وقرىء

(*) دائرة معارف البستاني، القفطي، عيون الانباء

(١) وعن القفطي علي ابن علي بن أبي علي

عليه تصنيفه في أصول الدين وأصول الفقه ثم خرج من مصر الى الشام واستوطن دمشق وتولى بها التدريس ، وقيل كان بالجامع الظاهري ، ولم يزل على ذلك الى سنة ٦٣١ هـ وفى هذه السنة استولى الملك الكامل على مدينة آمد فاخبر أن صاحبها الذي انتقلت عنه كان قد راسل السيف الآمدي سراً أن يسير اليه ويوليه قضاء آمد ، فبعث عليه وسأله فانكر كونه رُوسِل ولكنه رفعت يده عن المدرسة وتعطل فاقام بمنزله شهوراً قليلة ومات في تلك السنة .

قال البستاني فى دائرة المعارف : ولم يكن احفظ منه لهذه العلوم (اي علوم الأوائل) ولما اشتهر منه فضله في مصر ودرس عليه الناس وانتفعوا به حسده جماعة من فقهاء البلاد وتعصبوا عليه ونسبوه الى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح دمه ، وقيل انهم قدموا المحضر الى واحد من العقلاء ليضع هو ايضاً خطه فيه على ما كتبوا فكتب .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه　　فالقوم أعداء له وخصوم

فلما رأى سيف الدين ذلك خرج من مصر واستوطن حما ، وقيل انه خدم الملك المنصور ناصر الدين ابا المعالي صاحب حما وكانت له عنده المنزلة السامية ولما توفى توجه الى دمشق قاصداً الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر أيوب فنال عنده إكراماً وتعظيما ، وولاه التدريس فى المدرسة العادلية فكان يبهر من حسن كلامه وغوصه الى حقائق الأمور الحكمية ودقائقها وجزئيات الاعمال الطبية وكلياتها .

قال ابن أبي أصيبعة : وقد حضرت عنده في كتابه (رموز الكنوز) من تصنيفه ، ولم يزل مقيما فى دمشق الى أن توفي بها .

مؤلفاته

قال القفطي : وتصانيفه في الآفاق مرغوب فيها ، فمن ذلك (كتاب الباهر)

في علوم الأوائل والأواخر خمس مجلدات وكتاب ابكار الأفكار في علم الكلام ثم اختصره في كتاب (منائح القرائح) وكتاب دقائق الحقائق وكتاب لباب اللباب وكتاب منتهى السؤل وكتاب رموز الكنوز وغاية المرام وغير ذلك .

ادبه وشعره

اجمع أكثر المؤرخين والمترجمين ان له في الأدب المنزلة الرفيعة مع فصاحة لفظ وبلاغة معنى وقوة مبنى ، وذكروا له جيد النظم والنثر ومن نظمه ما نقله ابن أبي أصيبعة عن ولده جمال الدين محمد وهوقوله مادحاً أحدهم :

فلا فضيلة إلا من فضيلته ... ولا غريبة إلا وهو منشاها
حاز الفخار بفضل العلم وافتخرت ... به الممالك لما ان تولاها
فهو الوسيلة في الدنيا لطالبها ... وهو الطريق الى الزلفى لاخراها

وله شعر كثير تجده في مفصلات الكتب

١٢٥ — علي بن حزم الظاهري * ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية وجده يزيد هذا هو الذي أسلم.

قال الاستاذ يوسف سر كيس في معجم المطبوعات أبو محمد ابن حزم علي بن أحمد الظاهري الاندلسي أصل آبائه من قرية (منت ليشم) من اقليم الزاوية من من كور (لبله) من عرب الاندلس سكن هو وأبوه أحمد في قرطبة وكان شافعي المذهب ، وكانت له الرياسة في الوزارة ولابيه من قبله لكنه نبذ هذه الطريقة ، وأقبل على قراءة العلوم وأوغل في الاستكثار من علوم الشريعة وصنف كثيراً ومعظمها في الأصول الفقهية وفروعها على مذهب داود بن خلف الاصفهاني ، ومن قال بقوله من أهل الظاهر ، فشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه لدى الملوك فابعدوه

(*) معجم المطبوعات ، نفح الطيب ، دائرة معارف القرن العشرين

عن وطنه حتى توفي في البادية ، فانه كان كثير الوقوع بالعلماء لا يكاد أحد يسلم من لسانه ، حتى نفرته الناس .

وكان أديباً شاعراً ، وطبيباً ماهراً ، له في الطب رسائل وفي الأدب كتب وقيل ان الناس كانت تنفر منه لان لسانه لا يكاد يسلم منه أحد حتى قال فيه أبو العباس ابن العريف : لسان ابن حزم وسيف الحجاج الثقفي شقيقان :

قال الاستاذ فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين : وكان أديباً شاعراً طبيباً وبالجملة فهو نسيج وحده ، لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد ، والوقوع بالسلف الذي أثار عليه الانتقاد ، قال العلامة أحمد المقري في نفح الطيب :

كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وكان شافعي المذهب ثم صار ظاهرياً ، ووضع الكتب في هذا المذهب ، وثبت عليه حتى مات .

وقال الذهبي : كان ابن حزم فارسي الأصل اندلسي قرطبي ظاهري ، وكان المنتهى في الذكاء وحدة الذهن ، وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر ، وكان عمره ٧٢ عاماً .

مؤلفاته

لقد قيل ان تآليفه وكتبه في الفقه والحديث والأصول والملل والنحل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والردود ، قد بلغت أربعمائة مجلد وتشتمل على قريب ثمانين ألف ورقة ، وهذا شيء ما علم لأحد ممن كان في رواة الاسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

ومن أشهر تآليفه هي كما ذكرها الذهبي : الصادح والرادع ، وحديث الموطأ ، وأخلاق النفس ورسائل في الطب وذكر له الاستاذ فريد وجدي : كتاب نقط العروس ، جمع فيه كل غريبة ونادرة وهو مفيد جداً ، وغير ذلك من المؤلفات القيمة النافعة مثل كتاب ، جمهرة النسب في معرفة قبائل العرب ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب طوق الحمامة في الأدب الى غير ذلك .

أدبه وشعره

كان ابن حزم مع شدة ولعه وشغفه بطلب العلوم وانصرافه الى ناحيتها كاملا أديباً وشاعراً رقيق الطبع وناظماً مجيداً كما انه كان ناثراً جيد الاسلوب ، ساحراً في مراسلاته وكتابته ، قال الاستاذ سعيد الافغاني في رسالته ابن حزم الاندلسي : هو شاعر فحل مطبوع قبل أن يكون فقيهاً وقبل أن يكون عالماً والادب هبته الاصلية والعلم طارىء عليه وانه على كل حال في الطليعة من بلغاء الاندلس شعراً ونثراً .

فمن نظمه مخاطباً قاضي الجماعة في قرطبة متحمساً في شعره .

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو انني من جانب الشرق طالع ... لجد على ماضاع من ذكري النهب

ولي نحو آفاق العراق صبابة ... ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب

فان ينزل الرحمان رحلي بينهم ... فحينئذ يبدو التأسف والكرب

فكم قائل أغفلته وهو حاضر ... وأطلب ما عنه تجيء به الكتب

هنالك تدري أن للبعد قصة ... وان كساد العلم آفته القرب

فيا عجباً من غاب عنهم تشوقوا ... له ودنو المرء من دارهم ذنب

الى آخرها وقال عندما احرق المعتضد بن عباد كتبه في اشبيلية :

دعوني من احراق رق وكاغذ ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدرى

فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل ان انزل ويدفن في قبري

وذكر له محب الدين الخطيب كما في مجلة الزهراء : ان المعري على ما قيل كتب له هذا البيت مستفهما استفهاماً انكارياً وهو .

يد بخمس مئين عسجد فديت ... ما بالها قطعت في نصف دينار

فأجابه ابن حزم بقوله :

عز الامانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فاعرف حكمة الباري (١)

واجتاز ذات يوم هو وابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة اشبيلية فلقيهما شاب جميل الوجه ، فقال ابن حزم هذه صورة حسنة ، وقال ابن عبد البر لعل ما سترته الثياب ليس كذلك ، فارتجل ابن حزم أبياتاً وقد أظهر فيها مذهبه حيث قال :

وذي عذل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن اجل وجه لاح لم ترغيره ولم تدر كيف الجسم انت عليل
فقلت له اسرفت في اللوم فاتئد فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تدر اني ظاهري وانني على ما أرى حتى يقوم دليل

ومن بديع تشبيهاته قوله :

كان الحيا والمزن والروض عاطراً دموع وأجفان وخد مورّد

وله غير ذلك شعر كثير لا يسعنا ذكر أكثر مما ذكرنا خوف الاطالة .

١٢٦ — على بن احمد بن هبل الخلاطي (*) ٥٣٥ـ٦١٠ هج

علي بن احمد بن علي بن هبل مهذب الدين البغدادي الخلاطي الاديب الطبيب .

ولد ببغداد بباب الازج بدرب ثمل يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ٥٣٥ كما ذكره صاحب كشف الظنون اذ قال انه توفى سنة ٦١٠ عن ٧٥ عاماً ولكن صاحب معجم الاطباء ذكر تولده سنة ٥١٥ هج والاول اصح وفي بغداد نشأ وقرأ الادب على ابي القاسم اسماعيل ابن احمد السمرقندي ، وعلى ابن الخشاب النحوي ، وقرأ الطب على هبة الله ابن ملكا ابي البركات الشهير بالفضل والطب ثم غادر بغداد الى الموصل واستوطنها مدة ثم انتقل الى آذربايجان ومنها الى خلاط ، واقام فيها عند

---

(١) وفي مقتطف سنة ١٩٣٠ ان الجواب لداعي الدعاة وقيل لأحد فقهاء بغداد وقيل للسيد المرتضى ره (*) كشف الظنون ، دائرة المعارف الاسلامية معجم الأطباء ، مطرح الانظار الفارسية .

صاحبها (شاه ارمن) طبيباً ونديماً حيث صادف عنده احتراماً ونال مقاماً سامياً .

قال صاحب مطرح الانظار : وهناك قرأ عليه الناس الحكمة والادب ونال اموالا طائلة ، ومن اجل هذه الاقامة دعي (بالخلاطي) وايده على ذلك صاحب كشف الظنون ، ولكنه بعد ذلك بمدة غادر خلاط ورجع الى الموصل حيث بقي فيها حتى مات .

والسبب فى هذا الانتقال مع ما كان عليه من المكانة والسعادة هو ان احد (الطشت دارية (١) سأله يوماً بحضرة الملك وقد نظر الى قارورة : لِمَ لا تذوقها يا حكيم ؟ فسكت ولم يجبه ، ولما انفصل عن المجلس قال للطشت دار أكان قولك هذا من قول غيرك ام خطر لك ؟ فقال لا بل خطر لي لاني كنت سمعت ان استذواق القارورة من شروط اختبارها . فقال له نعم ولكن لا فى كل مرض ، وانت قد أسأت بهذا القول بحضرة الملك لانه قد يظن اني اخللت بطبي عنده . ثم انه اخذ يعمل للانتقال خوفاً من عواقب امثال هذه الحركات لانه تصور أن معالجة الملوك بل والاتصال بهم موقوف سوء عاقبتها على اقل زلة وهذا عمل لا يرتضيه العقلاء ، وهكذا عمل حتى انتقل الى الموصل وبقي فيها حتى كفّ بصره قبل موته بسنتين بسبب ماء نزل فى عينيه فلزم بيته وكان يجلس على كرسي ، ويقصده تلاميذه لتدريس الطب والمرضى للمداواة حتى توفي ودفن بظاهر البلد بباب الميدان قريباً من قبر القرطبي .

وذكر في دائرة المعارف الاسلامية : انه كان لابن هبل ولد شاعر طبيب وهو شمس الدين ابو العباس احمد بن هبل احترف الطب كأبيه في آسيا الصغرى ببلاط (كيكاوس) السلجوقي وهناك توفي ، وقد مضت ترجمته في حرف الألف من كتابنا هذا .

(١) أي خادم الملك الخاص .

مؤلفاته

ان المشهور من مؤلفاته هو : كتاب الطب الجمالي الذي صنّفه للوزير جمال الدين المعروف (بالجواد) وكتاب المختار اربع مجلدات وهو كتاب جليل القدر مشحون بنفائس الجواهر وقد كان مرجعاً عظيماً للاطباء والمعالجين حسب قوانين الطب اليوناني القديم ، ولم نعثر له على غير هذه من المؤلفات .

ادبه وشعره

اتفق اكثر المؤرخين والمترجمين ان ابن هبل هذا كان اوحد وقته وعلامة زمانه في الطب والحكمة كما كان متميزاً في علم الادب ، وان له من الشعر الحسن والنظم البديع ما يجعله في مصاف الشعراء المجيدين ، وكان بليغ الكلام فصيحه حافظاً للقرآن على ظهر قلبه .

ومن نظمه متشوقاً للعراق وطنه .

أيا أثلات بالعراق ألفتها	عليك سلام لا يزال يفوح
لقد كنت جلداً ثاوياً بفنائها	وقد عاد مكتوم الفؤاد يبوح
فما أحسن الأيام في ظل أنسها	قبيل طلوع الشمس حين تلوح
وقد غرد القمري في غسق الدجى	وراح حمام في الاصيل ينوح
ذكرت الليالي بالفرات وطيبها	نطير لها شوقاً ونحن جموح

وقال ايضاً في ذلك :

أيا دوحة هام الفؤاد بذكرها	عليك سلام الله يادوحة الانس
رمتني النوى بالبعد منك وقربها	وقد كنت جاراً لاصقالك بالامس
فيا ليت اني بعد بُعد أحبتي	نقلت كريماً راضي النفس بالرمس
وإلا فليت الدهر يمكن منهم	بقبض حبال الوصل بالأنمل الخمس
اذا جال طرفي بالعراق وجوّه	كأني نظرت الأفق من مطلع الشمس
تبدل تقليبي اليراع مع القنا	بتقليب مطبوع يقلب بالفلس

كما اعتضت ثوباً كان للمجد شاملا ... بثوب رجال كان أشبه بالحبس
فمن لا يرى سوء القضاء وقدره ... بعقل رصين لا يقايس باللمس
يعش تائهاً فى الخلق أعمى مشوهاً ... بعيد المرامي أليق الخلق بالنكس

وقال متغزلا مجيداً فى جناسه :

لقد سبتني غداة الخيف غانية ... قد حازت الحسن فى دلّ لها وصبا
قامت تميس كغصن البان غازلة ... مع الاصائل ريحي شمأل وصبا
يكاد من رقة خصر تدل به ... يشكو لأردافها من ثقلها وصبا
لو لم يكن اقحوان الثغر مبسمها ... ماهام قلبي بحبيها (١) هوى وصبا

١٢٧ — الدكتور سيد علي بدر الدين * ١٩١٠ م — ٠٠٠

السيد علي بن السيد مصطفى آل بدر الدين وجيه بلده وشريف أسرته .

ولد سنة ١٩١٠ ﻫ فى النبطية وتلقى دروسه في مدرستها الرسمية ، ثم انتقل الى الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٢٦ حيث انهى دروسه الطبية فيها ونال شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٩٣٨ فكان هو العاملي الوحيد الذي حاز شهادة الدكتوراه من تلك الجامعة وهو الشيعي الفرد الذي جمع الى الطب الراقي أدباً سامياً ، ونظما بديعاً ..

نظم الشعر وهو في الخامسة عشر من عمره ودبج بمقالات أدبية جميلة كانت تنشرها صحف بيروت ومجلة العرفان الصيداوية ، ولما انقطع الى العلوم هجر النظم والنثر لانصرافه الى ذراسة العلوم والفلسفة ، وقد كان طبيباً ماهراً يفكر بعقل مجرد عن الشهوات بعيد عن المادة ومغرياتها ، وكان كل همه من كل قضيــة جوهرها ولبابها ، فهو حكيم بكل ما فى هذه الكلمة من معنى الحكمة والعقل ·

---

(١) قد قصد بحبيها · حبي لها ·

(*) لقد تفضل بارسال هذه الترجمة العلامة الكبير الشيخ سليمان الظاهر حفظه الله نقلناها مع تصرف في الترتيب حسب انموذج كتابنا .

طريقة تطبيبه

قال العلامة الشيخ سليمان الظاهر : ان طريقة تطبيبه تكاد تكون خاصة به وحده عمادها تعزيز معنوية المريض ، وبعث الثقة والطمأنينة الى نفسه وايجاد ايمان قوي صحيح فيه ، مع تقوية الارادة ، وأجهزة الدماغ في نفس المداوي ، ومن ثم كان يباشر بالعلاج الفني العلمي .

والدكتور بدر الدين كان على جانب عظيم من الفلسفة الاجتماعية ، ومعرفة الامراض النفسية العصبية ، والوقوف على أسرار الطبيعة البشرية ، كما كان يمتاز بدقــــة ملاحظاته في الطب ، وسرعة خاطره في التشخيص ، وبالمامه الواسع في الامراض النادرة فلا تفوته شاردة أو واردة عند ما يفكر في قضية امامه وهو الى جنب ذلك رجل أخلاق فاضلة واسع الصدر كبير الحلم ، ذكي الفؤاد محبوب محترم جداً

أدبه وشعره

أما نظمه فهو وان كان قليلا فهو كثير بالنسبة لعمره وكثرة انشغاله بالعلوم ومع ذلك فقد دل على خيال واسع المدى وشعور دقيق وحس مرهف لما حواه من أغراض سامية واخلاص أكيد ونظره في الحياة سام جليل ، على انه كاتب أكثر منه شاعراً ، واليك نموذجاً من شعره وذلك من قصيدة عصماء قالها في رثاء المغفور له العلامة الحجة الشيخ عبد الحسين الصادق العاملي .

طارت على ناقلات النحس بارقة ... تنعى الى العالمين العالم العلمـــا
هز الجزيرة والشامين مومضها ... والرافدين ورحب الهند والهرما
الشرق شاعره شل الزمان به ... للعرب كفاً وللاسلام فض فما

ومنها يقول :

الله أكبر والاسلام ما برحت ... أيامه ظلماً تغشى به ظلمـــا
ياليت شعري من الطلاع ثنيتها ... بدراً يجلي دجى الباساء والغمما
ما أحوج الناس للاحكام مثمرة ... بعادل مستبد قط ما رحمـــا

إلى ان يقول منها :

ان الشعوب اذا ما انتابها ألم ... كانت يد الجهل فيهم أذكت الألما
تجثهم داعيات الصلح من عبث ... كأن في سمعهم عن صوتها صمما
ليس التمدن ما كانت شتائمه ... ترجى دراكا على الأعلام والعلما
تمدن نحن كالأطفال في يده ... نخال فيها محاسي سمه دسما
ونقتل الوقت فيما لا يزيل أذى ... ولا يزيح أسى في الناس محتكما

وهكذا يسري بها على هـــذا النمط من النظم البديع السهل المتنع حتى يختمها بقوله :

انباؤك الصيد لا زالت مطالعهم ... مطالع المصلحين القادة الحكما

وله ايضاً من قصيدة بديعة ارسلها الينا العلامة الشيخ سليمان حفظه الله يقول فيها :

ألفت بنات الدوح اذ أدركت امري ... ولم أر مأمونا سواها علي سري
وطارحني الاشجان في الروض بكرة ... يغرد في افنان دوحته قمري
يقاسمـــني الهم الذي أنا حامل ... ويحمل ما حملت من نوب الدهر
كلانا على الاحباب يبدي شجونه ... فها هو في شدو وها أنا في شعري
على أنه في الليل يألف وكره ... واني في ليلي كمقتحم البحر
تقاذفـــني امواجه وخواطري ... كأمواجه أمسى يضيق بها صدري

وهكذا حتى يختمها بقوله :

أ أحبابنا هل ذلك العهد راجع ... وهل أنا ألقاكم اذا ضمني حشري

وله ايضا تحت عنوان (ذكرى حبيب) قوله :

تحت الأراكة بين غصن ورود ... كم بت رق معاصم وخدود
ما زال قلبي للصبابة ملعبا ... ونواظري وقفا على التسهيد
زمن الربيع مضى فهل من نسمة ... بعد الربيع تعيد نظرة عودي
آه على ذاك الزمان ومتعة ... للعيش في وصل الحسان الرود
ادركت معنى السحر من لحظاتها ... اذ قيدت قلبي بغير قيود

ازمان طير الانس كان مغرداً ... يوحي معاني الحب بالتغريد
يتلو على الأغصان آيات بها ... تهوى الغصون خواشعاً لسجود
واليوم لا طير هنالك صادح ... جذلا على المخضر من املود
أيام كان الطل ينثره الصبا ... فوق الزهور كلؤلؤ منضود
يهفو على وقفاتها فوق الربى ... صرعى الغرام كأننا في عيد

وهي طويلة الى ان يقول في ختامها .

آصال دهر شف جسمي ذكرها ... بالله يا تلك الاصائل عودي

واما كتاباته فهي المتفوقة لدى اهل هذا العصر معنى ولفظاً وأسلوباً ومرمى وفصاحة وبلاغة فانها تمثل الروح الوثاب ، والنفس الطموح ، وتفيض غيرة ، ويطغو بالنزعة الفلسفية ، وتدعو الى النهضة القومية على اسس الاصلاح الصحيح ، والأخلاق الفاضلة .

١٢٨ – علي بن جبرائيل المتطبب (*) ٠٠٠ـ١١٧٠ هج

علي بن جبرائيل المتطبب شيخ دار الشفا بالمارستان المنصوري رئيس الرؤساء والماهر الذي طود فضله مرسا ، اتقن فن الطب ، وشارك في غيره من الفنون وكان احد جلساء الامير رضوان كتخدا الجلفي ونديمه وانيسه وحكيمه وعندليب دوحته ، وهزار روضته ، وكان احد من منحته يمين ذلك الامير بالالوف . حتى اصبح بنعمته في جنات دانية القطوف . فمن بعض هباته الواصلة اليه وصلاته الحاصلة لديه ان وهب له بيتاً على بركة الازبكية رؤيته تسر النفوس الزكية زجاجي النواحي والارجاء من حيث التفت رائيه رأى منظراً بهجاً .

وقد مدحه احبابه منهم الشيخ مصطفى اسعد اللقيمي ، ومنهم الشيخ عبدالله

(*) معجم الاطباء ص ٣٠٠ عن عجائب الآثار للجبرتي

الادكاوي بما هو مذكور فى (الفوائح الجنانية فى المدائح الرضوانية) .

ومن شعر المترجم له قوله فى مخدومه المشار اليه :

يا شـادنا دنا ومر ... وراح يهزو (١) بالقمر
ومخجلا بان الربى ... والسمهري ان خطر
يا بابلي اللحظ يا ... من للعقول قد سحر
يا من باشراك الهوى ... للعاشقين قد أسر
الليث انت ان سطا ... انت الغزال ان نفر
يتيه فى عشـــاقه ... تيه الملوك بالظفر
عـذاره لما بدا ... سبى لربات الحجر
رأينـــه أكبرنه ... وقلن ما هذا بشـر
وخده لما اختشى ... بأن يصاب بالنظر
ارخى العذار ساتراً ... فصار يخطف البصر
لم يبق من حسن يرى ... لغيره ولم يـــذر
حاز البديع حسـنه ... وجامعاً حسن الصور
فشـــعره مطول ... والخصر منه مختصر
فى مصر اضحى مفرداً ... مثل العزيز المعتبر
غيث الندى رضوان من ... زماننا به افتخر
يعطى النوال باسماً ... ولم يشبه بالكدر
فالله واقيـه لما ... يخشاه من بأس وضر

وقال ايضاً فى ممدوحه الامير رضوان :

وأبيك ما رضوان إلا آية ... شهدت بذاك شهامة الافعال
يهب المواهب جمة بسماحـــة ... مترفعاً عن منة وملال

(١) كذا .

حتى يصير المعدمون برفده ... مترفعين على ذوي الاموال

وقال مهنئاً بشفاء ممدوحه ومؤرخاً :

وجه الزمان بك ابتهج ... وبدا بجبهته البلج

يا واحد العصر الذي ... فيه لقد جاء الفرج

وبه الهنا ارخ لنا ... صحت بصحته المهج

وله في ممدوحه هذا شعر كثير .

ولما تغيرت دولة مخدومه وتغير وجه الزمان عاد روض انسه ذابل الافنان ذا احزان واشجان لم يطب له المكان ، ودخل خبر عزه في خبر كان ، وتوفي سنة ١١٧٠ هجـ .

١٢٩ — علي بن الحسين ابو الفرج الاصفهاني (*)

٢٨٤ — ٣٥٦ هجـ

علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبدالرحمن بن مروان بن عبدالله بن مروان بن محمد بن مروان بن العاص بن امية بن عبد شمس القرشي الاموي الكاتب الشهير الاصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، ابو الفرج صاحب الاغاني وجده مروان بن محمد هو آخر خلفاء بني أمية الملقب بمروان الحمار .

ولد سنة ٢٨٤ هجـ وتوفي سنة ٣٥٦ هجـ عن ٧٢ عاماً كما ذكره ابن خلكان وقال انه كان قد خلط قبل ان يموت .

كان من اعيان ادباء بغداد ، وافراد مصنفيها ، روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، وكان عالماً بأيام الناس ، والانساب والسير ، وكان يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسندة ما لم ير قط مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر ، منها اللغة والنحو والخرافات والمغازي واشباهها

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ، والوافي للصفدي ، ومعجم الاطباء

وله معرفة بعلم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك .

قال الصفدي في الوافي وابن خلكان في الوفيات . وكان من خواص الوزير المهلبي ابي محمد ، وكان وسخاً في نفسه ، قذراً في ثوبه لم يكن يغسل دراعة يلبسها الى ان تبلى ، وكان له قط اسمه (يقق) مرض ذات يوم بمرض القولنج فكان يعالجه فحقنه مرة بيده ، وخرج غايطه على يديه ، وقد طرق الباب عليه بعض اصحابه الرؤساء فخرج اليهم وهو بتلك الحال ، واعتذر اليهم بشغله في امر القط عنهم حتى رجعوا مشمئزين من ذلك الوضع والحال .

وكان ذات مرة على مائدة الوزير المذكور فقدمت سكباجة ، ووافقت أبا الفرج سعلة فبدرت من فمه قطعة بلغم وقعت في وسط السكباجة . فقال لهم الوزير ارفعوها ، وهاتوا من هذا اللون بعينه في غير هذا الاناء ، ولم يبن عليه ، ولا ظهر في وجهه انكار ولا داخل ابا الفرج استحياء ولا انقباض .

مؤلفاته

وله كما ذكره ابن خلكان وغيره مصنفات مستملحة كثيرة اشهرها كتاب الاغاني وهو كتاب غني عن البيان لشهرته كما وقد وقع الاتفاق على أنه لم يعمل مثله في بابه ، ويقال انه جمعه في مدة خمسين سنة ، وحمله الى (سيف الدولة) الحمداني فاعطاه الف دينار من الذهب واعتذر اليه ، وحكى أن الصاحب بن عباد كان يحمل في اسفاره وتنقلاته ثلاثين جملا من كتب الادب للمطالعة ، ولما وصل اليه (كتاب الاغاني) لم يستصحب معه بعد ذلك غيره استغناءاً به عما سواه كما أن عضد الدولة كان لا يفارقه سفراً ولا حضراً .

ومن مصنفاته كتاب القيان ، وكتاب الاماء الشواعر ، وكتاب دعوة الاطباء واخبار جحظة البرمكي ؛ وكتاب مقاتل الطالبيين ، وكتاب الحانات وآداب الغرباء .

وفي تاريخ المؤيد : وصنف كتباً لبني أمية اصحاب الاندلس يومذاك وسيرها اليهم سرا ، وجاء منهم الانعام اليه سراً ايضاً ، ومنها كتاب نسب بني عبد شمس

وكتاب جمهرة النسب ، ونسب بني شيبان ، وكتاب المغنين الغلمان ، وغير ذلك .

وبالجملة فان مصنفاته ومؤلفاته يعسر حصرها وتجدا كثرها في مطولات الكتب

أدبه وشعره

اما ادبه فلا ادل عليه من كثرة تصانيفه وتآليفه الشهيرة التي لم تجد اديبا ولا عالما ولا كاملا ولا فاضلا الا وهو يطري عليها مع احتياجه اليها .

واما شعره فناهيك كونه يجمع بين اتقان العلماء ، وحسن الظرفاء ورقة الشعراء ومن ذلك ما يمدح به المهابي بقوله :

ولما انتجعنا لائذين بظله ... أعان وما عنّى ومنّ وما منّا

وردنا عليه مقترين فراشنا ... وردنا نداه مجدبين فاخصبنا

وله فيه من قصيدة يهنيه فيها بمولود جاء من سرية رومية :

أسعد بمولود أتاك مبارك ... كالبدر أشرق جنح ليل مقمر

سعد لوقت سعادة جاءت به ... أم حصان من بنات الأصفر

متبجح في ذروتي شرف العلا ... بين المهلب منتماه وقيصر

شمس الضحى قرنت الى بدر الدجى ... حتى اذا اجتمعت أتت بالمشتري

وقال يخاطبه من قصيدة :

فداؤك نفسي هذا الشتاء ... علينا بسلطانه قد هجم

ولم يبق من نشبي درهم ... ولا من ثيابي إلا رمم

يؤثر فيها نسيم الهواء ... وتخرقها خافيات الوهم

فانت العماد ونحن العفاة ... وأنت الرئيس ونحن الخدم

وله شعر كثير وكله مستملح عليه مسحة من العلم والظرف .

١٣٠ – علي بن الحسين بن هندو الفيلسوف *

٠٠٠ — ٤٢٠ هـ

علي بن الحسين بن محمد بن هندو أبو الفرج الفيلسوف الجليل والحكيم النبيل، والطبيب الماهر والاستاذ الفاضل والكاتب المصقع صاحب الذهن الثاقب والفكر الصائب كان من أكابر المتميزين فى العلوم الحكمية وفطاحل المتبحرين فى الطب والأدب، فهو طبيب عديم النظير ومعالج كثير الاصابة عظيم القدر لدى نطس الاطباء حتى كان كلامه مما يستشهد به لديهم كما استشهد ابن رضوان الطبيب المصري الشهير فى كتابه (المنافع) واثنى عليه ومثله ابن التلميذ وغيره.

ولد في الري بيئة أسرته ونشأ بها فقرأ القرآن وتفقه وتأدب على علمائها وأدبائها وكان حسن الخط مليح الكتابة.

وزد بغداد فى أيام أبي غالب الوزير فخر الملك ومدحه، واتصل بعضد الدولة وكان أحد كتاب الانشاء في ديوانه. ولبس الدارعة على رسم الكتاب في ذلك العصر ثم قرأ كتب الاوائل على أبي الحسن الوائلي [١] وتلمذ فى الطب على ابي الخير ابن الخمار الطبيب الشهير ولازمه ملازمة كثيرة فى الدرس والعلاج حتى برع في فنه وتقدم على أقرانه في الحكمة والفلسفة حتى أصبح ممن يشار اليه بالبنان فى كل علم وفن، وقد كان فى عصر القادر بالله العباسي وكانت وفاته سنة ٤٢٠ كما فى الفوات وأعلام الزركلي.

أخلاقه

لقد اشتهر ابن هندو برقة الطبع وبشاشة الوجه ودماثة الخلق مع الخاصة والعامة وكان حريصاً على معالجة المرضى وحفظ صحتهم لا يفرق بين الفقير والغني والعدو

(*) فوات الوفيات كشف الظنون، معجم الأدباء، دمية القصر

(١) وفي فوات الوفيات على علي بن الحسن العامري

والصديق وكان كثير الدعابة حتى في نظمه ونثره فمن دعابته الشعرية قوله لامير أصيب بالقولنج .

عجبت لقولنج هـذا الامير وأنى ومن اين قـد جاءه
وفي كل يوم له حقنـــة تفرغ بالزيت أمعـاءه

ومن صفاته انه كان لا يشرب الخمر بل يرى فى شربها قبحاً عقلياً وأدبياً ويعيب من يشربها غير انه كان يحضر مجالسها اضطراراً وموافقة لاصحابه أو سياسة ومداراة لبعض الأمراء والحـكام . وقد حضر يوماً مجلس الشراب عند أبي الفتح ابن أحمد كاتب قابوس فلم يطق مساعدتهم فى شربه فاسرّوا عليه فامتنع ، ثم أخذ ورقة وكتب فيها مرتجلا .

قد كفاني من المـدام شميم صالحتنى النهى وثاب الغريم
هي جهد العقول سمي راحاً مثلما قيل للذيع سلـــيم
إن تكن جنة النعيم ففيهـا من أذى السكر والخمار جحيم

فلما رآها أبو الفتح ضحك واعفاه من شربها وقال غير مرة فيها :

أرى الخمر ناراً والنفوس جواهراً فان شربت أبدت طباع الجواهر
فلا تفضحن النفس يوماً بشربهـا إذا لم تثق منها بحسن السرائر

وله مداعباً فيها بعض أصحابه بقوله :

أوصـى الفقيـه العسكـري بأن أكفّ عـن الشراب
فعصيته ان الشراب عمـارة البيت الخـراب

مؤلفاته :

لابن هندو مؤلفات كثيرة ، كلها حكمة وبلاغة قد ملئت بالآراء الثمينة العالية والأقوال المتينة الراقية ، رأيه فيها هو فصل الخطاب وكلامه فيها عين الصواب منها كتاب مفتاح الطب ، والمقالة المشوّقة فى المدخل الى علم الفلسفة والكلم الروحانية فى الحـكم اليونانية وكتاب أنموذج الحـكمة ورسالة الوساطة بين الزنا واللواطـة

هزليه وديوان شعر كبير وغير ذلك كثير .

ادبه وشعره :

قال الحموي : في معجم الأدباء أبو الفرج الكاتب المنشي الشاعر من أهل البراعة وأعيان أهل البلاغة له رسائل مدوّنة وفضائل ممتازة متعينة يفضله أهل بلده على كثير من أقرانه ، وكان أحد الكتاب في ديوان عضد الدولة .

وذكره الباخرزي في دمية القصر فقال : كأن الفضل لم يخلق إلا لأجله فهو أمير النظم والنثر بخيله ورجله ، وقد ظفرت بديوانه فلم أجنح للتجافي عنه وكنت فيه كالغواص ينفرد بذاته في طلب الفرائد (الى أن يقول :) وكتبت منه ماهو الماء الزلال والسحر الحلال . وأنشدني ولده أبو الشرف قوله يخاطب السيف :

ياسيف ان تدرك بحاشية اللوا	ثاراً جعلت له غرارك غارما
اجعل قرابك فضة مسبوكة	واضع عليك من الزبرجد قائما
كن للرؤوس فدتك نفسي ناثراً	كيما أكون لمدح طبعك ناظما
هل أرضعتك صياقلي ماء الردى	إلا لترضعني الدماء سواجما

وله يذكر طول أسفاره وبعده عن الوطن :

أطال بين البلاد تجوالي	قصور مالي وطول آمالي
إن رحت عن بلدة عدوت الى	أخرى فما تستقر أحمالي
كأنني فكرة الموسوس لا	تبقي مدى لحظة على حال

وقال في الصبر :

تصبرّ إذا الهم أسرى اليك	فلا الهم يبقى ولا صاحبه

وله أيضاً قوله :

فاذا رأيت الفضل فاز به الفتى	فاعلم بان هناك نقصاً خافيا
فالله أكمل قدرة من أن يرى	لكماله ممن تراه ثانيا

وله غير هذا شعر كثير لا يسعه هذا المختصر

• قال شيخنا الحجة الأميني : فى الجزء الرابع من (الغدير) أن ترجمة أبي الفرج ابن هندو تعزى فى عيون الأنباء وفوات الوفيات ومحبوب القلوب إلى يتيمة الدهر للثعالبي وكتاب اليتيمة خلو منها والمترجم فيه والده أبوالفرج الحسين بن هندو وجمل الثناء التي حكاها ابن أبي أصيبعة في عيونه عن الثعالبي لم توجد فى اليتيمة والله أعلم

١٣١ — علي بن خليفة رشيد الدين * ٥٧٩ - ٦١٦ ﻫ

علي بن خليفة بن يونس ابن أبي القاسم ابن خليفة الخزرجي من ولد سعد بن عبادة ذكره ابن أخيه الطبيب المؤرخ المعروف بابن أبي أصيبعة فقال :

عمي رشيد الدين علي بن خليفة ولد فى حلب بعد أبي باربع سنين و كان ذلك في سنة ٥٧٩ ﻫ ونشأ فى القاهرة ، وترعرع فيها وبعد أن قرأ القرآن الكريم وشيئاً من الحساب على المعلم أبي صالح بن أحمد بن ابراهيم المقدسي شرع في تعلم صناعة الطب وكان له من العمر ٢٥ سنة فدرسها على الشيخ جمال الدين أبي الحوافر ولازمه مدة طويلة قرأ فيها عليه كتب جالينوس الستة عشر ، ثم لازم معالجة المرضى فى المارستان لاتقان الصناعة ثم درس صناعة الكحل عند القاضي الطبيب نفيس الدين ابن الزبير ، وكان هو المتولي للكحل في المارستان وعالج معه فيه الكحل والجراحة وهو في أثناء ذلك يقرأ العربية والحكمة على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، واجتمع بالعلامة سديد الدين المنطقي وأخذ عنه شيئاً من الحكمة وكان قد أخذ علم النجوم من أبي محمد بن الجعدي كما انه أخذ صناعة الموسيقى عن أبي الديجور المصري ، وصفي الدين أبي علي بن التبان ، ثم صار يجتمع مع فطاحل العلوم وجهابذة الفنون ويأخذ عنهم كلما لديهم كمن يبحث عن درة ثمينة قد ضاعت منه في موضع غامض خفي ، وهم أمثال المصلح الكبير (البهاء) وشهاب الدين النقجواني وشجاع الدين أبي الحصن البغدادي ، وأشباههم ولازم الشيخ

(*) عيون الانباء ج ٢ ص ٢٤٦

زين الدين ابن معطي العلامة الشهير في العلوم العربية ، وبعده لازم الشيخ تاج الدين الكندي حتى أصبح شيخاً عظيما وعلماً من أعلام العلوم ، وفاضلا من فضلاء الفنون يشار اليه بالبنان وكان يتكلم باللغة الفارسية والتركية ويعرف تآليفهما

خدم الملك الكامل والمعظم مدة غير قصيرة ، ثم اجتمع في دمشق بشيخ الشيوخ صدر الدين ابن حمويه وألبسه خرقة التصوف وفى أثناء ذلك أرسل عليه الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل لمعالجة والدته فذهب اليها ولما برئت عاد الى دمشق ومرض فعادت اليه أمراض كانت تنتابه سابقاً وبقي مدة مريضاً فعالجه أعيان الأطباء حتى انقضت أيامه وتوفي سنة ٦١٦ هـ عن ٣٨ عاماً فى دمشق ودفن عند باب القراديس مع أبيه وأخيه :

مؤلفاته

إن اشهر مؤلفاته ، الموجز المفيد في الحساب وكتاب في المساحة وكتاب فى الطب وكتاب طب السوق ، مقارنة النبض الموسيقى وكتاب سبب خلق الجبال مع تعاليق ومجربات فى الطب وكتاب الاصطقصات .

كلماته المأثورة

إن للطبيب رشيد الدين كلمات مأثورة حكمية وحكميات مشهورة مرضية ، وهي كثيرة منها :

ما أحسن الصبر لولا النفقة عليه من العمر .

كلما انتظر الشيء استبعد زمانه واستقل مقداره .

الظلم فى الطباع وانما يترك خوف معاد أو سيف .

أصلح الميزان ثم زن به :

للامراض أعمار والعلاج يحتاج الى مساعدة الأقدار .

إذا بلغت الى رتبة المعلمين فلا تمنع مستحقاً وامنع سواه .

إذا ألزمت نفسك الخلق الجميل فقد أكرمتها .

المعدة القوية تقبل كل غذاء والنفس الفاضلة تقبل كل علم .

الى غير ذلك من الأقوال الحكيمة والحكم البليغة .

ادبه وشعره

لابن خليفة هذا أدب جم وشعر حسن مع طبع رقيق وأريحية ممتازة تعرفها في شعره قال ابن أخيه الطبيب ابن أبي أصيبعة : ومما سمعته من لفظه قوله :

يا صاحبي سلا الهوى وذراني	ما تطلبان من المشوق العاني
لا تسألاه عن الفراق وطعمه	إن الفراق هو الممات الثاني
نادى الحداة دنا الرحيل فودعوا	ففجعت في قلبي وفى خلاني
وسرت ركائبهم وقد غسق الدجى	فاضاء ممن سار فى الاضعان
ما كنت أعلم إن بعدك قاتلي	حتى فعلت وغرني سلواني
وبكيت بعدك بعد ذاك فلم يفد	أني وقد صار اللقاء أماني

وله قوله وهو فى بعلبك :

يا صاح قد ضاع نسكي	مذ صرت فى بعلبك
وكيف يسلم ديني	بعد افتتاني وهتكي
بكل أهيف لدن	القوام للبدر يحكي
يرنو بصارم لحظ	ما سل إلا لفتك
كأن في فيه خمر	شيبت بشهد ومسك
جذلان يضحك تيهاً	إذا رآني أبكي
ولا يرق اذا ما	خضعت عند التشكي
وزادني زور واش	وشى اليه بأفك
ما راقب الله لما	سعى اليه بهلكي
فصار فى مذهب الحب	مالكي وهو ملكي

وله أيضاً لما بلغ الثلاثين من عمره قوله :

ثلاثون عاماً من حياتي مضت وما يئست ولا نـولت بعض مطالبي
تعاندني الأيام عمداً وانني صبور على البلوى منيع الجوانب
تقربت من حظي بكل فضيلة وفضل فجازاني بضيق المذاهب
ألا إن يأس النفس أوفق للفتى وأطيب من نجوى الأماني الكواذب

وله من هذا القبيل الشيء الـكثير نكتفي منه بما ذكرناه .

١٣٢ — علي الطبيب الافريقي ...

ذكره القفطي فى تاريخ الحكماء ص ١٥٩ فقال علي الطبيب الافريقي مرتزق بالطب فى الدولة الحمادية وله شعر وأدب ومن شعره قوله :

ياجملة الحسن هب لي منك إحسانا إني أحبك اسراراً وإعـــلانا
أصبحت عبدك لا أبغي بذا بدلا ولا أحب سواك الدهر إنسانا

١٣٣ — علي السعدي ابو الحسن الاديب *...—٥٣٠

علي بن عبدالرحمن بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن جودي (١) السعدي أبو الحسن الأديب أصل سلفه من البيرة (٢) وتجـول بـلاد الاندلس والمغـرب وسكن أخيراً في غرناطة وأبوه أبو زيد من أهل الفقه والعدالة والثقة ، وكان المترجم متقناً فى النحو والأدب والطب وغير ذلك واشتهر بالعلوم النظرية ، وقد كان مختصاً بالطبيب أبي العلاء ابن زهير ولـكنه تغير عليه وجفاه ولما يئس من استصلاح أبي العلاء في تغيره عليه ، انصرف الى غرناطة وعاود قراءة الطب وأحكم قوانينه ثم أخذ يعالج المرضى ويعيش بالمهنة حتى توفي فيها سنة ٥٣٠ﻫ ودفن بروضة باديس ابن حبوس .

«*» معجم الأطباء «١» وذكره أبو القاسم الملاحي : علي بن عبدالرحمن بن موسى بن جودي القيسي « ٢ » وقال الملاحي ايضاً أصله من جهة سرقسطة ونشأ بالمرية ثم سكن غرناطة .

وكان له شعر جيد من ذلك رثاؤه لأبي الحسن ابن الباذش وهو قوله :

أبا حسن ظعنت وكل حي ... سيظعن بالبعاد أو الحمام

بعثت الى خليلك من أساة ... بما بعث الهديل الى الحمام

فان عجلت ركابك واستقلت ... اماما فالفضيلة للامام

فانا سوف نلحق كيف سارت ... على تعب هنالك أو جمام

وديوانه بايدي الناس معروف ومشهور ويكفينا منه ما ذكرنا .

١٣٤ علي بن عبد الواحد بن الصغير * ٠٠٠ـ٧٩٦هـ

علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير الشيخ علاء الدين المعروف بابن صغير رئيس الأطباء بالديار المصرية كان بارعاً متفنناً في صناعته ، اليه انتهت المعرفة والرياسة فى الطب . ولد بالقاهرة وتخرج على جماعة من علماء هذا الشأن حتى برع وساد وأخذ عنه الشيخ عزالدين بن جماعة وجماعة آخرون من الفقهاء والأطباء وكان له حدس صائب ودربة بالملاطفة وكان له مال افرده للقرض فكان يقرض من يحتاج برهن ، وكان حسن الشكل بهي الصورة ، منور الشيبة .

قال المقريزي : وكان يصف للموسر بأربعين ألفاً ، ويصف لذلك الداء بعينه بفلس واحد للمعسر ، وكنت عنده إذدخل عليه شيخ وشكى له شدة السعال فقال له إياك ان تنام بغير سراويل فقال الشيخ : اي والله كنت كذلك فقال له : الآن فنم بسراويلك يسكن سعالك ، وبعد أيام صادفت الشيخ فسألته فقال : عملت بما قال الرئيس فبرئت . قال : وكان لنا جار حدث لابنه رعاف مفرط انحل قواه فقال له الطبيب ابن الصغير تشرط اذنه يسكن رعافه فتعجب الرجل وتوقف فامر عليه ثانياً ففعل فبرأ ابنه من ساعته ، وله أمثال ذلك شيء كثير وتوفي فيحلب في

(*) الدكتور أحمد عيسى في معجمه . والمقريزي في سلوكه ، والسيوطي في حسن محاضرته

شهر ذي الحجة سنة ٧٩٦ هـ ثم نقل الى القاهرة وله نظم بديع من ذلك قوله :

يا من اليه خطانا   يمحو جميع خطانا
نغدو اليه خماصاً   نروح عنه بطانا

١٣٥ — علي بن عبد الله الميكالي *

علي بن عبدالله أبوالقاسم الميكالي ، قال الثعالبي في تتمة اليتيمة : هو أكبر أنجال الأمير السيد أبي الفضل وآدبهم وأعلمهم ، ثم قال في وصفه : هو فتى في الكرم همام وفي الطب إمام ، وله شعر لم يخرج بعد لأنه لا يظهره ترفعاً عنه وسوء ظن به ولكن مما اختلسته وحفظته منه قوله : في شدة الحر .

كاننا والهجير يطبخنا   والبق تقتات كلما نضجا
طبخ صيام يراقبون به   ادراكه والظلام أن يلجا

ولم يذكر الثعالبي سنة وفاته لانه على ما يظهر كان معاصراً له ولم يدرك عام وفاته .

١٣٦ — علي بن غسان البصري * ... — ٣٦٦ هـ

علي بن غسان أبو الحسين(١) الطبيب البصري عالم بالطب ومشارك في علم الأوائل وقد أجمع المؤرخون انه كان محيطاً بعلوم الأوائل وفنون الفلسفة اليونانية وبالأخص علم الطب ، فقد كان فيه عديم النظير في زمانه ، وقد خدم به ملوك بني بويه وعلى الأخص الأمير عضد الدولة البويهي .

قال صاحب مطرح الأنظار : وهو طبيب عضد الدولة فنا خسرو الخاص وله رسالة منظومة في المعالجات . وقال غيره : كان موثوقاً محترماً لديه ، وقد لازمه

(*) عن تتمة اليتيمة .

(*) مطرح الانظار الفارسي ، والوافي ، تتمة اليتيمة ، شعراء النصرانية .

(١) وفي الوافي أبو عنان البصري .

طول حياته سفراً وحضراً ، حرباً وسلماً وقد توفي في أواخر القرن الرابع الهجري على قول أكثر المؤرخين ، ولكن الأب شيخو ذكر في كتابه (شعراء النصرانية) إنه توفي سنة ٣٦٦ هـ وعليه اعتمدنا في تعيين سنة وفاته .

أدبه وشعره

كان لأبي حسين أدب متوفر ، وشعر بديع حسن ، ومما قاله لعضد الدولة عند مسيره الى حرب (عز الدولة) في بغداد وفتحه العراق :

يسوس الممالك رأي الملك ... ويحفظها السيد المحتنك
فيا عضد الدولة انهض لها ... فقد ضيعت بين شيش ويك

وذلك لأن (عزالدولة بختيار) كان لعاباً للنرد شغوفاً بها وشيش ويك كلمتان يستعملها لاعبوا النرد في لعبهم .

وقال ايضاً : في تلك الواقعة ، يهجو عزالدولة ويستصغره ويستهجن قدره وحزمه

أقام على الأهواز سبعين ليلة ... يدبر أمر الملك حتى تدمرا
يدبر أمراً كان أوله عمى ... وأوسطه بلوى وآخره خرا

ومما حكاه الثعالبي في تتمة اليتيمة قوله : حدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الصفوي النحوي فقال . ورد ابن غسان البصري الطبيب الشاعر على أبي مضر ، عامل الأهواز في جملة الشعراء الذين امتدحوه ، ومرض أبو مضر أثناء ذلك ، فعالجه ابن غسان حتى برىء من مرضه ، فكتب للشعراء ولابن غسان خطوطاً بصلات ، فأخر أداؤها فقال ابن غسان بقصد الظرف والفكاهة .

هب الشعراء تعطيهم رقاعاً ... مزورة كلاماً عن كلام
فلم صلة الطبيب تكون زوراً ... وقد أهدى الشفاء من السقام؟

وكتب أيضاً الى طلحة بن عبد الأعلى يحاجيه بقوله :

زعموا طلحة أضحى فطنا ... فسلوه الآن ان كان فطن
اي شيء هو مهزول اذا ... أشبعوه فاذا جاع سمن؟

فأجابه طُمَحة : يا سيدي أبا الحسين هو ما خرجنا منه .

ومما ورد لابن غسان في (دعوة الأطباء) قوله في أحكام الدهر والموت :

حكم كاس المنون أن يتساوى في احتساها الغبي والالمعي
ويحل البليد تحت ثرى الأرض كما حلّ تحتها اللوذعي
أصبحا رقة تزايل عنها فعلها الجوهري والعرضي
وتلاشى كيانها الحيواني وتوارى تقديمها المنطقي

وله غير هذا شعر كثير .

١٣٧ — علي بن محمد بن سدير (*) ... — ٦٠٦ هـ

قال ابن أبي أصيبعة : علي بن محمد بن عبدالله المدايني المعروف بابن سدير وكان أبوه يلقب بالسديد كان طبيباً عالماً بصناعة الطب والعلاج جيد المداواة حسن السمعة ، طيب النفس ، دمث الأخلاق مع دعابة نزيهة وكان يقول الشعر على قلة توفي بموت الفجأة في المدائن في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ٦٠٦ هـ

ومن شعره نقلا عن أبي عبدالله الحافظ محمد بن سعيد بن يحيي الواسطي قوله:

أيا منقذي من معشر زاد لؤمهم فاعيي دوائي واستكان لهم طبي
اذا اعتل منهم واحد فهو صحتي وان ظل حياً كدت أقضي به نحبي
أداويهم إلا من اللؤم انه ليعيي علاج الحاذق الفطن الطب

١٣٨ — علي بن محمد ابن نقيب الاشراف (*)

٨٥٢ هـ ... —

علي بن محمد ابن أبي بكر ابن علي بن ابراهيم ويسوق نسبه الى العلاء الحسيني الدمشقي ويعرف بابن النقيب الطبيب . ولد سنة ٨٥٢ في دمشق ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم والمختار والألفيتين ، وأخذ الفقه عن الشرف البخاري وغيره وحضر

(*) عيون الانباء (*) الضوء اللامع للسخاوي

العربية على الشهاب الزرعي ، وتلمذ في الطب على حكيم الدين الشيرازي وقطب الدين السمرقندي وقد عرف بمزيد الذكاء وتميز في العربية والعقليات ، وقد شارك في الفقه وأتقن الطب مع ثروة طائلة ورآسة وحشمة وحسن شكالة ورونق في الكلام وتواضع ، وعقل تام وأدب جم وقد تلقى من أبيه نقابة الأشراف في دمشق وكان شاعراً مجيداً ثم ذكر له بيتين قالهما في مدح السخاوي نفسه اذ كان معاصراً له وهما قوله :

وقائل الناس لما قل علم ... وحفاظ الحديث لنا وراوي
أفي ذا العصر ترتحل المطايا ... فقلت نعم الى الحبر السخاوي

ولم نقف على سنة وفاته .

١٣٩ - علي المحمودي المتطبب *

لم أجد من ذكره سوى الدكتور أحمد عيسى بك في معجم الأطباء ص٣١٩ إذ قال : علي المحمودي المتطبب بجرجان ومن شعره قال :

غضب الرب لا يرد بطب ... إنما الطب يدفع إلا سقاما
لا يرد الطبيب والطب أمراً ... كتب الله أن يكون حماما

١٤٠ - علي بن موسى الجياني الاندلسي (*)

٠٠٠ — ٥٩٣ هـ

علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصاري الاندلسي الجياني نزيل فاس ولي خطابة فاس وهو صاحب كتاب شذور الذهب في صناعة الكيمياء توفى سنة ٥٩٣ هـ لم ينظم أحد في الكيمياء مثله نظماً قد حوى بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه إن لم يعلمك صنعة الذهب ،

(*) معجم الأطباء (*) فوات الوفيات ٢ : ج

علك صنعة الأدب وقيل فيه : شاعر الحكماء وحكيم الشعراء ومن أشهر شعره قصيدته الطائية المعروفة وهي قوله :

بزيتونة الذهب المباركة الوسطى غنينا فلم نبذل بها الأثل والخمطا
صفونا فآنسنا من الطور نارها تشب لنا وهناً ونحن بذي الأرطا
فلما أتيناها وقرّب صبرنا على السير من بعد المسافة ما اشتطا
نحاول منها جذوة لا ينالها من الناس من لا يعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادي المقدس شاطئاً الى الجانب الغربي نمتثل الشرطا
وقد أرّج الارجاء منها كأنها لطيب شذاها تحرق العود والقسطا

الى آخرها وهي تحتوي على ٣٩ بيتاً يقول فى ختامها :

أيا جعفر خذها اليك يتيمة تورع لوقا ان يورثها قسطا
ولكنني لما رأيتك أهلها سمحت بها لفظاً وأثبتها خطا

وله أيضاً من قصيدة فى صناعة الكيمياء قوله:

لقد قلبت عيناي عن عينه قلبي بلينة الاعطاف قاسية القلب
يهيم الفتى الشرقي منها بغادة تشوق الى شرق وترغب عن غرب
هي الشمس إلا أنها قمرية هي البدر إلا أنه كامن الشهب
إذا الفلك الناري أطلع شهبها عن الذروة العليا من الغصن الرطب
تراءت عروساً برزة الوجه تبتغي رفاقاً وكانت خلف ألف من الحجب
فزوجها بكراً أخاها لأمها أبوها رجاء في المودة والقرب
فعاد بها حياً وكان فراقها له سبباً إذ مات من شقة الحب
فجن هوى لما استجنت بنفسه وطار فقالت بعد جهد له حسبي

وعلى هذا النمط كان شعره ولم نعثر على سنة وفاته .

١٤١ — علي بن النضر الاديب (*) ...

علي بن النضر المعروف بالأديب ، كان قاضياً طبيباً أديباً من الصعيد الأعلى ، وله فى علوم الأوائل والأدب القدح الاعلى مشهور الذكر ، سائر النظم والنثر . ولما ذكر أبوالصلت فى رسالته منجمي مصر وعابهم قال : أما المنجمون الآن بمصر فهم أطباؤها ، كما حذيت النعل بالنعل لا يتعلق أمثلهم من علوم النجوم بأكثر من زائجة يرسمها ، ومراكز يقومها وأما التبحر ومعرفة الأسباب والعلل والبادىء الأول فليس منهم من يرقى هذه الدرجة ، أو يسمو الى هذه المنزلة ويحلق في هذا الجو ويستضيء بهذا الضوء ما خلا القاضى أباالحسن ، علي بن النضر المعروف (بالاديب) فانه كان من الأفاضل والأعيان المعدودين من حسنات الزمان ، وذوي الادب الجم ، والعلم الواسع ، والفضل الباهر والنثر الرائع والنظم البارع وله فى سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى والرتبة الاولى .

و كان قد ورد يلتمس من الوزير الملقب (بالافضل) تصرفا وخدمة فخاب فيه أمله وأخفق فقال من قصيدة ، يعاتب فيها الزمان ويشكو الخيبة والحرمان .

بين التعزز والتذلل مسلك ... بادي المنار أمين كل موفق
فاسلكه في كل المواطن واجتنب ... كبر الابي وذلة المتملق
ولقد جلبت من الصنائع خيرها ... لاجل مختار وأكرم منتقي
ورجوت خفض العيش تحت ظلاله ... لابد أن نفقت وان لم تنفق
ظناً شبيهاً باليقين ولم أخل ... ان الزمان بها سقاني مشرقي

الى أن يقول بعد أبيات :

لأ قارعن الدهر دون مروتي ... وجرمت عزالنفس ان لم أصدق

الى آخرها وله غيرهذا نظم كثير ولم نقف على سنة ولادته ووفاته .

(*) القفطي .

١٤٢ — علي بن يقظان السبتي (*)

علي بن يقظان السبتي طبيب شاعر أديب أصله من (سبته) .

ذكره بعض أهل مصر فقال : ورد البلاد المصرية سنة ٥٤٤ ﻫ ومضى منها الى اليمن وسافر الى الشرق ، وزار العراق ، وجاب الآفاق ، وله من قصيدة فى الوزير الجواد جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي ابن أبي المنصور الاصفهاني فى الموصل قوله :

أأخواننا ما حلت عن كرم العهد	فيا ليت شعري هل تغيرتم بعدي
وكم من كؤس قد أديرت بودكم	فهل لي كاس بينكم دار فى ودي
أحن الى مصر حنين متيم	بها مستهام القلب محترق الكبد
أراهم بلحظ الشوق فى كل بلدة	كأنهم بالقرب مني أو عنصدي
ولو ان طعم الصبر جرعت فيهم	لفضلته للحب فيهم على الشهد
فكم قد قطعنا من مفاوز بعدهم	وخضنا بها الصعب المرام من الوهد
الى أن وصلنا الموصل الآن فانتهت	بنا لجمال الدين راحلة القصد

ثم يتخلص بمدح الوزير بما يليق به ، وله شعر غير هذا كثير ، ولم يذكر القفطي ولا غيره من المترجمين سنة وفاته غير اننا علمنا انها كانت فى أواخر القرن السادس الهجري .

١٤٣ — علي بن يوسف ابن الرحبي (**) ٥٨٣-٦٦٧ ﻫ

علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن أبو الحسن الرحبي ، ولد فى دمشق سنة ٥٨٣ ونشأ بها وقرأ الطب على أبيه رضي الدين الرحبي وعلى الشيخ مهذب الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي واشتغل بالادب على الشيخ علم الدين السخاوي وعلى غيرهم من العلماء ، وقد اتقن الادب اتقاناً لا يشاركه فيه أحد ، وكانت له

(*) عن القفطي . ص ١٦٠

(**) عيون الأنباء وغيره

فطرة جيدة فى قول الشعر ، وكان لاينفك مشغولا بالتحصيل والمطالعة ، ونفسه تشرئب الى طلب الفضائل والمعالي ، وله تدقيق في صناعة الطب ، ومعرفة كاملة وكان أحب شيء اليه الوحدة والملازمة للدرس والقراءة والمطالعة ، للاطلاع على آثار القدماء ، والانتفاع بمؤلفات الحكماء ، وكان نزيه النفس عالي الهمة لا يستحسن التردد الى الملوك وأرباب الدولة أبداً ، خدم مدة فى المارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين ابن زنكي ثم صار مدرساً في الدار التى وقفها الطبيب الشهير مهذب الدين الدخوار لتكون مدرسة طبية كما تقدم فى ترجمة الدخوار ، عبدالرحيم ابن علي ، وقد كان تدريسه بها بوصية من موقفها نفسه لما كان يعرفه فيه من العلم والذكاء والتقدم في هذه الصناعة ، وهكذا بقي فيها مدرساً حتى توفي في دمشق بمرض ذات الجنب سنة ٦٦٧ ﻫ

قال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء : وحدثني الحكيم بدرالدين ابن القاضي في بعلبك وشمس الدين الكتبي المعروف (بالخواتيمي) قالا : كان شرف الدين ابن الرحبي قبل أن يمرض ويموت بأشهر ، يقول للجماعة المترددين عليه ولتلاميذه أني بعد قليل أموت وذلك عند قران الكوكبين ثم يقول لهم : قولوا للناس قولي هذا حتى يعرفوا مقدار علمي في حياتي وعلمي بعد موتي وهكذا كان قوله موافقاً لما حكم به .

مؤلفاته

كل مؤلفاته نافعة جليلة ، نذكر ما عثرنا عليه منها وهي : كتاب خلق الانسان وهيئة اعضائه ومنفعتها ، بما لم يسبق الى مثله ، وحواشي على قانون ابن سينا وحواشي على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين ، وغير ذلك .

أدبه وشعره

أما أدبه فكتبه أقوى برهان عليه ، وأما شعره فهاك نبذة منه دلالة على شاعريته

الفذة وطبعه الأدبي السامي ، فمن ذلك قصيدته العصماء العينية التي يقول فى مطلعها

سهام المنايا في الورى ليس تمنع فكل له يوماً اذا عاش مصرع

ويختمها بقوله :

كذلك أحكم النائبات فان ترى من الناس حياً شمله ليس يصدع

وله أيضاً قوله :

تساق بنو الدنيا الى الحتف عنوة ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي

كأنهم الانعام في جهل بعضها بما تم من سفك الدماء على البعض

وقال وقد نسبه بعضهم بسبب هذين البيتين الى التعطيل :

ليس يجدي ذكر الفتى بعد موت فأطرح ما يقوله السفهاء

إنما يدرك التألم واللذ ة حي لا صخرة صماء

وله فى الخضاب قوله أيضاً :

سترت مشيبي بالخضاب لأنني تيقنت ان الشيب بالموت ينذر

فواريته كي لا ترى منه مقلتي صباحاً مساءاً ما لعيشي يكدر

فغيبة ما يشنى من العين موجب تناسي ما منه يخاف ويحذر

وإن كنت ذا علم بان ليس ملبسي شباباً ولا رد المنية يقدر

وقال بعد وفاة أخيه جمال الدين عثمان .

تبدلت أما إن وجدت سكينة وعزاً تقي شر الحسود المعاند

وقد ناهزت سني ثمانين حجة ومات من الاهلين كل مساعد

ولا سيما الأخ الشقيق وان غدا لدى نازلي في الخطب ركني وساعدي

فصبراً على كيد الزمان لعله يؤل الى الانصاف بعد التباعد

وله (دوبيت) وكان شغوفاً بنظمه .

روحي بكم تنعم باللذات ان كنت مقوماً لها كالذاتي

ما جال بخاطري فراقي لكم إلا وعجبت من بقاء الذات

وله ايضاً (دو بيت) آخر :

أصبحت بكف نازح الود ملول لا يعطفه مع لينه عذل عذول
لو لم يك فى الحسن كبدر التم ما كان له بحبة القلب نزول

وشعره أكثر من أن يحصى ولكنه مبثوث فى الكتب ولم نجد له ديواناً مستقلا

١٤٤ — عمر بن اسماعيل الرشيد الفارقي (*)

٥٩٨ — ٦٦٧ هـ

عمر بن إسماعيل بن مسعود بن سعد بن سعيد ابن أبي الكتائب الشيخ العلامة شيخ الأدباء رشيد الدين الربعي الشافعي ويعرف بالرشيد الفارقي .

ولد سنة ٥٩٨ هـ وسمع من الفخر ابن تيمية وغيره وله اليد البيضاء فى النظم والنثر بصير بالتفسير وكان عالمًا بالنحو وعلم الكلام ، والطب كاملا بما يوصف من المحاسن والأخلاق توفي مخنوقاً في بيته بالظاهرية وأخذ ما كان عنده من الذهب وذلك في سنة ٦٦٧ هـ كما ذكره صاحب فوات الوفيات وقال انه سمع من الزبيدي وابن يافا وغيرهم وبرع في النظم وكتب فى ديوان الانشاء وكانت له معرفة كاملة فى البديع واللغة وقد انتهت اليه رياسة الأدب ، كما انه أفتى وناظر ودّرس بالظاهرية وانقطع بها وله فى النحو مقدمتان صغرى وكبرى وكان حلو النادرة مليح المناظرة مشاركا فى الأصول والطب وغير ذلك .

ومن شعره ما كتبه الى جمال الدين علي بن جرير الى قرية القاسمية على يد رجل اسمه علي .

حسدت عليًا على كونه توجه دوني الى القاسميه
وما بي شوق الى قرية ولكن مرادي التي سميه

وله ملغزاً فى خيمة :

(*) معجم الأطباء عن نزهة العيون للملك العباس بن علي بن داود

ما اسم إذا نصبتهِ رفعت ما ينصب به
ولا يتم نصبه إلا بجرّ سببه

وكتب الى شيخ الشيوخ عماد الدين ابن حمويه :

من غرس نعمته وناظم مدحه بين الورى وسميه ووليه
يشكو ظماه الى السحاب لعله يرويه من وسميه ووليه

وكتب الى المكرم محمد بن بصاقه :

يا جواداً جود راحته أغنت الدنيا عن الديم
ووفياً من سجيته رعي أهل الود والذمم
إنني أصبحت ذا ثقة بكريم غير متهم

وله بيتان لا ثالث لهما قوله :

ومخطفة تسبي البدور وتخطف العقول كأن السحر من جفنها يوحى
رنت وسطت ظبياً وليناً واسفرت صباحاً وفاحت عنبراً وبدت يوحى

١٤٥ — عمر المتر الادلبي (*) ٠٠٠ ـ ١١٧٥ هـ

عمر المتر الادلبي نزيل حمص الأديب الفاضل والمنجم العارف كان ماهراً في الأدب والعلم والطب ولكنه كان غاية في النحوسة (والنادر لا حكم له) أدركته حرفة الأدب وقد استقام في حمص يقري ويطب ، وله ديوان شعر معروف ومن شعره قوله من قصيدة له :

للحب آيات حب للمحال محت وأثبتت حب من بالطرف قد لمحت
واستحكمت حيث جاءتنا مبينة بنسخها لدواوين الهوى شرحت

الى آخرها وكانت وفاته في حمص سنة ١١٧٥ هـ

(*) عن سلك الدرر

١٤٦ ــ عمر بن بدوح الدمشقي (*) ٠٠٠ ـ ٥٧٦هـ

عمر بن علي بن بدّوح[١] القلعي المغربي ، حكيم فاضل وعالم قليل النظير وله اليد الطولى والشهرة الذائعة في الطب ، والحكمة والحديث ، والتفسير كما انه كان ذا بصيرة وخبرة كاملة وذكاء مفرط في تراكيب الأدوية وفنون العلاج والتشخيص مضاماً الى ما فيه من الطبع الشعري العالي والنظم البديع الغالي والنثر الجميل المتين .

وقد كان مع هذا الفضل والكمال يعيش بالكسب عطاراً يعمل الحبوب والأقراص والسفوفات ويعتاش ببيعها على المرضى فى دمشق بالبادين وكانت له المعرفة الكاملة والاطلاع الواسع على كتب الاقدمين ولذلك كان يقضي جل أوقاته فى مطالعتها ،وتحقيق مراماتها ومغازيها لا سيما كتب ابن سينا .

وقد عمر كثيراً حتى ضعف عن الحركة ولم يعد يقوى على النهوض ، فكان يحمل الى حانوته وفى أواخر أيامه كف بصره وصار جليس الدار حتى توفي سنة ٥٧٦هـ

مؤلفاته

مؤلفاته كثيرة وجلها مفيدة نافعة نذكر لك ما عثرنا عليه وهي :

شرح فصول أبقراط الحكيم ، وأرجوزة فى الطب موسومة (بذخيرة الالباء) وشرح كتاب تقدمة المعرفة وهو أرجوزة أيضاً وحواشي على قانون ابن سينا الى غير ذلك

أدبه وشعره

أما أدبه فغني عن البيان لشهرته في فصاحة مبانيه وبلاغة معانيه وحسن أسلوبه ومتانة منثوره ، وأما شعره فهو من النمط الأوسط من ذلك ماقاله عندما كف بصره :

يا رب سهل لي الخيرات أفعلها   مع الأنام بموجودي وإمكاني
فالقبر باب الى دار البقاء ومن   للخير يغرس أشجار المنى جاني

(*) عيون الانباء وغيره (١) وقيل بدوخ بالخاء المعجمه

وخير انس الفتى تقوى تصاحبه ... والخير يفعله مع كل إنسان
ياذا الجلالة والاكرام يا أملي ... أختم بخير وتوحيد وإيمان
إن كان مولاي لا يرجوك ذو زلل ... بل من أطاعك من للمذنب الجاني
عشر الثمانين يامولاي قد سلبت ... أنوار عيني وسمعي ثم أسناني
لا أستطيع قياماً غير معتمد ... ما بين اثنين شكوائي لرحمان
وما بقي في لذيذ يستلذ به ... لي لذة غير تنصيت لقرآن
أو شرحه أو شروحات الحديث وما ... يختص بالطب أو تفكيه اقران
فالشيخ تعميره يفضي الى هرم ... يذله أو عمى أو داء أزمان
فموته ستره إذ لا محيص له ... عن الممات فكم يبقى لنقصان
نعوذ بالله من شر الحياة ومن ... شر الممات وشر الانس والجان
إن الشيوخ كأشجار غدت حطباً ... فليس يرجى لها توريق أغصان
لم يبق في الشيخ نفع غير تجربة ... وحسن رأي صفا عن طول أزمان
يا خالق الخلق يامن لا شريك له ... قد جئت ضيفاً لتقريني بغفران
يارب مالي سوى التوحيد من عمل ... فاختم به منعماً يا خير منان

وقال فى مدح كتب جالينوس وكان يكثر من مطالعتها :

أكرم بكتب لجالينوس قد جمعت ... ما قال بقراط والماضون في القدم
كذ (ذيقوريدس) علم الدواء له ... مسلم عنـد أهل الطب والأمم
فالطب عن ذين مع بقراط منتشر ... من بعدهم كانتشار النور في الظلم
بطبهم تغتدي الافكار مشرقة ... ترى ضياء الشفا فى ظلمة السقم
لا تبتغي في شفاء الداء غيرهم ... لان وجدانه في الطب كالعدم
فى كل يوم ترى فى الأرض معجزة ... من التجارب والآيات والحكم

وله غير هذا كثير نكتفي بما ذكرنا وجله على هذا النمط .

١٤٧ — عمر ابن العوام الاشبيلي (*)

عمر بن العوام أبو بكر الاشبيلي من ولد الزبير بن العوام إشتهر بصناعة الأدب وتعلق بالطب ابتلاه الله بحب المدام حتى خرج سكرانًا ذات يوم فى شهر رمضان وكادت العامة تبيح دمه إلا أنهم رموه بالحجارة فهرب وهو يضرط لهم بفمه ، وشرب مرة مع جماعة باشبيلية فضربه بعضهم بجرة خمر قضى منها نحبه ، ذكره ابن سعيد المغربي قال ومن شعره :

إذا أسمعت حي على الفلاح — فقم في نحو ريحان وراح

وصل الى وجوه من جمال — كساها الحسن أردية الصباح

ولا تستدع إلا كل خل — يسرك فى دنو وانشراح

إذا مازجته سرتك فيه — ممازجة المدامة بالقراح

يقيم كأيكة تهتز لطفًا — ويوصل كالنسيم على البطاح

١٤٨ — عمر بن محمد ابن الصغير (*) ٠٠٠ ـ ١٠٦٥ هـ

عمر بن محمد المعروف بابن الصغير (تصغير صغير) الدمشقي شيخ الأدب بالشام بعد شيخه أبي بكر ابن المنصور العمري ، كان شاعراً مطبوعاً حسن التخيل وله مشاركة فى الأدب جيده .

قرأ مبادىء العربية ثم استمر فى تعليمه لعلومها حتى صار قيم الأدب ولما مات العمري صار مكانه شيخ الأدب وكان يقول بعد أبي بكر عمر ، ولم يتزوج طول حياته وكانت له خبرة كاملة في الطب وأشعاره كثيراً سائرة .

ومما يستجاد له قوله :

مذ رق ماء للجمال بوجنة — كالورد فى الاغصان كاله الندى

(*) معجم الأطباء

(*) خلاصة الاثر لمحمد المحبي ج ٣

وتمثلت أهدابنا فيه فظنوه العذار ولا عذار بها بدا

وأنشد له البديعي في (ذكرى حبيب) قوله :

أفدي الذي دخل الحمام مؤتزراً باسود وبليل الشعر ملتحفا

دقوا بطاساتهم لما رأوه بدا توهماً ان بدر التم قد خسفا

وله معمياً باسم نسالم قوله :

يا غزالا أطال بالمطل سهدي أنجز الوعد عله منك يجدي

قال مهلا وليل جيدي وقدي بعد خط العذار انجاز وعدي

وله غير ذلك ، وكانت وفاته في حدود سنة خمس وستين بعد الألف هجرية بمقبرة القراديس .



(حرف الغين)

١٤٩ ــ غانم بن وليد القرشي (*) ٠٠٠ ـ ٤٧٠ هـ

غانم بن وليد بن عمر المالقي القرشي المخزومي النحوي اللغوي الطبيب كان أحد أفراد أهل الأدب والمحققين به وكان أهل الاندلس الادباء في ذلك الوقت ثلاثة ، أبو مروان ابن سراج بقرطبة ، والأعلم باشبيلية ، وغانم هذا بمالقة ، ولكن زاد غانم عليهما بالطب والفقه والحديث والكلام .

وذكره غير واحد في عداد مشاهير الأطباء في مالقة وقال :

هو وحيد بلاده في فن الطب له العلاجات الشافية والمعاجز الفنية الوافية وكان طبيباً أديباً يعالج الناس بالقول وهو الأدب وبالفعل وهو الطب ومن شعره قوله :

صيّر فؤادك للمحبوب منزله ... سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضاً في معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله أيضاً قوله :

ثلاثة يجهل مقدارها ... الأمن والصحة والقوت

فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه در وياقوت

وقد توفي في مالقة سنة ٤٧٠ هـ

(*) بغية الوعاة للسيوطي وريحانة الالبا للخفاجي

« حرف الكاف »

١٥٠ — الشيخ كاظم بيذرة (*) ١٢٨٩ — ١٣٤٩ ﻫ

هو الشيخ كاظم بن الشيخ مهدي بن جابر بن عنبر النجفي الطبيب الشهير بـ (بيذرة) (١) والمكنى أبا جواد استوطن أحد أجداده النجف وكان من قبيلة (آل عبدالله) أحد قبائل ربيعة القاطنين في بلدة عفك والهندية (طويريج) وإنما لقب واشتهر بـ (بيذره) لانه كان صغير الجسم خفيف الحركة يشبه في سرعة حركته ونباهته وحذره بعض صغار العصافير المسماة بهذا الأسم والذي اعتقده أنا هو ان كلمة « بيذره » محرفة عن (أبي ذر) اذ كان لتمسكه بالأمور الشرعية وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر يشبّه بأبي ذر الصحابي الشهير فلقد كان متديناً دمث الاخلاق حسن الحديث جميل الصحبة خفيف الروح لا تفوته النكتة الأدبية سليم الذات عطوفاً على المرضى لا سيما الفقراء منهم .

قرأ النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان على المرحوم العلامة الشيخ قاسم قسام ، احد مشاهير علماء النجف ، واعيان البلد ودرس الفقه والاصول عند العلامة الشهير الشيخ هادي الطهراني وتلمذ في الطب على العالم المعروف الشيخ علي شراره ثم على كثيرين من نطس أطباء الفرس وأخيراً انقطع لتكميل دراسته الطبية على أطباء النجف الشهيرين يومذاك حتى نبغ في العلاج وظهرت على يديه المعالجات الفنية التي اشتهر بها صيته وعرفه الخاص والعام .

وله مع ذلك اليد الطولى في النظم غير انه كان لا يعبأ بما ينظم ، لذلك لم نعثر له على ما يجمل ذكره سوى ما أنشدنيه أخوه الشيخ حسن وهو قوله من رجز في التعليم العسكري

(*) أخذنا ترجمته عن لسان أخيه الفاضل الشيخ حسن (١) بباء مفتوحة وياء ساكنة وذال معجمه وراء مهملة مشددة ملحقة بهاء .

يقول كاظم هو ابن مهدي   أحمد ربي الله خير مهدي
أحمد ربي خالق العلوم   علمنا مقاصد التعليم

ثم يذكر فيها التعليم العسكري حينما كان جنديًا في الدولة العثمانية لم يذكرها المنشد ثم قال وله قوله .

على الله في كل الأمور توكلي   وبالمصطفى المختار كل توسلي
وليس بيوم الحشر لي من وسيلة   أصون بها نفسي ولا من معول
سوى حب آل البيت بيت محمد   نبي الهدى والمرتضى صهره علي

وتوفي سنة ١٣٤٩ هـ عن ٦٠ عامًا ولم نعثر له على مؤلف سوى بعض كراريس طبية تدل على تضلعه في الفن وبعد غوره فيه .



« حرف الميم »

١٥١ — المبارك ابن الدهان الوجيه الكبير

٥٣٤ — ٦١٢ هـ

مبارك بن مبارك بن سعيد بن أبي السعادات أبو بكر الدهان الطبيب النحوي الضرير المعروف بالوجيه الكبير ولد سنة ٥٣٤ هـ في واسط وبها نشأ وتعلم واكتسب الفنون والفضائل حتى أصبح علماً في النحو واللغة والصرف والعروض كما كان بارعاً في الطب والفقه والنجوم متفنناً في علوم الأوائل ممتازاً على أقرانه وكان قد أكمل القراءات على أبي سعيد نصر بن محمد بن سالم الاديب وعلى أبي الفرج العلاء بن علي المعروف بابن السوادي الشاعر ثم سافر الى بغداد وحضر بالمدرسة المظفرية على ابن الخشاب في النحو حتى صار من أجلة تلامذته ثم لازم الكمال ابن أبي البركات الانباري واكتسب منه كثيراً من الفنون وأخذ الفقه عن أبي زرعة المقدسي طاهر ابن محمد ثم تلمذ عليه جماعة من الفضلاء كسالم بن أبي صقر وعبداللطيف بن يوسف البغدادي وأبي البركات بن زيد التكريتي .

وكان حريصاً في طبعه لكنه كان حليما لا يغضب كثير الانبساط والانشراح حسن التعبير والتفهيم في تدريسه غير انه كان قليل الاحترام حتى عند تلامذته فكم كانوا يهجونه نظما ونثراً غير مراعين واجب إحترامه وشكر نعمه عليهم وحق تعليمه ومقامه لكنه هو لم يكن يعبأ بأقوالهم ولم يغضب لما يراه منهم .

قال أحد تلاميذه وهو أبو البركات التكريتي في ذمه ، وعذله على عدم استقامته على مذهب واحد لأنه كان حنبلياً ثم صار حنفياً ثم لما أنيط به تدريس المدرسة النظامية وكان منهاجها تدريس المذهب الشافعي صار شافعياً فقال تلميذه التكريتي فيه :

(*) نامه دانشوران الفارسية .

فمن مبلغ عني الوجيه رسالة — وان كان لا تجدي لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل — وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعيَ تديناً — ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر — الى مالك فافطن لما أنا قائل

ولما بلغه ذلك لم يعبأ به ، ولم يتغير على تلميذه ولتلاميذه وغيرهم فيه مثل هذا كثير

أدبه وشعره

لقد كان الوجيه كما عليه أكثر المترجمين جيد القريحة شديد الذكاء ذا عاطفة شعرية ونظم بديع وأدب جم وترسل بالكتابة ومن نظمه مادحاً أحدهم بقوله :

لست استقبح اعتذارك (١) بالوعد وان كنت سيد الكرماء
فاآله السماء قد ضمن الرزق عليـــه وقيتضي بالدعاء

وتوفي في شعبان سنة ٦١٢ هـ ودفن في محلة الوردية في بغداد وله في النحو كتاب جليل نافع .

١٥٢ ـ محمد بن ابراهيم ابن الاكفاني (*) ٠٠٠ ـ ٧٤٩ هـ

محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري أبو عبدالله شمس الدين السنجاري المولد والأصل المصري المسكن المعروف بابن الاكفاني .

ولد بسنجار شمال العراق وطلب العلوم حتى فاز في عدة فنون ، واتقن الرياضة والحكمة وصنف فيها التصانيف الكثيرة وكان يحل مسائل إقليدس بلا كلفة ، كأنها تمثلت بين عينيه ولقد تقدم في الطب تقدماً باهراً حتى كان الحذاق من أهل الفن تعجب من إصاباته وتشخيصه ومداواته فلقد كان يأتي الى المرض بمفردات من الأدوية تغاير كيفياتها ذلك المرض في نظر غيره من الاطباء فيتناولها المريض

---

(١) كذا وظني انها (اقتضاؤك) لانها أنسب (*) الدرر الكامنة للعسقلاني ، معجم الأطباء .

فيبرىء بسرعة .

وكان مع ذلك مستحضراً للتواريخ وأخبار الناس حافظاً للاشعار ولهفىفنون الأدب عدة تصانيف .

قال ابن سيدالناس : ما رأيت من يعبر عما في ضميره باوجزمن عبارته ، ولم أر أمتع ولا أفكه من محاضراته وكان يحفظ من الرقي والعزائم شيئاً لا يشاركه فيه أحد كما أن له اليد الطولى في الروحيات ، وكان ماهراً في الجواهر والعقاقير حتى كان لايدخل شيء في البيمارستان الا عرض عليه .

قال صاحب معجم الأطباء : وذكره الفاضل أبو الصفا الصفدي فقال: فاضل جمع اشتات العلوم ، وبرع في علوم الحكمة خصوصاً الرياضي فانه إمام فى الهيئة والهندسة والحساب وكان يحل علوم النصير الطوسي بأجلى عبارة وأحلى اشارة ، أما الطب فانه إمام عصره ، وكان غالب طبه بمفردات يأتي بها لم يعرف خواصها أحد غيره وله أصابات غريبة في علاجه ، أما الأدب فكان فيه فريداً وقد أنشد لنفسه قوله :

ولقد عجبت لعاكس في الكيميا ... في طبه قد جاء بالشنعاء

يلقى على العين النحاس يحلها ... في لحة كالفضة البيضاء

ولقد توفى فى الطاعون سنة ٧٤٩ هـ

١٥٣ ـ محمد بن ابراهيم الخضري (*) ٧٨٢ ـ ٨٧٢ هـ

محمد بن ابراهيم بن علي بن عثمان بن يوسف بن عبدالرزاق بن عبدالله أصيل الدين أبي الفتح بن برهان المراكشي الأصل المصري المولد والمسكن المعروف بابن الخضري (١)

(*) الضوء اللامع للسخاوي (١) بضم الخاء المعجمة والضاد المعجمة والراء المكسورة .

ولد سنة ٧٨٢ في ظاهر القاهرة ، ونشأ فيها ، وقرأ القرآن وتلاه في عدة قراءات مع التجويد ، ثم درس الفقه وأصول الدين والعربية على سعد الدين الخادم وحضر التلخيص في المعاني والمنطق على عثمان الشعري ثم سائر العلوم على علماء وقته ثم لازم ابن جماعة وأخذ عنه عدة علوم مابين منطق وجدل وغيره وشارك في الفقه والأصول والطب بانواعه وفنونه وفي النحو والهيئة واللغة حتى بلغ المنزلة الرفيعة ، وذاع صيته ، كما اشتهر بالذكاء المفرط والفطنة وسرعة الحفظ وجودة التصور .

وكان مع ذلك كله يجيد النظم ، ويخوض بحار الشعر ويغوص بها لاستخراج لئالىء معانيها ومن ذلك قوله :

إن غاب أوزار كان القلب في تعب ... لا خير في عشقه ان جاء أوسارا

قال العواذل قد أتعبت من شغف ... على الحبيب فقد حملت أوزار

أقول : وقد خطرفي بالي عندذكر هذين البتين بيتان لشاعر فارسي بهذا المعني بل أبلغ وأرق وهما قوله :

گفته بودم كه بيائي غم دل باتوبگويم ... چه بگويم كه غم ازدل برود چون توبيائي

گر بيائي دهمت دل ور نيائي كشدم غم ... من كه درهردوحلا كم چه بيائي چه نيائي

وتعريبهما طبق الأصل هو قولي :

كم تمنيت لو أتيت لأبدي ... لك مافي الفؤاد من فرط وجدي

ليت شعري ماذا أقول ولم يبق ... لقلبي غم إذا كنت عندي

فلك الروح ان وصلت وان ... بنت فهمّ الفراق للجسم مردي

فانا هالك على كل حال ... وقتيل في حال قرب وبعد

وقد توفي سنة ٨٧٢ هـ في القاهرة عن ٩٠ عاماً .

١٥٤ ــ محمد بن ابى حليقه (*) ٦٢٠ ـ ٦٨٤ هـ

محمد بن أبي الوحش القاضى مهذب الدين المعروف بابي حليقة (تصغير حلقة) المكنى أبا سعيد كان معاصراً لابن أبي أصيبعة الطبيب المؤرخ الخزرجي ، وقد ذكره في طبقات الأطباء ، وهو أعرف به قال : هو أوحد العلماء وأكمل الحكماء ، ولد فى القاهرة سنة ٦٢٠ هـ وقد منحه الله من العقل أكمله ومن الأدب أفضله ومن الذكاء أغزره ، ومن العلم أكثره قد أتقن الصناعة الطبية وعرف العلوم الحكمية فلا أحد فى زمانه يدانيه فيما يعانيه ، ولا يصل الى الخلائق الجميلة التي جمعت فيه ، لطيف الكلام جزيل الانعام احسانه الى الصديق والنسيب والبعيد والقريب وقد وجد نسخة من كتابي (عيون الانباء) فاقتناها وكتب الي يشكرني ويطريها ويمدح هذا المجهود العظيم وصدر كتابه بهذا البيت وهو له :

وأني امرؤ أحببتكم لمحاسن سمعت بها والاذن كالعين تعشق

فاجبته على الوزن والقافية بقصيدة قلت فى أولها :

أتاني كتاب وهو بالنقش مرفق وفيه المعاني وهي كالشمس تشرق
كتاب كريم أريحي ممجد صبيح المحيا نوره يتألق

ثم قال الخزرجي : وله كتاب فى الطب (لم يذكر اسمه)

قال صاحب معجم الأطباء عن السلوك للمقريزي : انه توفي ١١ من شهر رمضان سنة ٦٨٤ هـ وكان قد استقر فى رياسة الأطباء ، هو وأخوه علم الدين ابراهيم وموفق الدين أحمد وكتب لهم بذلك توقيع سلطاني واستقر مهذب الدين هذا فى تدريس الطب فى المارستان .

(*) عيون الانباء ج ٢

١٥٥ ـ محمد بن احمد البيهقي الفيلسوف (*)

محمد بن أحمد البيهقي ، كان تلو ابن موسى فى الرياضيات بيهقي الأصل والمولد صنف كتاباً فى دقائق المخروطات (١) ما سبقه به أحد قبله ، وكان عمر بن ابراهيم الخيامي يعترف بتقدمه ، ومتانته فى تلك العلوم واتفق ان ارتحل الى اصفهان ، بسبب الرصد الذي أمره ملكشاه بعمله فبقي فيها الى أيام السلطان محمد ولما اتفق احراق أصحاب الجبال اعني الباطنية بأمر السلطان محمد ، و كان الحكيم مختفياً فى دار أحد أصدقائه منزوياً عن الفتنة علت أصوات النساء وصعدت السطوح فعثرت امرأة على الحكيم وهومختف فصاحت هذا قرمطي فى البيت فدخلوا الدار وأخذوه وقتلوه ولما عرفوه أولياء السلطان ، لام بعضهم بعضا ، حيث لا ينفع اللوم ولا يجدي الندم واذا جاء القدر عمي البصر .

قال فى تاريخ بيهق : انه كان من أكابر علماء بيهق ، و كان في علوم الحكمة والطب بلا نظير ، حتى اعترف كل علماء وقته بتقدمه . وله نظم جيد منه قوله :

دعاك الربيع وأيامه	ألا فاستمع قول داع نصوح
يقول اشرب الراح وردية	ففي الراح ياصاح رَوح ورُوح
وغن البلابل عند الصباح	أيا نائمين الصبوح الصبوح

١٥٦ ـ محمد بن احمد ابو ريحان البيروني (*) ٣٦٢-٤٤٨ ﻫ

محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني (١) الحكيم الرياضي والطبيب المنجم المعروف كان فيلسوفاً عالماً بفلسفة اليونان وفروعها وفلسفة الهنود وأنواعها بارعاً فى الرياضيات والفلك بل هو أشهر علماء الرياضيات والنجوم من المسلمين مسلم الفضيلة فى صناعتي الطب والتنجيم

(*) تتمة صوان الحكمة (١) الشكل الهندسي المخروطي (* روضات الجنات عيون الانباء . محبوب القلوب . دائرة المعارف الاسلامية . معجم الادباء . دانشوران الفارسية (١) وفي روضات الجنات محمد بن أحمد الهروي البيروني

قال ابن أبي أصيبعة فى عيون الانباء : كان اصله من بيرون من أعمال السند ولكن ملا كاتب الجلبي يقول نقلا عن السيوطي (وهو أقرب للصواب) : انه ولد ونشأ وترعرع فى خوارزم ، ثم كان قليل المقام بها ، كثير السفر الى خارجها وعند أهالي خوارزم كلمة (بيرون) بمعنى الخارج فهم نسبوه الى الخارج بقولهم (بيروني) بكسر الباء فاشتهر بها فكأنهم اعتبروه غريباً خارجاً عن بلادهم .

وذكر فى دائرة المعارف الاسلامية : ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني مؤلف عربي عن أصل فارسي ولد سنة ٣٦٢ هـ فى ذي الحجة بضاحية من ضواحي خوارزم ودرس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتأريخ وذهب في حداثته الى الهند ، وكانت قد دخلت في الاسلام وقتذاك بفضل الحملات المظفرة التي قام بها السلطان محمود الغزنوي ودرس هناك العلوم اليونانية وأخذ يستقي من الثقافة الهندية وضمن خلاصة هذه الدراسات في كتابه الكبير (تاريخ الهند) وتوفي سنة ٤٤٨ هـ

قال الطبيب النصراني الشهير (غريغوريس) في كتابه (مختصر الدول) : ان أبا ريحان اشتهر بعلوم الأوائل وتبحره في فنون الحكمة اليونانية والهندية وتخصصه بانواع الرياضيات وشعب الطب وصنف بها الكتب الجليلة . دخل بلاد الهند وأقام بها أربعين سنة وتعلم الحكمة وأخذ من علمائها فنونهم وعلمهم ودرسهم طرق اليونانيين في فلسفتهم وبالجملة لم يكن من نظرائه في زمانه وبعده الى هذه الغاية ـ وهي زمن المؤلف ـ أصدق منه في علم الفلك ولا أعرف بدقيقه وجليله وقد كان مهاباً محترماً عند ملوك عصره حتى ان الملك قابوس كلفه بمنصب الوزارة فلم يقبل وحتى ان الملك خوارزمشاه كان يتكلم معه بكل أدب واحترام واتفق ان كان الملك (خوارزم شاه) ذات يوم في الصحراء وفي أثناء سيره لحقه الحكيم لامر مهم فاستقبله الملك وأراد النزول عن فرسه احتراماً له ، ولكن الحكيم أقسم عليه فلم ينزل وأنشد

العلم من أشرف الولاة علاً   يأتيه كل الورى ولا يأتي

وكان البيروني هذا معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا وأبي الخير ابن الخمار وأبي علي مسكويه وأبي سهل المسيحي وكانت بينه وبين الرئيس مراسلات ومباحثات

كثيرة وكان يخاطب الرئيس في جميع تلك المراسلات بقوله (أيها الفتى العاقل)

ونقل عن الشيخ صلاح الدين الصفدي انه يقول : كان البيروني حسن المعاشرة لطيف المحاضرة ، ولكنه خليع في ألفاظه عفيف في أفعاله لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً

وقال قطب الدين اللاهيجي في كتابه - محبوب القلوب - كان أبو ريحان أسمر اللون قصير القامة كث اللحية كبير البطن عاقلا كيساً في حركاته وسكناته .

مؤلفاته

اما مؤلفاته فخارجة عن الحصر ، ولكن الحموي نقل : اني رأيت في موقوفة جامع (مرو) فهرساً لمؤلفات أبي ريحان البيروني فكانت ستين ورقة اعني مائة وعشرين صحيفة بالورق المعتدل ، وحكي عنه انه كان مكباً على تحصيل العلوم ، متقناً للتصنيف والتأليف ، لا تكاد تفارق يده القلم ، ولا عينه النظر ، ولا قلبه الفكر ، وكان مشتغلا فى ايام السنة إلا يوم النوروز (رأس السنة) ويوم المهرجان ، وقد بلغ شغفه وحبه للعلم ، ان دخل عليه بعض اصحابه فى مرضه الذي توفي فيه ، وقد كان يجود بنفسه محتضراً ، فقال له وهو في تلك الحال كيف قلت لي يوما عن حساب الجداث الثمانية ، فقال له التلميذ ، أفى مثل هذه الحال ياحكيم ؟ فقال : ياهذا اودّع الدنيا وانا عالم بها خير من ان اخليها وانا جاهل بها ، قال التلميذ فذكرت ذلك له ؛ ثم خرجت ، ولم أمش قليلا ، حتى سمعت الصراخ عليه ، وانا فى الطريق .

والمشهور من مؤلفاته : (الآثار الباقية غن القرون الخالية) ألفه لشمس المعالي قابوس، والقانونُ المسعودي ، والتفهيم فى التنجيم ، والاستيعاب فى الاسطرلاب ، وكتاب الصيدلة فى الطب ، والجماهر فى الجواهر ، واختصار كتاب بطليموس ، ومقاليد الهيئة ، وتسطيح الكرة .

قال محمد بن مسعود فى دائرة المعارف الاسلامية : ومع أن البيروني كتب اغلب مؤلفاته باللغة العربية ، فقد كان بارعا باللغة الفارسية ايضا سهل العبارة فيها وله باللغتين ، العربية والفارسية ، كتاب التفهيم والتنجيم .

ادبه وشعره

كان البيروني كما اتفق عليه جل المؤرخين ، أديبًا عالمًا بفنون الأدب ، شاعراً كاملا ذا طبع رقيق ، وملكة شعرية سامية ، غير أنه كان مقلا ، لانشغاله بتحصيل العلوم واتقان الفلسفة والحكمة والفلك ، وقد اورد له الحموي في معجمه قوله في شاعر استجداه .

ياشاعراً جائني يجزي على الأدب	وافى ليمدحني والذم من أدبي
وذاكراً في قوافي شعره حسبي	ولست والله حقـاً عارفا نسبي
إذ لست اعرف جدي حق معرفة	وكيف اعرف جدي اذ جهلت ابي
ابي ابو لهب شيخ بـلا أدب	نعم ووالدتي حمالة الحطب
الذم والمدح عنـدي يا أبا حسن	سيان مثل استواء الجـد واللعب
ألا اعفني عنهما لا تشتغل بهما	بالله لا توقعن مفساك في تعب

وأورد له ايضًا صاحب « دانشوران » الفارسية قوله :

فـلا يغررك مني لين لمس	تراه في دروسي واقتباسي
فاني اسرع الثقـلين طرّاً	الى خوض الردى في وقت ياسي

١٥٧ — محمد بن احمد ابن الخشاب (*) ٧٩٣ – ٨٧٣ هـ

محمد بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن عيسى بن عمر بن خلد بن عبد المحسن ابن نشوان الشرف ابي المعالي ابن الصدر المخزومي القاهري .

ولد سنة ٧٩٣ هـ فى القاهرة ونشأ بها ، فقرأ القرآن تجويداً ثم درس العمدة وقطعة من المنهاج الفرعي ، وجامع المختصرات ، والتحفة فى اصول الدين والفقه ، ثم مختصر ابن الحاجب والفية ابن مالك ، ثم الحديث ، ثم منظومة ابن سينا فى كليات الطب ، ومنظومة الخزرجي في الكحل ، والخزرجة في العروض ، وقطعـاً

(*) الضوء اللامع للسخاوي .

متفرقة من التلويح للخجندي في الطب ، ثم درس الطب مفصلا بانواعه ، على اسماعيل التبريزي ، والسراج البلادري ، حتى برع فيه ، واجاز له كل من شيخيه في الطب الاقراءات والمعالجة ، واثنيا عليه كثيراً ، ثم اختص بالسراج البلادري فرغب له عن تدريس المارستان ، وجامع ابن طولون ، وامضى ذلك في حياته .

و كان ابن الخشاب انسانا حسن الخصال فصيحاً مقداماً ؛ لطيف العشرة ، ثقة شديد الثبت ، عالي الهمة ، وله نظم حسن ، وأدب جم ، فمن نظمه قوله :

في سبيل الله عمري ضاع في لهو شديد

لم احصل قط شيئاً نافعاً يوم الوعيد

لا ولا أمراً لدنيا من خيول وعبيد

غير أني اترجّى من إلهي ومُعيدي

رحمة لي ولآبائي ونسلي وجدودي

وقد توفي على ما ذكره السخاوي وغيره من المؤرخين في سنة ٨٧٣ هـ .

١٥٨ — محمد بن احمد البسطي (*) ٧٦٠ ـ ٨٤٢ هـ

محمد بن احمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الملقب شمس الدين البسطي القاهري .

ولد سنة ٧٦٠ هـ واشتغل بالعلم ، فاخذ عن مشايخ عصره ، ثم ارتحل الى مصر ، فاخذ عن المغربي المالكي ، ولازمه نحو عشر سنين ، ثم اخذ عن العزّ بن جماعة وعن ابن خلدون ، وكثير من علماء المعقول والمنقول ، حتى برع في الفقه والاصلين والعربية واللغة ، والمعاني والبيان والمنطق ، والحكمة ، والجبر والمقابلة ، والطب بجميع فروعه ، والهيئة والهندسة والحساب ، فكان فريد عصره في العلوم العقلية والطب ، لكنه كان شديد الفاقة ، ولربما مضت عليه ايام وليال ، لم يجد فيها درهما

(*) البدر الطالع ج ٢ للشوكاني

يقتات به ، فيضطر الى بيع نفائس كتبه ، ليعتاش قليلا ، ويسد رمقه ، غير انه لما تولى التدريس في أواخر أيامه ، ثم قضاء المالكية ، حسنت حاله ، ثم سافر مع السلطان مراراً ، وحج مكة ، وجاور البيت مدة سنة كاملة ، وكان يكثر فيها العبادة والتلاوة ، وينشر العلم على اهلها ، حتى تزاحم روّاد العلوم عليه من كل جانب ، وفيهم الأئمة والعلماء والفضلاء وهكذا كان فى آخر عمره ، رفيع المنزلة ، وسيع الحال ، محترما مشغولا فى بثّ العلوم حتى توفي سنة ٨٤٢ ه فى القاهرة .

وله تآليف كثيرة فى الفقه ، والكلام ، والمعاني والبيان ، وله نظم بديع حسن ، من ذلك قوله :

ولم انس ذاك الأنس والقوم هجع ... ونحن ضيوف والقِراء منوّع

وعشاق ليلى بين باك وصارخ ... وآخر منهم بالوصال ممتع

وآخر فى الستر الالهي متيم ... تغوص به الأمواج حيناً وترفع

وآخر قرت حاله فتميزت ... معارفه فيما يروم ويدفع

وآخر افنى الكون عن كنه ذاته ... فكل الذي فى الكون مرأى ومسمع

وآخر لا كون لديه ولا له ... رقيب يلاحظه (١) يثني ويجمع

١٥٩ محمد بن احمد الحتاتي (*) ٠٠٠ ــ ١٠٥٢ ه

محمد بن احمد بن حسن الطنباري الشهير بالحتاتي ، نشأ بالقاهرة ، واخذ عن علمائها ، فزهى روض ادبه اليانع بما حير الرائي والسامع ، ثم رحل الى الروم ومكث بها مدة طويلة ، ولم يسعفه الدهر بما يروم ، فتنقل في المدارس وصار رئيس الأطباء فى « اسكي سرايا » ثم رجع الى القاهرة متولياً قضاء « اسيوط » ثم تولى قضاء « الجيزة » فكانت بها منيته وتوفي سنة ١٠٥٢ ه .

قال الخفاجي فى ريحانة الالبا : هو ريحانة الندمان ، وفاكهة الخلطاء والاخوان

---

(١) كذا ورد في الاصل

(*) خلاصة الاثر ، معجم الاطباء ، ريحانة الالبا

مهر فى الفنون فاتى بما تلذبه الأسماع وتقر به العيون لاسيما في الطب والحكمة فانه كان فيهما ذا همة ، ولما غلب عليه الهوى سقط نجمه من أفق السعادة ، وهوى فلم ينتبه حظه بغير قهقهة القناني ، ودغدغة المثالث والمثاني ، الا ان له شعراً يحط من شعر الخطيئة ، ويبلد لبيداً ، وذهناً يدع اياس من الذكاء في اياس ، ومن شعره قوله :

عمر الفتى قالوا زمان الرضا … بالصفو والأحباب واليسر
صدّقت ما قالوه كي يقبلوا … لينظروا شيخاً بـلا عمر

وله ايضا قوله :

اجلّ الله اعطاف الحبيب … وانبع قامـة الغصن الرطيب
وانبت وردها غضاً طريـاً … يسبحه بريحان القلوب
ولا زالت شمـائله نشاوي … برنحه كغصن فى كثيب
ويعطفهـا نسيم الشوق حتى … تميل الى معانقـة الحبيب
وروّى ارضها سحراً مطير … بغيث من سما جفن صبيب

وقال ايضـاً :

استرجـــع الله ازماناً مضين لنا … فى غفلة الدهر او في يقظة العمر
حيث التصـابي معقود اللواء على … جيش من الامر بين الامن والظفر

وله من المؤلفات : حاشية على تفسير البيضاوي والأشفار على الأشـفار وهي رحلة جميلة وتعليقات فى فنون الحكمة الى غير ذلك .

١٦٠ محمد بن بدر الدين القوصوني (*) ...

محمد بن بدر الدين القوصوني ذكر الخفاجي فى ريحانته فقال : هو سمـاء مجد اشرق بدرها ودر تسحائبها ، فيا له من بدر فى سماء الكمال وحيد ، وهكذا يصفه بهذا وامثاله الى ان يقول : وهو في الطب رئيس لم يخرج عن القانون ، وفارس فى

(*) ريحانة الالبا للخفاجى

حليته لا تدركه سوابق الظنون؛ فلو راجعه الهلال لابرأه من المحاق والدنف، بلا تكلف من وصمة البرص والكلف .

ارتحل الى فخر آل عثمان، المرحوم السلطان سليم، فاعتكف عنده في حرم الاحسان، فاصطاد في حرمه او ابد الكرم، فواعجباً أنى حل له الصيد في الحرم فداوى سقامه، وقبل النقرس اقدامه، وله اثار ومآثر لها الدهر مستزيد، والمجد سامعله مستفيد، منها ما كتبه لفضل الله الرومي، وقد اهــدى له شرح الموجز للنفيس بن عوض، فقال

سطور اودعت بطن الطروس	ام السحر المؤثر في النفوس
ومكتوب بديع اللفظ وافى	ام الصهباء تجلى في الكؤس
قرأناه فانشانا كأنا	طربنا باحتساء الخندريس
فقبلناه تعظيما وشوقا	لمنشئه الرئيس بن الرئيس
تفضل ثم كاتب عبد رق	فاعتق رقه من كل بوس
ولم يقنعه اهــداء القوافي	تحلت بالجواهر كالعروس
فزاد هدية اخرى فاهلا	وسهلا بالنفيس ابن النفيس
أبا الفضل ابن ادريس فأكرم	به نسبا يضئ ضيا الشموس
قبول العـذر مأمول فاني	اجبتك عن جليلك بالخسيس
وهل ابكار فكرك لائق ان	تقابل بالعجوز الدرديس
بقيت الدهر مسروراً مهنا	وشانئك المعنى في عبوس

ولم يذكر سنة وفاته، غير ان اكثر المؤرخين على انه كان من اطباء العصر المغولى منهم الاستاذ جرجى زيدان في كتابه «الية اللغة بعرداب»

وقد الف لابى نصر الغوزى كتاب ــ كمال الفرحة فى دفع السموم ــ وحفظ الصحة فى السموم ايضا

١٦١ — محمد بن جنكلي الطبيب (*) ٦٩٧ – ٧٤١ هـ

محمد بن جنكلي بن محمد بن البابا بن خليل بن جنكلي بن عبـد الله الطبيب ، ولد سنة ٦٩٧ في ديار بكر وقدم مع والده القاهره ، وتفقه للحنفية ، وسمـع من الحجار ، والوافي ، وآخرين غيرهما ، وحدث ، واشتغل في عدة فنون ، وتخرج على ابن سيد الناس ، وصار علامة في معرفة فقه السلف ومعرفة مذاهبهم ، مـع مشاركه في العربية ، والطب ، والموسيقى ، وكان له فهم وذوق جيـد في الادب يهتز للفظ السهل ، ويطرب للنكات الادبيـة ، ويستحضر من مجون ابن حجاج جملة وكان عارفا بالشطرنج ، والنرد على انه كان كثير البر والايثار لأهل العلم والفقرآء حسن الخلق والخلق والمحاضرة ، كثير التواضع ، رقيق القلب ،

خالط ابن سيد الناس ، وتأدب عليه ، وتخرج في معرفة الرجال ، ومذاهب السلف ، ومن صفاته انه كان دائماً متيماً بمن يهواه ، يذوب صبابة ، ويفنى وجداً مع العفة والصيانة ، وكانت وفاته في رجب سنة ٧٤١ هـ

وله نظم متوسط ، منه قول :

بك استجار الحنبلى محمـد بن جنكلى
فاغفر له ذنوبه فانت ذو التفضل

ولم نعثر على غير هذين البتين من النظم

١٦٢ — محمد بن الحسن ابن الكتاني (*) ٠٠٠ – ٤٢٠ هـ

محمد بن الحسن «١» المدحجي ابوعبدالله المعروف بالكتاني الاندلسي القرطبي الطبيب

قال الحموي : ذكره الحميـدي في تاريخ الاندلس ، ان له مشاركة قوية في علم الادب ، والشعر ، وله تقدم في علوم الطب والمنطق ، والكلام ، وله رسائل في

(*) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (*) معجم الادباء ، عيون الانباء وغيرهما «١» وقال ابن ابي اصيبعة محمد بن الحسين

كل ذلك ،وكتبه معروفة ، مات بعد الاربعمائة ، وله كتاب : محمد وسعدي.
مليح في معناه ،

قال صاحب معجم الاطباء عن بغية الملتمس وتاريخ الذهبي وعيون الانباء
انه اخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وخدم الوزير المنصور محمد بن ابي عامر
وابنه المظفر وانتقل في الفتنة الى (سرقسطه) واستوطنها وكان بارعا فى الطب
عارفا بالمنطق والنجوم وكثير من العلوم للاوائل وكان من الاذكياء الموصوفين
واخذ المنطق عن ابن عبدون وعمر بن يونس الحراني وعن الحمار السرقسطي واحمد
بن حفصون الفيلسوف وكثير غيرهم وتوفي قريباً سنة ٤٢٠ هج وكان له بضع
وسبعون سنة .

وأخذ عنه ابو محمد بن حزم والمصحفي وله مصنفات فائقة وكان اديباً بارعا
ناثراً ناظما ومن بديع نظمه قوله

الا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل ... وبانت ليالي البين واشتمل الشمل
فسعدى نديمي والمدامة ريقها ... ووجنتها روضي وقبلتها النقل

وله ايضاً قوله

نأيت عنكم فلا صبر ولا جلد ... وصحت واكبدي حتى مضت كبدي
اضحى الفراق رفيقاً لي يواصلني ... بالبعد والشجو والاحزان والكمد
وبالوجوه التي تبدو فانشدها ... وقد وضعت على قلبي يدي بيدي
اذا رأيت وجوه الطير قلت لها ... لابارك الله بالغربان والصرد

١٦٣ — محمد بن الحسن الطوبي(*)...

محمد بن الحسن الطوبى ابو عبدالله الصقلي نحوى ادبي تلمذ في النحو على نفطويه
وفى الطب على ما سويه جامع الفضائل عالم بالرسائل وكلامه فى نهاية الفصاحة وشعره

(*) معجم الاطباء عن انباء الرواة

في غاية الملاحة وله مقامات تزرى بمقامات الربيع الهمداني كأنها زهر الربيع وكأن شعره طوع عنانه وخديم جنانه وقد مدحه ابن القطاع الصقلي النحوى بقوله

ايها الاستاذ في الطب واعراب الكلام
لك فى النحو قياس لا يساميه مسام
ثم فى الطب علاج دافع الداء العقام
انت فى النثر البديهي وفي النظم الملام
فاضل الآباء والنفس عظامى عصامي

وله شعر بديع جميل منه قوله

اخشى عليك الحسن يامن به — اصبح كل الناس فى كرب
الا ترى يوسف لما انتهى — فى حسنه القي في الجب

وقال فى صبى نصراني اسمه نسطاس

اقول وقد مر نسطاس بي — وقلبى به في عذاب اليم
وقد ماس كالبان فوق الكثيب — واقبل يرنو بالحاظ ريم
لان كان في النار هذا غدا — فانى احب دخول الجحيم

وله ايضا في غلام اسمه حسن

انظر الى حسن وحسن عذاره — لترى محاسن تسحر الابصارا
فاذا رأيت عذاره في خده — ابصرت ذا ليلا وذاك نهارا

ولم نعرف سنة وفاته غير ان المؤرخين اجمعوا على انه كان موجوداً في سنة ٤٥٠ هج في صقليه واظنه عاش بعدها مدة كثيرة ؛ كما لم نعرف له مؤلفاً ابداً

١٦٤ — محمد بن الحسين الأدفوى (*) ٠٠٠ — ٦٥٧هـ

محمد بن الحسين بن ثعلب موفق الدين الادفوي خطيب ادفو

(*) الطالع السعيد

كان من ذوي المكارم والمروءة والفتوة واسع الصدر كثير الاحتمال وقد رأيته مرات كان يأتي الى جماعة من اقاربه فيسمعهم يشتمونه وينالون منه فيرجع ويأتي من طريق آخر حتى لايتوهموا انه سمعهم فيلاطفهم ويعطف عليهم ويسألهم عن حالهم

وكان شاعراً ناثراً خطيباً ناظما طبيباً ماهراً له مشاركة في الطب وغيره ومعرفة بالتوقيع وكان يكتب خطاً حسناً ـ الى ان يقول صاحب الطالع السعيد : ووقفت له على كتاب لطيف تكلم فيه عن التصوف والفلسفة

وكان يمشي للضعفاء والرؤساء ويطبهم بغير اجرة وقد توفي سنة ٦٩٧ هـ في ادفو

ادبه وشعره

لقد كان المترجم مع فضله وعلمه اديباً كاملا وناثراً ناظما وفصيحاً بليغاً ومن شعره وقد كان وصياً عن ابن عمه ولما وفى دين الميت بقيت عليه من الديون خمسة وعشرون اردبا من التمر وكانت قد وقفت للديوان فشدد الغرماء عليه في الطلب فانشأ قوله

وقفت علي من المقرر خمسة مضروبة في خمسة لاتحقر
من تمر ساقية اليتيم حقيقة ليت السواقي بعدها لاتثمر
صمت النصارى بينهم رهبانهم وانا الخطيب وذمتي لاتخفر

واجتمع يوما جماعة بالجامع وعملوا طعاما فطلبوا المؤذن ولم يطلبوا الخطيب فقال :

وكيف ارتضيتهم بما قد جرى يجيء المؤذن دون الخطيب
امنتم من الاكل ان تمرضوا وتحتاج مرضاكم للطبيب

ومدح عماد الدين على الثعلبي بقوله من قصيدة

بانت سعاد فاضحى القلب في شغل مستأسراً في وثاق الاعين النجل

حكمتها فاستعدت للنوى صلفاً | فصرت دهرى لفرط البين في وجل
حذرت من بينها دهري فاذهلني | شيئان لم يكنا (١) من قبل في املي
هجر وجور فهل لي من يساعدنى | يا للرجال لقد حيرت في عمل
اذا الخطوب الت بي مبرحة | فليس يكشفها الا العماد على
نوال كفيه بحر خاض لجنه | ذل العفاة ففازوا منه بالامل

ولم يقف له على مؤلف ولا سنة ولادة

١٦٥ — محمد بن الحسين بدر الدين الصنعانى (*)

١٠٦٢–١١٢٩ هجـ

محمد بن الحسين بن الحسن بن المنصور بالله القاسم بن محمد بدر الدين الصنعاني الطبيب ولد بصنعا سنة ١٠٦٢ هجـ وهو احد اعيان العصابة المنصوريه وفضلائهم في صنعا عالم طبيب وشاعر اديب تنقطع دونه الكميت السابق وتغدو عن كماته الغر الجياد نواهق

قال الشوكاني : لقد اخذ العلم عن جماعة من علماء عصره ومن الواردين الى اليمن كالشيخ صالح البخرانى الطبيب فقد اتقن عليه الطب اتقانا برع فيه ثم اخذه عن استاذه محمد صالح الحكيم

وقال صاحب نسمة السحر : واخذ العلوم عن عدة من علماء عصره من العرب والعجم آخرهم الشيخ صالح البحرانى نزيل الهند واتقن الطب ومواده كالاعشاب على اربابه من افاضل العجم ثم عن الحكيم الشهير الكيلاني نزيل اليمن

مؤلفاته

اما مؤلفاته فقد قيل انها كثيرة ولكننا لم نعثر الا على مؤلف واحد ذكره الشوكاني فى البدر الطالع ولم يزد عليه صاحب نسمة السحر وهو كتاب (الرسالة الكلابية) فقط

---

[*] نسمة السحر المخطوطة ، البدر الطالع «١» كذا ورد

ادبه وشعره : قال الشوكاني وله نظم حسن وفي نسمة السحر وله ادب جم و نظم جيد حسن ولكن من نظر الى كتاباته وسمع نظمه علم ان له اليد الطولى والمعرفة التامة فى الادب فمن ذلك قوله من قصيدة يتشوق بها الى النجف ويظهر فيها انه شيعى امامي اثنى عشرى

غص نقا فى الفؤاد ينعطف ... يثمر بـدراً يقله هيف
مصور في جبينه بلج ... وصاد عينيه تحتهـا الف

الى ان يقول

وان رأيت السحاب هامية ... فقل مرام المولع النجف
ففيه رمس مطهر هبطت ... عليه أملاك من له الصحف
فيه الامام الوصي حيدرة ... مولى البرايا ومن له الشرف
فيه شقيق الرسول شافعنا ... ونفسه ان توسط الطرف
فيه اخوه ومن فداه على ... فراشه ان رووا وان وصفوا
فيه الذي فى الغدير عينه ... وبخبخ القوم فيه واعترفوا

الى آخرها وهي طويلة جميلة

وذكر له صاحب نسمة السحر ابياتاً قال انه كتبها اليه وهى قوله :

قلب يحركه غرامه ... وجوى يسكنه سقامه
لله لهوى والتصابى ... والهوى ضربت خيامه
والحب يجمعنا بحب ... منية القلب التئـامـه
نشوان من خمر الصبا ... لا بالصبا يثني قوامـه

وقال انه ذكر في الوجيز انه توفي سنة ١١٢٩ هـ ومثله عن بغية المريد أيضاً

١٦٦ محمد ابن دانيال الطبيب الاديب (*) ٠٠٠ـ٧١٠ هـ

محمد بن دانيال بن يوسف شمس الدين الموصلي الخزاعي الاديب الحكيم الفاضل

(*) الوافى للصفدي ، آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، مجلة الثقافة ، خلاصة الاثر ، الدرر الكامنة ، عيون الانباء

الطبيب الماهر والكحال المنفرد بصناعته المعروف بابن دانيال

ولد فى الموصل و نشأ وتوفى فى القاهرة سنة ٧١٠ هج كما ذكره ابن حجر العسقلانى في الدرر الكامنة وجرجي زيدان في آداب اللغة العربيه ووافقهما اكثر المؤرخين خلافا المحبي في خلاصة الاثر فقد قال أنه توفي سنة ٧٠٨ هج

وهو ممن تخرج على الاديب المصري الشهير عثمان بن سعيد بن تولو الفهري المتوفى سنة ٦٨٥ وبه تأدب وله معه حكايات كما في عيون الانباء

قال الشيخ صلاح الدين : هو صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة

وقال الصفدي : هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره وضع كتاب طيف الخيال بابدع طريقة فاغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة

قال جرجي زيدان في آداب اللغة العربية : ولابن دانيال كتاب سماه (طيف الخيال) في معرفة (خيال الظل) فريد في بابه وصف فيه لعبة خيال الظل المعروفة عند السوريين (كراكوز) وهي كالرواية الهزلية فيها كثير من المجون او الخلاعة و الالفاظ البذيئة ولولا ذلك لكانت من قبيل الروايات التمثيلية التى يندر مثالها بالعربية في ذلك العهد

قال الاستاذ فؤاد حسنين فى مجلة الثقافة عند ذكر تاريخ خيال الظل : وان ابتداء ظهوره كان في الهند باسم الادب السنسكريتى (تيره جاتا) ومعناه « اغاني الراهبات » وانه انتقل منها الى الصين ثم الى المسلمين ولعل اقدم اشارة في الادب العربي الى هذا الفن (الفن المسرحي) او (خيال الظل) حسب رواية صاحب (فوات الوفيات) هي الابيات الثلاثة المنسوبة الى وجيه الدين بن ضياء بن عبد الكريم الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادى وذكرها الابشهينى فى المستطرف وهي قوله:

رايت خيال الظل اعظم عدة لمن كان في علم الحقائق راقى
شخوصاً واصواتا يخالف بعضها لبعض واشكالا بغير وفاق
تجيء وتمضى بابة بعد بابـة وتفنى جميعاً و المحرك باقي

قال ومن كلام ابن اياس في تاريخه يفهم ان هذا الفن اصبح في مصر حرفة واصبح في استطاعة الخيال ان يعبر به عن الاحداث التاريخية لكن ليس معنى ذلك ان عهد المسرح المصري يرجع الى ذلك العهد فلدينا بعض المسارح المصرية التى يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر الميلادي مثل « لعب حرب السودان » و « لعب حرب العجم » و « لعب المركب » و « لعب الدير » واخرى وضعت فى القرن الثالث عشر وهي تعتبر احسن ما كتب في هذا الفن اعنى (فن الادب المصري المسرحي) وهي (خيال الظل) و (عجيب وغريب) و (ميتم) وكلها من وضع الأديب المسرحي الشيخ شمس الدين ابى عبدالله محمد بن دانيال الخزاعي الموصلي : وكان طبيباً مصريا للعيون و شاعراً من اهم الشعراء الذين عرفتهم الكتابة في ذلك العصر

اما مسرحياته فكلها كانت هزلية وهي من مخلفات العصور الوسطى وقد وضعها ايام الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٧ م كما يتضح ذلك من مقدمته المسرحية الأولى المعروفة (بطيف الخيال)

اما اللغة التى كان يستخدمها ابن دانيال فى تـأليفه هذه فهى الشعر والنثر المسجع ومن حسن الصدف ان تصوراته التمثيلية كانت تتفق والاحداث الواقعة وقد جعل موالفه فصولا نذكر لك بعضها

فقال ابن دانيال : لما قدمت من الموصل الى الديار المصرية فى الدولة الظاهرية سقى الله من سحب الأنعام عهدها واعذب مشارب وردها فوجدت مواطن الانس دارسة وارباب اللهو غير آنسة وقد هزم امر السلطان جيش الشيطان وقد تولي الخوان والي القاهرة اهراق الخمور واحراق الحشيش وتبديد الزور واستتاب

العلوق واللواطي وحجر البغاة والخواطي وشاعت بذلك الأخبار ووقع الانكار ، واختفى المسطول في الدار وقد اذى الخلاعة غاية الاذية وصلب ابن الكازروني وفي رقبته باذية فقلت فيه

لقد كان حد السكر من قبل صلبه   خفيف الأذى اذ كان فى شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي   ألا تب فان الحد قد جاوز الحد

ثم مشى فى حديثه فقال : فدعاني بعض اصدقائى الى محله وانزلني من عياله واهله واعتذر الي من تقصيره في الاكرام اذ لم يأتني بالمدام وقال : قد غلب على ظنى ان أبا مرة (الشيطان) قد مات وعد من الرفات فقم بنا نبكيه ونصف الحالة ونرثيه فابتدأت وقلت في معنى هذه الواقعة التى وقعت

مات ياقوم شيخنا ابليس   وخلا منه ربعه المأنوس
ونعاني حدسي به اذ توفى   ولعمري مماته محدوس
هو لولم يكن كما قلت ميتاً   لم يغير لأمره ناموس

ثم جعل ينتقل الى الخليعين والخليعات فيقول :

وفتى قائل لقد هان عندي   بعد هذا فى شربها التجريس
كم خليع يقول ذااليوم يوم   مثلما قيل قمطرير عبوس
وقضيب ونرجس وسعاد   باكيات وزينب وعروس
ذي تنادي حريفها لوداع   لاعناق لاضم لا تبويس

وهكذا ترى الافق يتسع امامه فيحلق فيه ويسجل لناحياة اللهو والفجور فى تلك العصور تصويراً دقيقاً رائعاً ثم يختم قصيدته بقوله :

ارحلوا هذه بلادعفاف   وسعود الخلاع فيها نحوس
من لنا بعد ذلك الشيخ الف   وسمير ومونس وانيس
لاترى فيه من فتى ضاحك   السن وكل يدوله تعبيس

وعلى هذا المثال واشباهه كان ابن دانيال يضع رواياته الهزلية التمثيلية البديعة

قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس : كان الحكيم شمس الدين ابن دانيال له د كان كحل داخل باب الفتوح فاجتزت عليه مع جماعة فرأينا عليه زحمة ممن يكحلهم فقال اصحابى : تعالوا نخايل على الحكيم فمنعتهم وقلت لهم : لاتشاكلوه تخزوا معه فلم يسمعوا وقالوا له ياحكيم تحتاج الى عصيات كثيرة يعنون بذلك ان هؤلاء الذين تكحلهم يعمون فيحتاجون الى العصى فاجابهم بسرعة نعم، الا اذا حصل فيكم من يقود قربة الى الله فمروا خجلين

وله من هذا القبيل من الاجوبة المسكتة بشيء كثير ينقله عنه المصريون

ادبه وشعره

لقد اجمع المؤرخون والمترجمون على طول باعه فى الادب وتقدمه في نظم الشعر الجديد فهو شاعر من الطبقة العالية واديب من عيون اهل الأدب وطبيب كحال من امهر الكحالين ومن شعره البديع قوله :

قد عقلنا والعقل اي وثاق ... وصبرنا والصبر مرّ المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلي ... فاضلا عند قسمة الارزاق

وقال وفيه من المداعبة الادبية اللطيفة مايدل على خفة روحه ورقة طبعه :

ماعاينت عيناى في عطلتى ... ادبر من حظي و من بختى
قدبعت عبدي وحماري وقد ... اصبحت لا فوقي ولاتحتي

وله موشح يعارض به الشاعر الشهير احمد الموصلي حيث يقول

غصن من البان مثمراً قمرا ... يكاد من لينه اذا خطرا . يعقد
بديع حسن سبحان خالقه ... مسك زكي الشذا لناشقه
ابيض ثغر يبدى لعاشقه ... شمس عذار يحير الشعرا
وفرع شعر يستوقف النهرا ... اسود

ياابابي شادنا فتنت به ... يهواه قلبي على تقلبه

مذ زارني التيه من تجنبه   احرمني النوم عندما نفرا
حتى لطيف الخيال حير سرى   قيد
جوى اذاف الحشا فحرقني   ونيل دمعي جرى فغرقني
لكنه بالدموع خلقني   فرحت امشي في الدمع منحدرا
ذاك لاني غدوت منكسرا   مفرد

وقال وقد ابطلت المسكرات على عهد حسام الدين لاجين قصيدته الرائية المشهورة مداعباً

احذر نديمي ان تذوق المسكرا   او ان تحاول قط امرا منكرا
لاتشرب الصهباء صرفا قرقفاً   وتروز من تهواه الافي الكرى
انا ناصح لك ان قبلت نصيحتي   اشرب اذا مارمت سكرا سكرا
والرأي عندي ترك عقلك سالما   من ان تراه بالمدام تعيرا
ذي دولة المنصور لاجين الذى   قهر الملوك وكان سلطان الورى
اياك تأكل اخضراً في عصره   ياذا الفقير يصير جسمك احمرا
والنرد يا مسعود دعه جانباً   واشرب من اللبن المخيض مبكرا
وبني حرام فاحفظوا ايديكم   فالوقت سيف والمراقب قددرى
توبوا وصلوا داعيين لملكه   فبه تنالون النعيم الاكبرا

وله في الغزل قوله

يارشا لحظه الصحيح العليل   كل صلب بسيفه مقتول
لك ردف غادرته رهن خصر   وهو رهن كما علمت ثيقل

وقال

يالائمي في العذار مهلا   فانت بالعذل لي مهيج
الحسن قد زادني غراما   اذ رقم الورد بالنفسج
وكل ديباج خد ظبي   ان لم يكن معلما تدحرج

وله في الشيخ ابي ثعلبة وقد ترك الغناء واللهو وتصوف قوله

لطمت بعدك الخدود الدفوف ... وتحامت تلك الصروف الكفوف
وعلت ضجة المواصل «١» حزناً ... والندامى على السرور عكوف
وجرت ادمع الرواويق حتى ... عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمع وهو من سيلان الدمع ... انسان عينه مطروف
يا امام الملاح دعوة قاض ... في قضايا المجون ليس يحيف
كيف ذقت الخشوع هل هو حلو ... يا حريفي بالله ام حريف
تبت لله توبة الشيخ ان الزهـد ... لا يحتوي عليه الضعيف
لا تكن راسب القر فلا يرسب ... وسط القر الا الكثيف
واذا ما خلوت في خلوة المسجد ... قل للمريد عندى ضيوف
واذا ما أخرجت كيسك بالمعلوم ... قل للحضور هذا سفوف
حبذا زهدك التليد فما ... إنت ترى في الشيوخ الاطريف
اترجى منك الرجوع قريبا ... طمعا فيك والمحب عطوف

وذكر له صاحب معجم الاطباء قوله ونسبه غيره الى امية ابن ابي الصلت الطبيب الشهير

ياسائلي عن حرفتي في الورى ... وضيعتي فيهم و افلاسي
ما حال من درهم انفاقه ... ياخذه من اعين الناس

وقال ايضاً

كم قيل لي اذ دعيت شمساً ... لا بد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داءاً ... يرقي الى السطح من ضلوعي

وله غير هذا شعر كثير لا يسعنا ذكره في هذا المختصر

---

(١) جمع موصول وهو عند المولودين نوع من المزامير مشهور كما في (شفاء الغليل للخفاجى)

١٦٧ - محمد بن زكريا الرازي (*) ٢٨٢ - ٣٦٤ هـ

هو محمد بن زكريا ابو بكر الرازي الطبيب الكمياوي الشهير . ولد في الري سنة ٢٨٢ ه وهي قرية قريبة من عاصمة ايران الحالية ﴿ طهران ﴾ ونشأ بها . قال ابن ابي اصيبعة : كان الرازى في اول امره صيرفياً ، وكان معاصراً لاسحق بن حنين الطبيب الفيلسوف الشهير وعاش حتى زمن ابن العميد وقدتعلم الطب وهو ابن اربعين سنة وقيل ثلاثين سنة وقد غادر مسقط رأسه (الرى) الى بغداد ، عاصمة العلم آنذاك وفيها درس الطب على الحكيم ابى الحسن علي بن زيد الطبرى صاحب « فردوس الحكمة » ثم اخذ في التدريس والعلاج وكان ذكيا فطنا مدققاً فى غوامض المسائل متطلعاً لما دونه العلماء قبله حتى اشتهر وطارصيته وقد كان قبل تعلمه الطب حينما كان فى الرى ولعاً بالعلوم العقلية والادب ونظم الشعر حتى اذا ورد بغداد واقبل على دراسة الطب ترك الشعر الا نزراً قليلا

وقال القفطي : ابوبكر الرازي هو طبيب المسلمين بغير مدافع واحد المشهورين فى علم المنطق والهندسة وغيرها من علوم الفلسفه وهو الذي قيل فيه وفى جاليوس وابن سينا : كان الطب معدوما فاحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازى وكان ناقصاً فاكمله ابن سينا

وفى كتاب تاريخ الطب في العراق : وعلى يده (اى الرازى) بلغ الطب العربي في العراق ذروة النضج وكان المؤرخون يصفون الرازى - بالبيمارستاني - لتفرده بالطب السريرى

وقال ابن عبرى في تاريخه مختصر الدول كان الرازي اوحد دهره وفريدعصره في المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب كبير الراس مسفطة لم يفارق النسخ والكتابة

(*) القفطي تاريخ الطب العراقي ، محبوب القلوب ، تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، تتمه صوان الحكمة

فهو اما ان يسود واما ان يبيض وكان كريماً متفضلا باراً حسن الرأفة بالفقراء حتى كان يجري عليهم النفقات الواسعة ويمرضهم مجاناً

سبب تعلمه الطب

قال قطب الدين اللاهيجي فى محبوب القلوب عن ابي سعيد زاهد العلماء فى كتابه (البيمارستان)

ان سبب تعلم الرازي لصناعة الطب هو انه دخل ذات يوم عند دخوله بغداد الى البيمارستان العضدي ليشاهده واتفق ان ظفر برجل صيدلاني فسأله عن الأدوية ومن كان المظهر والموجد لها فى البلد . فقال له : ان اول دواء عرف فى العالم هو (نبات حي العالم) ، وذلك ان (اقلولن) سليل «اقليدس » كان به ورم في ذراعه وكان يؤلمه كثيراً ، وقد ازمن معه وذات يوم وقد ارتاحت نفسه للخروج الى شاطئ النهر امر غلمانه ان يحملوه الى شاطئ نهر كان هذا النبات نابتاً عليه ، ولما جلس خطر في ذهنه لشدة ألمه ان يضع من هذا النبات على موضع ألمه ففعل لاعن قصد تام فخف ألمه ولما اصبح في غده فعل مثل ذلك فنقص الألم أيضا ، وهكذا كرر ذلك حتى برئ تماماً ، ولما رأى الناس سرعة برئه وعلموا انه كان من هذا النبات سموه « حياة العالم » ثم تداولته الالسن فخفف حتى صار « حي العالم » ، وبعد ذلك اخذوا يجربون غيره فظهرت الأدوية من النباتات وشاعت

فلما سمع الرازي ذلك اعجب به ثم دخل البيمارستان مرة ثانية فرأى صبيا مولوداً بوجهين وراس واحد فسأل الأطباء عن سبب ذلك فاجيب ، ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويجاب فيعلق بقلبه حتى شغف بالطب وتصدى لتعلمه واخذ يدرس ويطالع ويسأل ويدرّس حتى برع فيه وحتى قيل له جاليوس العرب .

قال البيهقي في تتمة صوان الحكمة : ان سبب تعلم الرازي للطب هو ان عينيه رمدتا بسبب ابخرة العقاقير التي كان يستعملها في الاكسير – وكان يعمل الكيميا قبل الطب – فذهب الى طبيب ليعالجها فطلب منه خمسة دنانير لمداواتهما فدفع المبلغ وقال : هذا

هو الكيميا لاما اشتغلت به انا ، ثم ترك صناعة الاكسير واشتغل بالطب حتى نسخت تصانيفه تصانيف من قبله من الاطباء

ولما بنى عضد الدولة البيمارستان العضدي المعروف باسمه في بغداد وانتخب له اطباء كان الرازي في مقدمتهم بل رئيسهم

هذا ماذكره كثير من المؤرخين ولكن ابن جلجل الاندلسى ذكر في كتابه تاريخ الحكماء ان عضد الدولة لم يدرك زمن الرازي وانما كان الرازي يدير بيمارستان المكتفي العباسى في بغداد وكانت وفاته كما ذكر في تاريخ الطب في العراق سنة ٣٦٤ هـ عن ٨٢ عاماً وهناك اقوال اخر لا تعتبر

خلقه وخلقه

كان ابوبكر الرازى شيخاً مهاباً كبير الرأس مسفطه جميل الطلعة يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة في عينيه كانت تحصل له من كثرة اكل الباقلا ومن صفاته انه كان متفضلا رؤفاً بالفقراء ولا سيما المرضى منهم حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم كما انه كان دقيق الملاحظة صحيح النظر وقد روى عن ذكائه واصاباته في التشخيص والعلاج نوادر كثيرة

وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون فكان يجيء المريض فيصف مايجده الى اول من يلقاه فان كان عنده علم والا تعداه الى غيره فان اصابوا والا تكلم الرازى هو نفسه فاذا فحصه هداهم الى مرضه وعلاجه

وقد كف بصره في اواخر ايامه وقيل قبل موته بسنتين وذكروا في سبب عماه روايات كثيرة اشهرها أنه الف للامير منصور بن نوح صاحب كرمان كتابا في الكيميا وقصده به طلباً للجائزة فاكرمه الامير واجازه غير انه طلب منه استخراج الذهب على الطريقة التي كان قد ذكرها هو فى كتابه فلم يتمكن واعتذر عنده بان ذلك يحتاج الى مواد عسرة الحصول فوعده بايجاد كلما يطلب مهما كلف الامر واخيراً اظهر عجزه فغضب الامير وقال اذا لم تقدر انت على تطبيق كتابك فكيف

من هو دونك واني لا ارضى لحكيم مثالك ان يخلد الكذب ويشغل الناس بما لا فائدة فيه ثم أمر بان يضرب بالكتاب نفسه على رأسه حتى يتقطع فكان ذلك الضرب سبباً لنزول الماء في عينيه ثم جهزه وسيره الى بغداد

قال العبرى فجاؤوه بكحال ليقدح عينيه فسأله الرازى عن العين وطبقاتها فقال لا اعلم فقال الرازى لا يقدح عيني من لا يعلم وقيل له لو قدحت لكنت ابصرت فقال لا لقد ابصرت في الدنيا حتى مللت .

وقد اختلف في معتقده فابن جلجل يقول في تاريخه : كان ابو بكر الرازي مسلم النحلة طبيباً اديباً بيمارستانياً وقال القفطي في تاريخ الحكماء ، وقطب الدين في محبوب القلوب ، وصاعد في طبقات الامم : كان مسلماً الا انه توغل في العلم الالهي وما فهم غرضه الاقصى فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة وذم اقواما لم يفهم عنهم شيء ولاهدي بسبيلهم وهو الى جانب نقصه في الدين كان يكيد للاديان جميعاً وكان يطعن في النبوة وقد رد عليه ابو حاتم الرازي في كتابه « اعلام النبوة » لقوله ان النبوة سبب في العداوة والهلاك للبشر .

وفي تاريخ الفلسفة في الاسلام : ان الرازي لم يكن يحفل باوامر الشريعة كتحريم الخمر وما اليه ويظهر ان نزعته الاباحية هي التي ادت الى التشاؤم عنده

وقال في الهامش ص ٩١ منه : يقول ابن ميمون في كتابه « دلالة الحائرين » ان للرازى كتاباً مشهوراً اسمه « الالهيات » ضمنه من هذيانه وجهالاته عظائم ومن جملتها غرض ارتكبه وهو ان الشر في الوجود اكثر من الخير وانك اذا قايست بين راحة الانسان ولذاته في مدة راحته مع ما نصيبه من الآلام والأوجاع والعاهات والمزامنات والانكاد والاحزان والنكبات لوجدت ان وجوده يعني الانسان نقمة وشر عظيم

وبالجملة فان الذي يفهم من مجموع اقوال المؤرخين انه كان مضطرب العقيدة والرأي في الدين

ميزته الطبية

لا ينكر ان الرازي كان مولعاً بالعلوم الحكمية وله فيها تصانيف كثيرة نفيسة خصوصاً علم الكيمياو مايتعلق به وله اكتشافات كيمياوية كثيرة نذكرها كما يلي :

فهو اول من اكتشف (زيت الزاج) المسمى اليوم « حامض الكبريتيك » ويدعى في اللغة العربية (الزاج الاخضر) وكان قبلا يسمى « زيت الرازى » وقد استخرجه من (كبريتات الحديد) وطريقة استخراجه لاتزال مستعملة كما هي وهو اول من استخرج الكحول واستحضرها من المواد النشوية والسكرية المختمرة

وهو اول من عرف الجدرى وعزل المصابين به فى مستشفاه وامر بعزلهم فى البيوت

وهو أول من عرف الامراض السارية

وهو اول من اخترع (الخلال) المعروف عند اطباء العرب وهوان يثقب الجلد ويمرر فيه خيط غليظ ليسيل الصديد من الدنبله او اي ورم اخر غيرها

اقواله الحكمية

ان للرازي اقوالا حكمية سامية المرمى لم تزل نصب اعين الحكماء والاطباء لغزارة مادتها وسمو مراميها منها قوله : الحقيقية فى الطب غاية لاتدرك والعلاج بما ضمنه الكتب دون اعمال الحكيم الماهر رايه خطر

من تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطر كل منهم

اذا كان الطبيب حاذقا والمريض مطيعاً فما اقل لبث العلة

عالج فى الابتداء بما لاتسقط به القوة

ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلا على الدنيا بكليته ولا معرضاً عن الآخرة بكليته

اذا قدرت أن تعالج بالاغذية ، فلا تعالج بالادوية

يجب على الطبيب أن يوهم المريض ابداً بالصحة ويرجيه بها لان مزاج الجسم تابع لاخلاق النفس الى غيرها

مؤلفاته

عرف الرازي بكثرة التأليف وجودتها ومتانتها وكانت كتبه الطبية اكثر استعمالا من غيرها في العصور الوسطى وقد ترجمت الى اللاتينية وظل الرازى حجة لاتنازع في اروبا حتى القرن السابع عشر وقدخلف اكثر من مائتي مؤلف لاتزال باقية منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفا اهمها : كتاب الحاوى اجل كتبه واعظمها ثلاثون مجلداً وقد نقله (فراغوت) الى اللاتينية وكان قد اظهره ابن العميد بعد موته اذ طلبه من اخته ورتبه تلاميذه ،ومنها الكناش المنصورى الذي نقله « الكريمونى » الى اللاتينية ايضا وقد صنفه الى المنصور صاحب خراسان ، وكتاب الحصبة والجدري وهو اول كتاب في هذين المرضين وقد نقل الى اللاتينية ايضا ، وكتاب المرشد والفصول في الطب نقل الى العبرانية وكتاب الكافي ونقل الى العبرانية أيضا وكتاب برء الساعة وكتاب الطب الملوكى وكتاب القراباذين وكتاب سر الاسرار في الحكمة وكتاب ايساغوجي وكتاب الطب الروحانى وكتاب في اللذة وكتاب الابصار وكتاب هيئة العالم الى غيرها

ادبه وشعره

لقد سبق ان ذكرنا عدول الرازي عن نظم الشعر بعد ان اقبل على دراسة العلوم وتوغل فى الحكمة والفلسفة الا النزر القليل والآن نذكر لك ماعثرنا عليه من نظمه وهو بيتان قالهما في اواخر ايامه وهما

لعمرى ما ادري وقد آذن البلى — بعاجل ترحال الى اين ترحالي

واين محل الروح بعد خروجه — من الهيكل المنحل والجسد البالي

وقد ضمنهما الشاعر البغدادي الشهير المرحوم (معروف الرصافي) في قصيدته اللامية التي عنونها (جالينوس العرب ابو بكر الرازي) وذكر فيها ترجمة الحكيم، وختمها بالبيتين المذكورين وقد نشرت فى مجلة المقتطف المصرية وهى قوله

الا لفتة منا الى الزمن الخالي — فنغبط من اسلافنا كل مفضال

تلونا اناسا في الزمان تقدموا ... وكم عبرة فيمن تقدم للتالي
الا فاذكروا يا قوم اربع مجدكم ... فقد درست الا بقية اطلال
الى ان يقول: ولما طويت الدهر بيني وبينهم ... على بعد ازمان هناك واجيال
فعدت باوساط القرون فجاءني ... ابو بكر الرازي فقمت لاجلال
فتى عاش اعمالا جساما وانما ... تقدر اعمار الرجال باعمال
حكيم رياضي طبيب منجم ... اديب وفي الكيمياء حلال اشكال
اتى فيلسوفا للنفوس مهذبا ... بافضل افعال واحسن اقوال
لقد طيب الارواح من داء جهلها ... كما طيب الأجسام من كل اعلال

ثم يقول

تولد عام الاربعين(١) الذي انقضى ... لثالث قرن ذي مآثر ازوال
الى زكريا ينتمي انه له ... أب تاجر في الري صاحب اموال
حتى يقول: تدرج في تلك المدارس ناشئاً ... مترجمنا يسعى بجد واقبال
تعلم فن الصوت بادئ بدئه ... ومارس تفصيلا به بعد اجمال
فكانت بموسيقى اللحون دروسه ... تغنى باهزاج وتشدو بارمال
وقد جاوز العشرين سنا ولم يكن ... بشيء سوى فن الغناء بميال
فرام ابوه منه تحويل عزمه ... بجذب الى شغل التجار وادخال
فقال له دعني مع العلم انني ... اذا ما امت الجهل احييت آمالي
وهل يستطيع المرء شغلا اذا غدا ... له شاغل بالعلم عن كل اشغال
هناك استقى الرازي من العلم شربة ... فجاد باعلال له بعد انهال
نضى همة في العلم مشحوذة الشبا ... جلت ما الحرب الجهل من ليل قسطال
وقد اكمل الطب المفيد قراءة ... على الطبري(٢) الحبر احسن اكمال

«١» فتكون ولادته على قوله سنة ٢٤٠ ه والصحيح كما ذكرنا سنة ٢٨٢ه حسب قول اكثر المؤرخين

«٢» يقصد علي بن زيد الطبري

ثم يذكر فصلا وافياً عن اسفاره ثم ينتقل الى ذكر مآثره العلمية ويقول

واصبح مشهوراً باسنى مآثر ... من العلم لم يسبق اليها واعمال

فان ابابكر لأول مفصح ... الى الناس بالدرس السريري مقوال

واول من ابدا لهم كيف يبتنى ... ويفرش مارستانهم قصد ابلال

والف في المستشفيات مؤلفا ... تقصي به في وصفها دون اغفال

ولم انس للرازي الكحول فانه ... يجدد طول الدهر ذكراه في البال

ومن عمل الرازي انعقاد لسكر ... وما كان في محصوله غير سيال

ثم يذكر فصلا في اخلاقه ثم يعود فيذكر عودته الى مسقط رأسه « الرى » بقوله :

ولما قضى الرازي يبغداد برهة ... مضى قافلا للرى شوقاً الى الآل

ثم يختم القصيدة بابيات يضمنها البيتين المذكورين للرازى فيقول :

واني وان اطنبت في بحر علمه ... لمقتصر منه على بعض اوشال

وها انا انهى القول لا لتمامه ... ولكن لعجزى عن نهوض باجبال

واجعل هذا الشعر مسك ختامه ... بما قال فى بيتين معناهما حالى

« لعمرى ما ادري وقد آذن البلى ... بعاجل ترحال الى اين ترحالى »

« واين محل الروح بعد خروجه ... من الهيكل المنحل والجسد البالى »

وقد شطرتهما انا فقلت

(لعمرى ما ادري وقد آذن البلى) ... اهل كان هذا الخلق فى الجهل امثالى

اتيت ولم اعلم وارحل جاهلا ... (بعاجل ترحال الى اين ترحالى)

(واين محل الروح بعد خروجها) ... أفي جنة ام في لظى ذات اشعال

فقد هبطت للجسم ثم تصاعدت ... (من الهيكل المنحل والجسد البالى)

وقال الصفدي ، فى كتابه « نكث الهميان فى نكت العميان » . وقلت راداً عليه في وزنه ورويته :

الى جنة المأوى اذا كنت خيراً ... تخلد فيها ناعم الجسم والبال

وان كنت شريراً ولم تلق رحمة　　من الله فالنيران انت لها خالى

١٦٨ ـــ محمد بن سليمان ابن الحناط (*) ٠٠٠ ـ ٤٣٧ هـ

محمد بن سليمان بن الحناط المكفوف ، الطبيب الفيلسوف والشاعر الاديب القرطبي المكنى ابو عبد الله الضرير .

قال ابن بسام : ابو عبد الله هذا زعيم من زعماء العصر ، ورئيس من رؤساء النظم والنثر ، وجمرة فهم لفحت وجوه الايام ، وغمرة علم سالت على الانام ، فكم له من وقدة لايبرأ اميمها ، ونكزة لايسلم سليمها وكانت بينه وبين ابي عامر ابن شهيد مناقضات فى رسائل وقصائد . اشرقت ابا عامر بالماء

وذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال : وفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة نعي الينا ابو عبد الله ابن الحناط ، الشاعر الضرير القرطبي ، بقية الادباء النحارير في الشعر ، هلك في الجزيرة الخضراء في كنف الامير محمد بن القاسم ، وهلك اثره ابنه الذى لم يكن له سواه ، بمالقة ، فاجتث اصله ، وكان من اوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام ، بصيرا بالآثار العلوية ، حاذقا بالطب والفلسفة ماهراً في العربية والآداب الاسلامية ، وساير التعاليم الاوائلية ، ولكنه كان موهناً في دينه مضطرباً في تدبيره ، سيء الظن بمعارفه ، شديد الحذر على نفسه ، فاسد التوهم في ذاته ، عجيب الشان في تفاوت احواله .

ولد اعشى الحملاق ، ضعيف البصر ، متوقد الخاطر . فقرأ كثيرا في حال عشاه ثم طفى نور عينيه بالكلية فازداد براعة ، ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً ، وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها الى مالا يهتدي اليه البصير الناظر بعينه ولم يخطأ الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط .

وكان يتطبب عنده الاعيان والملوك والخاصة ، فيعترفون له بالمنافع الجسيمه ، والنجاح

---

(١) الذخيرة لابن بسام ، معجم الاطباء

ادبه وشعره

كان ابن حناط من اشهر ذوي الفصاحة والبلاغة ، وانبغ الادباء المشهورين في عصره ، فكم له من رسائل ملئت فصاحة ، وسالت بلاغة ، مثل رسالته الى ابن دري ، ووصفه لرسالة الوزير ابي عمرو ابن الباجي ، وخطابه للمظفر ابن الافطس وغيرهم . اما شعره فنحن في غنى عن وصفه بذكر شيء منه . قال في ذيل رسالة :

كتبت على البعد مستجدياً ... لعلمي انك لا تبخل
فجاء الرسول كما اشتهي ... وقد كان فوق الذي آمل
وما كان وجهك ذاك الجميل ... ليفعل غـير الذي يجمل

وله ايضا قوله :

ولما اقال الله عثرتك التي ... قضى الله فيها بالنجاة وقدرا
تهلت الدنيا واشرق نورها ... واقبل سعد كان بالامس ادبرا

وله في الغزل

ومهفهف قلق الوشاح يروعه ... جرس السوار ويشتكي من ضيقه
وسنان خط المسك فوق عذاره ... لاماً فهمت الموت من تعريفه(١)
مزج المدام بريقه لما سقى ... فسكرت من فمـه ومن ابريقـه

وقال ايضا

لم يخل من نوب الزمان اديب ... كلا فشان النائبات تنوب
امسي قراراً للخطوب واغتدى ... غرضاً تفوّق نحوه فتصيب
واذا انتهيت الى العلوم وجدتها ... شيئا يعد به عليك ذنوب
ونضارة الايام تأبى ان يرى ... فيها لابناء الذكاء نصيب
ولذاك من صحب الليالي طالبا ... جداً وفهماً فاته المطلوب

---

(١) كذا ورد في الاصل

ومن نظمه قوله :

تفرغت من شغل العداوة والضغن | وصرت الى دار الاقامة والامن
أمقتولة الاجفان من دمع حزنها | افيقي فاني قد افقت من الحزن
فلله سيري يوم ودعت صحبتي | زماناً ولم اقرع على ندم سني
رحلت فكم من جؤذر وغضنفر | يروي الثرى من فضل ادمعه الهتن
وما عن قلى فارقت تربة ارضكم | ولكنني اشفقت فيها من الدفن

وله شعر كثير كله بديع جميل لم نذكر سوى قطرة من بحره وقليل من وفره.

١٦٨ ـ محمد بن صادق الخليلي ١٣١٨هـ ـ ...

مؤلف الكتاب

محمد بن الصادق بن الباقر الخليلي الطبيب الرازي النجفي ،

ولدت في النجف الاشرف سنة ١٣١٨هـ وبها نشأت ، ولما بلغت السابعة ، قرأت القرآن الكريم ، وشيئاً من العربية على المرحوم الشيخ جعفر المعلم الشهير ، ثم انتقلت الى المدرسة الاهلية « المدرسة العلوية » فاكملت فيها الدراسة الابتدائية ثم خرجت منها لتكميل العربية فدرستها على اخي ، الخليل بن الصادق ، وغيره من الفضلاء ثم رجعت الى نفس المدرسة المذكورة ، حتى انهيت الدراسة الثانوية المسماة يومئذ (بالاعدادية) مع قليل من الافرنسية ، ثم عدت الى الدراسة الخارجية فقرأت المنطق ، والمعاني ، والبيان ، ومعالم الاصول ، وشيئا من القوانين ، وكتاب شرايع الاسلام ، في الفقه ، لدى كثير من الفضلاء والعلماء ،.. ثم حضرت الطب على المرحوم والدي ـ وحيد هذا الفن يوم ذاك ـ فقرأت (القانونچه) للقوشجي وشرح نفيس بن عوض لموجز القانون ، ثم قانون ابن سينا ، الى غير ذلك وبعد ذلك حضرت على كثير من اطباء الفرس كوثوق الحكماء التبريزي ، ومسيح الاطباء ، وغيرهما

وكنت فى اثناء ذلك ، ازاول التدريس في نفس مدرستي السابقة ، فادّرس النحو ، والصرف والهندسة ، والحساب وحفظ الصحة ، وغيرها .

وبعدمدة غير قليلة ، لازمت عيادة والدي ، بقصد التمرين ، وتطبيق ما كنت اقرأه عليه ، كما كنت لا افتر عن مطالعة الكتب الطبية الحديثة ، والاطلاع على اقوال نطس الاطباء ، وعلاجاتهم ، واستعمال المستحضرات الطبية الجديدة ، لمعرفة اثرها ومفعولها فى الامراض .

واخيراً غادرت النجف الى بغداد ، فعكفت على الدراسة على بعض الاساتذة ولازمت الدكتور الشهير (عبد الرحمن المقيد) رئيس الوحدة العينية ، فى المستشفى الملكي ؛ لمدة سنة كاملة او اكثر ، فكنت احضر معه العمليات والمعالجات ، كمضمد معاون له .

ثم عدت الى النجف ، ولازمت والدي ؛ وعمي المرحوم الطبيب الشهير ، الحاج مرزا محمود الخليلي ، لمدة سنتين ثم فتحت لى عيادة خاصة فى الكوفة ، وبعد موت المرحوم والدي ، رجعت الى النجف ، وبقيت ازاول الطب تحت مراقبة الاطباء الرسميين ، حتى كتابة هذه الاسطر .

مؤلفاتى

من ثنايا هاتيك الاشغال ، والظروف غير المتجانسة ، انجزت بعض المؤلفات كان الذي طبع منها حتى الآن هو كتاب ـ معجم ادباء الاطباء ـ فى جزئين ، وسيتلوهما الجزء الثالث ، كمستدرك لهما بعونه تعالى . والاخرى المخطوطة هي ـ كتاب فى حفظ الصحة ، وارجوزة في الطب اليوناني ـ وارجوزة باسم (عندما كنت قاضياً) وهى نظم رسالة من وضع الاستاذ ـ جعفر الخليلي ـ صاحب الهاتف النجفية بهذا الاسم ،ورسالة في ذكر العادات الذميمة فى نظر الطب والدين والادب والتاريخ الى غير ذلك من رسائل صغار منوعة .

الشعر والتأدب

كان لزاماً على من ينشأ في محيط كمحيط النجف ، حافل بالادباء والمتأدبين ، متردداً على نواديهم ، مختلطا بهم ممتزجاً بارواحهم ، ان يكون واحداً منهم ، اوعلى الاقل متشبهاً بهم .

وهكذا كان ، فقد كنت منذ ترعرعت ، وعرفت الحياة الاديـــة ، شغوفا بمطالعة الكتب الادبية وقراءة الدواوين ، وحفظ ماراق لي منها ، محباً لاستماع مايلقى في الاندية ؛ وحلبات الشعر ، فكنت انظم البيتين والثلاثة ؛ واحيانا المقطوعـة ، ويحظر لي ان اول مانظمته ، وانا فى احد محافل الادب ، وقد كلفت من قبل اصحابي بذلك ، هو قولي :

لست ممن ينظم الشعر ولو كنت حاولت لاعياني شعورى
لي عما رمتموه مانع هو شغلي بسواه وقصورى

ومما قلته بعد ذلك تحت عنوان (اليتيم في العيد) هو :

بالسعد اقبل هذا العيد فابتهجت له نفوس ذوي الاثرآء والمال
وراح يرفل كل في ملابسه مابين اترابه في زي مختال
وعاد مكتئباً هـذا اليتيم به ثري دمع يواري ثوبه البالي
قداضرمت قلبه ناران فقداب وفقد مال فاضحى رهن بلبال
يكفكف الدمع اخفآء للوعته كي لايلاحظ مرموقاً باذلال
لاالعيد ابهجه كالناس اذفرحوا فيه ولا قلبه عن همـه سالي
يود ان لايجيء العيد تحزنه الافراح فيه بادبار واقبال

وقلت مجاريا قصيدة الشاعر المبدع ، السيد محمود الحبوبي (الاغنياء) والتي مطلعها :

ايها المثقل الخوان طعاما راق في العين منظراً ونظاما

بقصيدة تحت عنوان (الفقرآء) وهي قولي :

ايها المرسل الجفون دموعا　　ومذاب القلب القريح نجيعا
ألامر ذهلت حتى تركت الرفق بالطفل مذ نسيت الرضيعا ؟
وبجنبيك صبية يستغيثون جياعًا ولست ايسر جوعا
وعلى جانب الحصير فتاة　　عند ام احنت عليها الضلوعا
تتبع الزفرة الممضة دمعًا　　واسى اودع الفؤاد صدوعا
ليس تقوى ان تمنع الدمع حزنا　　وترى الخطب قددهاها فظيعا
تشتكي امّها الطوى ثم ترنو　　لابيها فتستميح الدموعا

* * * *

لاتفكر فليس للدهر فعل　　مستقيم مع البرايا جميعا
لاتفكر فرب يسر سيأتيك　　وعسر ياتى الغني المنوعا
لاتفكر بمؤسر ان سيبدى　　لك عطفا وان سجدت خضوعا
لاتفكر بان يفيق فيحنو　　أمن الصخر تطلب الينبوعا ؟

* * * *

فهو فى سكرة الغنى ودّع الرفق　　بابناء جنسه توديعا
ظن في نفسه جلالة قدر　　تستحق التقدير والترفيعا
كفر النعمة التي بك قدنا　　ل غناه منها وكان وضيعا
بك قد صار يرشف الكأس صرفا　　حين امسى بالمنكرات ولوعا

* * * *

دعه يمضى فى غيه لا يبالى　　فصروف الزمان تاتي سريعا
دعه يلهو فالمال سوف تراه　　بعد حين موزعًا توزيعا
دعه لايرعوي لحالك كبرا　　انما الدهر يخفض المرفوعا

فتجنب هذا الورى وتجلد   تدرك الخالق البصير السميعا
وتامل ذوى الثرآء الاولى قد   قطعتهم يد البلى تقطيعا

* * * *

هكذا الدهر اذ تراه وصولا   تارة لاتراه إلا قطوعا
يرفع الساقط الشحيح وضيعا   مثلما يخفض الشريف الرفيعا
فاعتبر ايها الفقير بحال   الدهر كي لاتبيت فيه جزوعا

١٦٩ — محمد بن طاهر السجستاني (*) ...

محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ابو سليمان الطبيب المنطقي . كان فاضلا فى العلوم الحكمية ومنها الطب متقنالها مطلعاً على دقائقها ، اجتمع بيحيي بن عدى الفيلسوف ، المعروف في بغداد ، فاخذ عنه ، وكان لابي سليمان هذا ايضا نظر في الادب والشعر ومن شعره قوله :

لاتحسدن على تظاهر نعمة   شخصاً تبيت له المنون بمرصد
أوليس بعد بلوغه آماله   يفضي الى عدم كأن لم يوجد
لو كنت احسدما تجاوز خاطري   حسد النجوم على بقاء سرمد

وله ايضا قوله :

الجوع يدفع بالرغيف اليابس   فعلىم اكثر حسرتي ووساوسى
والموت انصف حين ساوى حكمه   بين الخليفة والفقير البائس

وقال ايضاً :

لذة العيش في بهيمية الـ   لذة لاما يقـــوله الفلسفي
حكم كأس المنون ان يتساوى   في اجتساها الغبي والالمعي
ويحل البليد تحت ثرى الأ   رض كما حل تحتها اللوذعي

(*) عيون الانباء ج ١

اصبحا رمّة تزايل عنها فصلها الجوهري والعرضي
وتلاشى كيانها الحيواني واودى تميزها المنطقي
فاسأل الارض عنهما ان ازال م الشك والمرية الجواب الخفي
بطلت تلكم الصفات جميعا ومحال ان يبطل الأزلي

مؤلفاته :

ان للسجستاني هذا مؤلفاتا جمة ، كلها قوية المبنى متينة المعنى ، تدل على بعد غوره لاستخراج الحقائق والخفايا ،منها ـ مقالة في مراتب قوى الانسان وكيفية الانذارات التى تنـذر بها النفس فيما يحدث في عالم الكون ـ وكلام في المنطق ـ وتعاليق حكمية ـ وملح ونوادر ـ ومقالة في ان الاجرام السماوية ذات طبيعة خاصة وانها ذات انفس وان النفس لها هي النفس الناطقة ، الى غير ذلك من المقالات والكتب .

١٧٠ — محمد بن عباس عماد الدين الدنيسري

(*) ٦٠٥ ـ ٦٨٦ هـ

محمـــد بن القاضي الخطيب تقي الدين عباس بن احمد بن صالح بن عبـد الربعي الملقب بعماد الدين الدنيسري الطبيب الشهير ، ولد في مدينـــة « دنيسر » سنة ٦٠٥ هـ عن اب خطيب مصقع ونشأ بها واشتغل في علم الطب فيهـا اشتغا لا برع به وحصل على معانيه ، فحفظ الصحة حاصلة ، واستردها زائلة ، ثم سافر من (دنيسر) الى الديار المصرية ، ثم رحل الى الشام ، واقام بدمشق ، وخدم في المارستان الكبير النوري ، ولما كان في مصر صحب البها زهـير مدة وتخرج به في الادب والشعر والفقه على مذهب الشافعي .

قال ابن ابي اصيبعة : هو الحكيم العالم ، والاديب الاريب ، ذو النفس الفاضلة ،

والمروءة الكاملة ، والاريحية التامة والعوارف العامة ، والذكاء الوافر ، والعلم الباهر ، وقد اجتمعت به في ذى القعدة سنة ٦٦٧ ﻫ بدمشق ، فوجدته ذا نفس حاتمية ، وشنشنة اخزمية ، وخلق الطف من النسيم ، ولفظ اعلى من مزاج التسنيم ، وقد اسمعني من شعره النظم البديع معناه ، والبعيد مرماه ، وهو في الطب قد تميز على الاوائل والاواخر ، وفي النظم قد اعجز كل ناظم وناثر .

مؤلفاته

له من المؤلفات الشهيرة ـ المقالة المرشدة في الادوية المفردة ـ الدرياق الفاروقي ارجوزة ـ كتاب في المثريديطوس وارجوزة نظم تقدمة المعرفة للطبيب ابقراط ـ وديوان شعر كبير ـ

ادبه وشعره

ان ادبه وشعره لغنيان عن البيان ، لشهرتهما بين الاوساط الادبية ، حيث له من النثر البديع ، والنظم الرائق الرفيع مالم يغفل عنه مؤرخ اومترجم ، وهاك نبذة من شعره ، دليلا على ادبه ، وكمال اريحيته ، فمنه قوله :

عشقت بدراً مليحاً ... عليه بالحسن هاله
مثل الغزالة لكن ... تغار منه الغزاله
بعثت من نار وجدي ... مني اليه رساله
وقلت انت حبيبي ... ومالكي لامحاله
ولي عليك شهود ... معروفة بالعداله
جسمي يذوب وجفني ... دموعه هطاله

ومن قوله :

اسكنتك القلب المليء من الوفا ... وجعلت في سودآئه مغناكا
وقطعت عن كل الانام مطامعي ... وهجرتهم لما عرفت هواكا

وقال في مليح تعرضه للوصل بعد ماذهبت ملاحته

لما سألتك اشفاقا على كبدي نادى بك التيه لا تعطف على احد
ورحت تمرح في ثوب الجمال وقد تركتني واخذت الروح من جسدي
حتى اذا الدهر ادنى منك حادثه وانت تعجز عن ابعاده بيد
بعثت تطلب وصلي كي اعود وقد اخنى عليك الذي اخنى على لبد

وله ايضا قوله :

ان فاض ماء جفوني قلت من فكري عليه اوغاص دمعي قلت من ناري
وكلما رمت ان اسلو هواه ارى النار في حبه اولى من العار

وله دوبيت وهو قول :

يامن نقض العهـد مع الميثاق ها حسنك زائل ووجدي باقي
ان كنت غدرت فالهوى علمنى ان اسلك في الهوى مع العشاق

وله ايضا دو بيت

مولاي وحق من قضى لي بهواك ماأسعد يومي الذى فيه اراك
ان كان تلاف مهجتى فيه رضاك اتلف كبدي فالكل والله فداك

وقال متغزلا في عثمان .

سألت جميع الناس ظنا بانني ارى فيهم من يعرف الحق والصدقا
عن اسم مسماه تناهى جماله ومن هجره قلبي واعراضه يشقى
واحرفه لاشك خمسة احرف وكل صحيح الذهن يعرفه حقا
اذا زال منه الخمس والخمس واحد تبقى ثمان وهو اعجب مايبقى

وقال في الغزل ايضا :

ولقد سألت وصاله واجابني عنه الجمال اشارة عن قائل
في نون حاجبه وعين جفونه مع ميم مبسمه جواب السائل

ومثله قوله :

في صاد مقلته اذا حققتها مع نون حاجبه وميم المبسم
عذر لمن قد ضل فيه مولها فعلى م يعذل فيه من لم يفهم

١٧١ — محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب

(*) ٧١٣ ـ ٧٧٦ هـ

محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن احمد التلمساني (١) المكنى ابو عبد الله والملقب بلسان الدين ابن الخطيب

ولد ١٥ رجب سنة ٧١٣ هـ في غرناطة، قيل ان اصله من اسرة شامية نزحت الى الاندلس فاقامت في (لوشه) على مرحلة من غرناطة وفيها ولد لسان الدين ، ولما نشأ قرأ القرآن على ابي عبد الله بن عبد الولي العواد ، والعربية على ابي القاسم بن جزي وابن الفخار ، وتأدب على ابي الحسن ابن الجباب ، واخذ الطب والمنطق والحساب على يحيى بن هذيل الفيلسوف المعروف ، حتى برز في الطب وبذ اقرانه ، وتولع في الشعر فبرع فيه ، وترسل فاجاد وفاق اقرانه ؛ ثم اتصل بالسلطان ابي الحجاج يوسف ابن ابي الوليد ابن نصر الاحمر ، ملك غرناطة فمدحه وتقرب منه ، واستكتبه من تحت يد ابي الحسن ابن الجباب ، ولما مات ابن الجباب ، بالطاعون العام ، اشتغل هو مكانه بكتابة السر ، ثم استعمله السلطان ، في السفارة الى الملوك ، ثم استنابه في جميع ما يملكه ، ولما قتل السلطان ابو الحجاج الاحمر سنة ٧٥٥ وقام ابنه محمد الخامس مقامه ، استوزره ، ثم ارسله الى ابي العتاب المريني بفاس ليستنجده على حرب اخيه اسماعيل الاحمر فمدحه ، واهتز له ، واكرمه ابو العتاب ؛ ثم خلع محمد وقام بعده اخوه ، اسماعيل الاحمر ؛ فقبض على ابن الخطيب ، واستاصل نعمته وسجنه ثم شفع فيه ابو سالم بن ابي العتاب ، كما شفع في اخ الملك ، محمد المخلوع ، فاطلقا معاً

« * » البدر الطالع للشوكاني ، والاحاطه لابن حجر ، ومعجم الاطباء عن المقري (١) وقيل السلماني

وذهبا الى فاس ، الى ابي العتاب ، وبعد مدة ردّت اليه ضياعه في غرناطة ، بشفاعة ابي سالم ، ثم عاد السلطان محمد الى ملكه ، وعاد صاحب الترجمة معه ، وبقي في غرناطة هادئاً راضياً بالقناعة والراحة ، بيد ان اعدآءه وشوابه عند السلطان فسجنه ، بعد ان اثبتوا عليه عند القاضي ، انه تكلم بما ينافي الدين ، والمذهب ، والسياسية واخيراً خنق في السجن ليلا ، ثم اخرج ودفن ، وبعد ليلة وجد محروقاً على شفير قبره ، وحوله الحطب ، فاعيد الى قبر ثاني ، وكان ذلك في سنة ٧٧٦ هج

قال صاحب معجم الأطبآء عن المقرى انه قال : كان الذي تولى محنته وقتله تلميذه ، ابو عبد الله بن زمرك الذي كان لم يزل يضمر له الختلة ، مع انه كان قد حلاه فى الاحاطة باحسن الحلي ، ومن اعدآئه الذين باينوه بعد ان كانوا يسعون في مرضاته سعي العبيد ، هو القاضي ابو الحسن بن الحسن النباهي ، فقد جد في امره مع ابن زمرك حتى قتل ، ولذلك فقد سمي بعد قتله ودفنه وحرقه ودفنه ثانية ـ ذا الموتتين وذا القبرين ـ

وقد كان في ايام محنته في السجن يتوقع الموت ، ويبكي نفسه في الشعر ، ويقول:

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفسنا سكنت دفعة كجهر الصلوة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاما وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سمآء العلى غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة فتى ملئت فى كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم به فقل يفرح اليوم من لا يموت

وقيل قد رؤي فى المنام بعد موته ، فقيل له ، مافعل الله بك ، فقال غفر لي الله ببيتين قلتهما :

يامصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له اغلاق
ايروم مخلوق ثناءك بعدما اثنى على اخلاقك الخلاق

مؤلفاته

لقد ذكر للمترجم مؤلفات كثيرة ، نذكر لك اشهرها ، كما في الاحاطة بتاريخ غرناطة لابن حجر ، وهي :

التاج المحلى في تراجم ادباء القرن الثامن ، على طريقة يتيمة الدهر ، واكليل الزاهر فيما ندر عن التاج من الجواهر ، كالذيل له ، وكتاب طرفة العصر في دولة بني نصر ثلاث مجلدات ، وكتاب اليوسفي فى الطب مجلدان ، ونفاضة الجراب في علالة الاعراب اربعة اسفار ، رقم الحلل في نظم الدول ارجوزة ، وكتاب عمل من طب لمن حب في الطب ، وروضة التعريف في الحب الشريف ، وكتاب الغيرة على اهل الحيرة ، حمل الجمهور على السنن المشهور ، وغاية الفضيلة في التاريخ ، والوصول لحفظ الصحة في الفصول في الطب ، الى غير ذلك.

وقد قال في آخر هذا الكتاب « الوصول لحفظ الصحة في الفصول » : والعجب مني مع تاليفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب ، لااقدر على دآء الارق الذي بي . ولهذا كان يقال له « ذوالعمرين » لان الناس ينامون وهو ساهر ؛ وكل مصنفاته كانت في الليل . وقد سمع بعض الرؤساء بالمغرب يقول :

لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الموتتين وذو القبرين .

ادبه وشعره

اما نثره فان تصانيفه البديعة ، واسلوبه الطرى المتين ؛ متكفل بالتعريف على ادبه الجم ، وترسله المحكم ، واما شعره فهو على كثرته جيـــد ، وعلى طراوته وسلاسته محكم متين في مبناه ومعناه ، وهاك نبذة منه قال :

ماضرني ان لم اجيء متقدما فالسبق يعرف آخر المضمار

ولئن غدا ربع البلاغة بلقعا   فلرب كنز في اساس جدار

وله في الغزل قوله :

يامن باكتاف فؤادي رتع   قد ضاق بي عن حبك المتسع
مافيك لي جدوى ولا ارعوى   شح مطاع وهوى متسع

وله في صديق له يدعى شمس الدين وقد رمدت عيناه :

قل لشمس الدين وقيت الردى   لم يدع سقمك عندي جلدا
رمدت عينك هـذا عجب   أوعين الشمس تشكو الرمدا؟

وقال في احد القضاة :

حلفت لهم بانك ذو يسار   وذو ثقة وذو كف امين
ليستندوا اليك لحفظ مال   فتاكل باليسار وباليمين

وله في الغزل قوله :

افقد جفنيّ لذيذ الوسن   من لم ازل فيه خليع الرسن
عـذاره المسكي في خده   انبته الله النبات الحسن

وله ايضا قوله :

طال حزني لنشاط ذاهب   كنت اسقى زمنا من حانه
وشباب كان يندى خده   نزل الثلج على ريحانه

وقال ايضا :

قال جوادي عنـــدما   همزت همزاً اعجزه
الى متى تهمز بي   ويل لـــكل همزه

وله في الموشحات اليد الطولى التي عرفها العالم العربي اجمع ، فقد كان يبدع فيها اي ابداع حتى اشتهرت وبقيت خالدة حتى يومنا هذا ، ومن موشحاته المشهورة قوله منهـا :

جادك الغيث اذا الغيث همى   يازمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما   فى الكرى او خلسة المختلس

****

ايقود الدهر اشتات المنى   تنقل الخطو على ماترسم
زمراً بين فرادى وثنى   مثلما يدعو الوفود الموسم
والهنا قد جلل الروض سنا   فثغور الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن مآء السما   كيف يروى مالك عن انس
فكساه الحسن ثوباً معلما
يزدهي منه بابهى ملبس

ياهيل الحى من وادى الغضا   وبقلبي سكن انتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا   لاابالي شرقه من غربه
فاعيدوا عهد انس قد مضى   تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله واحيوا مغرما   يتلاشى نفساً من نفس
حبس القلب عليكم كرما
أفترضون عناء الحبس ؟

الى آخر الموشحة اكتفينا بهذا القدر منها لشهرتها وتداولها بين الادبآء ، وذكرها في اغلب الكتب الادبية .

١٧٢ - محمد بن عبد الرحمن اللخمي الغرناطي « * »

— ٤٩٧ - ٥٥٦ هـ

محمد عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مشرف بن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي الغرناطي المكنى بابى الحسن ذكره السيوطي فى بغية الوعاة قال: قال في تاريخ

« * » بغية وعاة للسيوطي

غرناطة : كان ابو الحسن هذا وزيراً فقيهاً نبيلا ، جواداً ، صاحب رواية ودراية اديباً عارفا بالنحو ، والعروض ، واللغة ، والادب ، والطب .

وكان جيد الشعر والوراقة ، حسن الخط وقد روى عن ابي الوليد ، وابي محمد ابن عتاب . ولد سنة ٤٩٧ هج توفي سنة ٥٥٦ هج وكان من شعره قوله :

ياحرقة بين كويت الحشا — حتى اذبت القلب في اضلعه
اذكيت فيه النار حتى غدا — ينساب ذاك الذوب من ادمعه

وله غير ذلك شعر كثير

١٧٣ — محمد بن عبد العزيز الصنهاجي « * » ..

محمد بن عبد العزيز المعروف حاج عزّوز « ١ » الصنهاجي المكناسي ، فقيه متفنن ، ذكي ، حجة ، رحالة ، مجود القرآن ، حافظ للحديث والتاريخ ، نابغة في الطب جيد القريحة في الشعر . رحل الى الشرق واستفاد من اعلامه ، ثم رجع الى بلده « مكناسة » وافاد بها ، ثم رحل ثانية ومات هناك .

اخذ عن ابن جابر تجويد القرآن ، والحديث ، والتاريخ ، والطب ، كما اخذ ايضا عن ابن مرزوق الحفيد ، وجماعة غيره من اعلام الشرق والغرب .

ومن شعره معاتباً شيخه ابن جابر عن غفاته عنه يوم خرج بباقي تلاميذه الى النزهة في عرصة كانت له ولم يدعه معهم حيث قال :

ليت شعري وذاك ليس بمغن — مايرد الغوان حرف التمني
اى ذنب قرفته ياعمادى — فحرمنا من قربكم قرب عدن
ومنحنا الاعراض اذ عرض — الناس فاعظم بذلك الذنب مني
وهب الذنب فيه يعظم هلا — منكم كان حسن عفو وظن

ولم يذكر وفاته ، كما انا لم نعثر ايضا على من ذكرها .

« * » معجم الاطباء
« ١ » بتشديد الزآي الاولى

١٧٤ — محمد بن عبد الكريم ابو الفضل المهندس « * »

٥٢٩ — ٥٩٩ هـ

محمد عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي المعروف بالمهندس ، لشهرته بالهندسه قبل شهرته بالطب .

ولد ونشأ فى دمشق الشام ، وكان في اول امره نجارا وينحت الحجارة ، غير ان كسبه الذي كان يعتاش به هو النجارة فقط ، وكان له اليد الطولى فيها ، والناس كانت ترغب في عمله لجودته وامانته ، وقد كانت اكثر ابواب المارستان الذي انشأه الملك العادل نور الدين ابن زنكي ، من نجارته وصنعته .

قال ابن ابي اصيبعة : وحدثني شمس الدين الكحال ، وكان له صديقا ، ان اول اشتغال ابي الفضل بالعلم انه قصد ان يتعلم أقليدس ، ليزداد تبصرة فى صنعته (النجارة) وليطلع على دقائقها ، ويتصرف فى اعمالها وكان فى تلك الايام يعمل في (مسجد خاتون) غربي « دمشق » فكان فى كل غداة ، لا يصل الى ذلك الموضع الا وقد حفظ شيئاً من اقليدس في طريقه . وهكذا عند فراغه من العمل ورجوعه الى بيته ، وهكذا حتى حل كتاب اقليدس باسره ، وفهمه فهماً جيداً ، ثم نظر في المجسطي ثم انصرف الى صناعة الهندسة حتى عرف بها ودعي بالمهندس ، ثم اشتغل بصناعة النجوم ، وعمل الزيجات ، وكان قد ورد الى دمشق يومذاك « الاشرف الطوسي » الفاضل فى الهندسة والعلوم الرياضية ، والذي لم يكن في زمانه مثله ، فاخذ عنه الشيء الكثير . ثم قرأ الطب على ابي المجد ، محمد ابن ابي الحكم ، ولازمه ملازمة تامة .

وهو الذي اصلح ساعات الجامع بدمشق ، وكانت له عليها ، وعلى طبه في المارستان ، جامكية « ١ » وهكذا كان فى المارستان طبيباً حتى توفي سنة ٥٩٩ هـ عن سبعين عاماً .

« * » عيون الآنباء

« ١ » راتب

مؤلفاته :

ان لابي الفضل المهندس من الكتب : رسالة فى معرفة رمز التقويم ، ومقالة في رؤية الهلال ، واختصار كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج الاصفهاني ؛ وكتابا فى الحرب والسياسة ، وكتابا في الادوية المفردة على ترتيب حروف ابجد ، وغيرها

ادبه و شعره

ان لأبي الفضل مضافا الى فضله ادبا ساميا ، وشعراً راقيا ، وقريحة وقادة ، وخيالا واسعاً ، ونظما بديعاً يدل على اريحيته ، وطبعه الرقيق .

قال ابن ابي اصيبعه : وكان قد اشتغل بالادب وعلم النحو ايضاً ، فكان ينظم الشعر الرائق والمقاطيع الجيدة . ومن شعره فى مدح محيي الدين بن ركن الدين قوله :

خصصت بالاب لما ان رأيتهم — دعوا بنعتك اشخاصاً من البشر
ضد النعوت تراهم ان بلوتهم — وقد يسمى بصيراً غير ذي بصر
والنعت مالم تك الافعال تعضده — اسم على صورة خطت من الصور
وما الحقيق به لفظ يطابقه — المعنى كنجل القضاة الصيد من مضر
فالدين والملك والاسلام قاطبة — برايه في امان من يد الغير
كم سن سنة خير فى ولايته — وقام لله فيها غير معتذر
يرجو بذاك نعيما لانفاد له — جوار ملك عزيز جل مقتدر
فالله يكلاه من كل حادثة — ماغردت هاتفات الورق في الشجر

* * * *

١٧٥ — محمد بن عبد الملك الحفيد بن زهر « * »

٥٠٧ — ٥٩٥ هـ

محمد ابن ابي مروان عبد الملك ابن ابي العلا زهر الطبيب الايادي الاندلسي الاشبيلي الملقب بالحفيد والمعروف بالوزير الحكيم ، والاديب الطبيب ابي بكر ابن زهر .

كان طبيباً نطاسيا حاذقا ، وشاعراً اديبا كاملا ، من اهل بيت كلهم رؤساء حكمآء علمآء ، وزرآء ، نالوا المراتب العالية ، وتقدموا عند الملوك ؛ ونفذت كلمتهم واوامرهم .

قال الخزرجي في عيون الانبآء . لم يكن في زمان ابي بكر الحفيد الطبيب ، احد مثله في صناعة الطب ، خدم الدولتين وذلك انه لحق دولة المرابطين مع ابيه الوزير الطبيب ابي مروان في اواخر دولتهم ، ثم خدم دولة الموحدين وهم بنو عبد المؤمن ، فقد مات ابوه في دولة عبد المؤمن فرجعت الطبابة اليه ، ثم طبابة ولده ، ابي يعقوب يوسف ثم ولده ابي يوسف يعقوب الملقب بالمنصور ، ثم ولده ابي عبد الله محمد الملقب بالناصر .

قال ابو الخطاب الجاحظ ابن دحيه في كتابه (المطرب من اشعار اهل المغرب) وكان شيخنا ابو بكر يعني به ابن زهر المذكور ، بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين ، كان يحفظ شعر ذي الرمه برمته وهو ثلث لغة العرب ، مع الاشراف على اقوال اهل الطب ، وكانت له المنزلة العليا عند اهل المغرب مع سمو النسب ، وكثرة الاموال والنشب . صحبته زمانا طويلا ، واستعذبت منه ادبا جليلا .

اخذ الطب عن ابيه ، وباشر اعماله معه ؛ وكان معتدل القامة ، صحيح البنية

« * » عيون الانبآء ، المطرب من اشعار المغرب ، وفيات الاعيان

قوي الاعضاء ، بلغ سن الشيخوخة ، ولم يطرأ عليه اي تغيير ، في نظارة وجهه وقوة حركاته . نعم عرض له في اواخر ايامه ثقل في سمعه ، وكان ملازماً للامور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محباً للخير ، مهيباً ؛ ذا جرءة في الكلام ، وفصاحة في اللسان ، وحجة قوية في الاستدلال .

قال ابن ابي اصيبعة : ونقل لي القاضي محمد بن احمد الباجي : انه كان شديداً الباس ، يجذب قوساً بثقل ستة عشر اوقية ، وكل اوقية عشرة دراهم ، كما كان جيداً في لعب الشطرنج ايضا .

وقد ولد الحكيم ابن زهر هذا في اشبيلية سنة ٥٧٠ ﻫ ، وتوفي في مراكش في اول زمن سلطنة الملك الناصر من ملوك بني عبد المؤمن سنة ٥٩٥ ﻫ مسموماً عن عمر يناهز التسعين عاماً . وقد قيل عن سبب وفاته ، ان وزير المنصور ، ابا زيد عبد الرحمن بن يوحان ، كان يعاديه ويحسده ، لما كان يرى من عظيم مكانته ، ومنزلته الرفيعة في النفوس ، ولما اشتهر به من الفضل والعلم والحكمة ، فاحتال له بسم ارسله اليه مع احد خواصه في البيض ، فاكله هو وابنة اخته ، فماتا معاً ولم ينفع معهما العلاج بكل صورة ، فاسف لموته الخليفة ، ورثاه ، ودفن في حديقة الامراء واعقب ولداً وبنتاً ، وقيل كانت ابنة اخته هذه التي ماتت معه ، ماهرة في فن الولادة ، وامراض النساء .

مؤلفاته

لم تعرف لابن زهر الحفيد مؤلفات جلية ، غير كتاب في الادوية المركبة ، ورسالة في الطب ، وقد اشتهر عنه انه اخترع معجونا جليل القدر والنفع يعرف (بالدرياق الخمسيني) وقد عمله وركبه لابي يوسف يعقوب المنصور ، وقد ذكر في اكثر القرابادينات المركبة ، وهو مجرب ، معتمد عليه

وكان له تلامذة كثيرون ، اشهرهم واجلهم ، ابو جعفر ابن غزال ، الطبيب الشهير ، المذكور في كتابنا هذا .

ادبه وشعره

اما ادبه فناهيك استحضاره لشعر ذي الرمة باجمعه ، عدا ما كان يستملحه ، ويعجب به فيحفظه ، ذكره في دائرة المعارف الاسلامية : فقال ولا ترجع شهرته الى مكانته في الطب ، بقدر ماترجع الى معرفته الشاملة لفروع الادب العربي ، واشعاره التي تفيض بمهارقة الشعور ، ودقة الاحساس .

واليك نبذة من شعره : قال متشوقا الى ولده الصغير فى اشبيلية ، وهو فى مراكش .

ولي ولد مثل فرخ القطا	صغير تخلف قلبي لديه
نأت عنه داري فياوحشتي	لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته	فيبكي علي وابكي عليه
لقد تعب السوق مابيننا	فمنه الى ومني اليه

قيل ولما سمع السلطان ، يعقوب المنصور بهذه الابيات ، امر ان يطلعوا على بيوت آل زهر ، في اشبيلة ، ويبنوا له عنده مثلها ، فبنوها ، وفرشوها ، بمثل فرش بيت ابن زهر ، ثم نقل الملك عيال ابن زهر ، الى تلك الدار . كل ذلك ولم يعلم ابن زهر به وبعد اكمال ذلك ، واستقرار اهله فيها ، امره بالدخول عليهم ، فلما دخل الحكيم ذهل ، وظن انه فى حلم ثم رأى ولده الصغير الذي كان يتشوق ، اليه وهو يلعب في صحن الدار فحصل له من السرور ماكاد ان يخشى عليه منه ، ولما ثاب اليه رشده شكر الله تعالى ، وشكر الملك على انعامه وعدها من اكبر النعم عليه .

ومن شعره ماذكره ابن دحية عنه وهو قوله :

وموسدين على الاكف خدودهم	قد غالهم نوم الصباح وغالني
مازلت اسقيهم واشرب فضلهم	حتى سكرت ونالهم مانالني
والخمر تعلم حين تأخذ ثارها	اني املت أنا بها فامالني

قال ابن خلكان في الوفيات : قال الحفيد وقد ألمّ بقول الرئيس ابي غالب ، عبد الله بن هبة الله بن صاعد :

عقرتهم مشمولة لو سالمت · سراً بها ماسميت بعقار
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت صرعى تداس بارجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت منهم فصاحت فيهم بالثار

وقال في كتاب (حيلة البرء) لجالينوس

حيلة البرء صنفت لعليل يترجى الحياة اولعليله
فاذا جاءت المنية قالت حيلة البرء ليس في البرء حيله

وله في الشيب ، وقد نظر يوماً في المرآة ؛ فرأى شيبه ، وانه شاخ و كبر :

اني نظرت الى المرآة اذ جليت فانكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شييخاً لست اعرفه وكنت اعهده من قبل ذاك فتى
فقلت اين الذي بالامس كان هنا متى ترحّل عن هذا المكان متى ؟
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة ان الذى انكرته مقلتاك اتى
كانت سليمى تنادي يا اخيّ وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا ابتا

واوصى ان يكتب على قبره قوله وفيه اشارة الى صناعته

تأمل بحقك ياواقفاً ولاحظ مكانا رفعنا اليه
تراب الضريح على وجنتي كأني لم امش يوماً عليه
اداوي الانام حذار المنون وها انا قد صرت رهناً لديه

وله موشحات بديعة ، عرف المترجم بالاجادة فيها ، قوله :

ايها الساقي اليك المشتكي قد دعوناك وان لم تسمع

* * * *

ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته جذب الزق اليه واتكا

وسقاني اربعًا في اربع

غصن بان مال من حيث استوى بات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشآء موهون القوى كلما فكر فى البين بكى

ماله يبكي لما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد يالقوم عذلوا واجتهدوا
انكروا شكواي مما اجد مثل حالي حقه ان يشتكى

كمد اليأس وذل الطمع

ما لعين عشيت بالنظر انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ماشئت فاسمع خبري شقيت عيناي من طول البكا

وبكى بعضي على بعضي معي

كبد حرى ودمع يكف يعرف الذنب ولا يعترف
ايها المعرض عما اصف قد نما حبك عندى وذكا

لايظن الحب اني مدعي

وله من هذا القبيل كثير من بديع النظم الجيد نكتفي بما ذكرنا مراعاة للاختصار ولبعضهم فيه ، اوفي بعض اسرته ، ممازحًا : قوله :

قل للوبا انت وابن زهر جاوزتما الحد في النكايه
ترفقا بالورى قليلا في واحد منكما كفايه

١٧٦ — محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي « * »

.... — ٥٨١ هج

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل ابو بكر القيسي ، من اهل برشانة من المرية ، ولد في قادس ، احدى مدن الاندلس الصغيرة ، ومات في مراكش

« * » تاريخ الفلسفة في الاسلام ، دائرة المعارف الاسلامية ، المعجب في تاريخ الاندلس ، الوافي للصفدي

سنة ٥٨١ هج . وذكر في دائرة المعارف الاسلامية ج ١ : ان ابن طفيل ، فيلسوف مغربي مشهور بالقيسي ، من قبيلة قيس المعروفة ، وكان يسمى كذلك بالاندلسي القرطبي ، اوالاشبيلي ، واطلق عليه النصارى ، في القرون الوسطى « ابو باسر » وهو تحريف « ابو بكر » ومن المحتمل ان يكون ابن طفيل ، قد ولد في العقد الاول من القرن الثاني عشر الميلادي ، في وادي « آش علي » على بعد اربعين ميلا في الشمال الغربي لغرناطة ، ولا نعرف شيئا عن اسرته ، وتعلمه . ثم قال : وقد زاول ابن طفيل في اول امره الطب ، في غرناطة ، ثم اصبح كاتب سر والي الاقاليم وفي عام ٥٤٩ هج اصبح كاتب سر حاكم سبتة وطنجة ؛ ثم اصبح اخيراً طبيب السلطان الموحدي ، ابي يعقوب يوسف ، ويقال انه وزر لهـذا السلطان ؛ وكذبه المستشرق « ليون جوتيه » ومهما يكن من شيء ، فانه كان ذا تأثير كبير على هذا السلطان ، وقد استغل هذا التأثير في اجتذاب العلماء الى البلاط ، كتلميذه ابن رشد ، وغيره

قال تلميذه ، ابو بكر بندو : كان أمير المؤمنين ، ابو يعقوب شديد الشغف به والحب له ، وبلغني انه كان يقيم عنده في القصر اياماً ؛ ليلا ونهارا ، ولما طعن فيلسوفنا في السن ، حل ابن رشد محله في الطبابة للخليفة سنة ٥٧٨ هج ومع ذلك فقد ظل ابن طفيل محتفظا بمحبة الخليفة حتى توفي سنة ٥٨٠ هج فاحتفظ بصداقة ولده ، ابي يوسف ، وتوفي ابن طفيل عام ٥٨١ هج وحضر الخليفة بنفسه جنازته .

وقال محمد عبد الهادي ، ابوريدة ، في كتابه المترجم « تاريخ الفلسفة في الاسلام » : ويلوح ان حياته لم تكن حافلة بالتقلبات ، فقد كان كلفه بالكتب ، اكثر من حبه للناس ، وفي مكتبة مليكه العظيم حصل كثيراً من العلم الذي كان يحتاج اليه في صنعته ، اوينقع به ظمأه للمعرفة ، وهو بين فلاسفة المغرب بمثابة من يهوى الفلسفة من غير ان يتعمق بها ، وكان ميله الى الاستمتاع بالتأمل اكثر من ميله الى التأليف .

وقال محيي الدين ابو محمد ، عبد الواحـــد ، التميمي ، المراكشي في كتابه (المعجب في تاريخ الاندلس) : وكان ممن صحبه (يعني ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) من العلماء المتفننين ، ابو بكر محمـد بن طفيل ، احد فلاسفة المسلمين . كان متحققا بجميع اجزاء الفلسفة ، قرأ على جماعة من المتحققين بعـلم الفلسفة منهم ابو بكر ابن الصايغ ، المعروف بابن باجة ، وغيره

مؤلفاته

قال عبد الواحد التميمي في (المعجب) : ورأيت لابي بكر هـذا تصانيف في انواع الفلسفة ، من الطبيعيات ، والالهيات وغير ذلك ، منها : رسالة (حي بن يقظان) غرضه فيهـا مبدء النوع الانساني ، على مذهبهم ، وهي رسالة لطيفة الحجم كبيرة الفائدة فى ذلك الفن . ومن تصانيفه (رسالة فى النفس) رأيتها بخطه .

وكان قد صرف عنايته فى آخر عمره الى العلم الألهي ، ونبذ ماسواه ، وكان حريصاً على الجمع بين الحكمة والشريعه معظماً لامر النبوات ، ظاهراً وباطناً ، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية ، وكان من حسنات الدهر في ذاته وادواته .

ادبه و شعره

كان ابن طفيل هذا كغيره من ذوى النبوغ السامي ، والطبع العالي ، والذكاء والاريحية ، مضافاً الى درجته العلمية ومكانته الفلسفية ، شاعراً بايغا ، وناظمامقتدراً واديباً كاملا ، وكـان شعره في غاية الجودة والمتانة والرقة . قال صاحب تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، : وقد انتهت الينا قصائد ، مماعالجه ابن طفيل من الشعر ، ولكن كان اكبر همه ، كابن سينا ، أن يمزج العلم اليوناني بحكمة اهل الشرق ، ليطالع الناس ، برأي جديد فى الكون قال صاحب المعجب : وانشدني ابنه يحيي ، بمدينة مراكش سنة ٦٠٣ هجـ من شعر ابيه ؛ قوله :

المت وقد نام المشيج وهو ّما   واسرت الى وادي العقيق من الحما

وجرّت على ترب المحصب ذيلها ... فما زال ذاك الترب نهبا مقسما
تناوله ايدى التجار لطيبه ... ويحمله الداريّ ايّان يمما
ولما رأت ان لاظلام يجنها ... وان سراها فيه لن يتكتما
نضت عذبات الريط عن حر وجهها ... فابدت محياً يدهش المتوسما
فكان تجليها حجاب جمالها ... كشمس الضحى يغشى بها الطرف كلما
ولما التقينا بعد طول تهاجر ... وقد كاد حبل الودان يتصرما
جلت عن ثناياها واومض بارق ... فلم ادر من شق الدجنة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكا ... فلم ادر دمعاً اينا كان اسجما
فقالت وقد رق الحديث وابصرت ... قرائن احوال اذ عن المكتما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهبا ... يهوّن صعباً اويرخص مأثما
فامسكت لامستغنياً عن نوالها ... ولكن رأيت الصبر ادنى واكرما

وله فى الزهد، ماقرأ ابنه من خطه ايضا :

يابا كياً فرقة الاحباب عن شحط ... هلا بكيت فراق الروح للبدن
نور تردد في طين الى اجل ... فانحاز علواً وخلى الطين للكفن
ياشد ماافترقا من بعدما اعتلقا ... اظنها هدنة كانت على دخن
ان لم يكن في رضا الله اجتماعهما ... فيالها صفقة تمت على غبن

وانشدني بعض الكتاب له قوله :

ماكل من شمّ نال رائحة ... للناس في ذا تباين عجب
قوم لهم فكرة تجول بهم ... بين المعالي أولئك النجب
وفرقة فى القشور قد وقفوا ... وليس يدرون لب ماطلبوا
لاغاية تنجلي لناظرهم ... منه ولا ينقضي لهم ارب
لايتعدى امرؤ جبلتــه ... قد قسمت في الطبيعة الرتب .

ومن نظمه ايضا قوله :

اتذكر اذ مسحت بفيك عني   وقد حل البكا فيها عقودي
ذكرت بأن ريقك ماء ورد   فقابلت الحرارة بالبرود

الى غير ذلك من النظم البديع والشعر المتين الرصين وبما ذكرناه كفاية .

١٧٧ — محمد بن علي الطحان (*) _ ... _ ٥٣٦ هج

محمد بن علي المتطبب المعروف بالحكيم علي الطحان ، كان بيهقي المنشأ ، نيسابوري المولد ؛ له طبع وقاد ، و تصانيف كثيرة ، زجى ايامه ببلخ ، وتوفي بها سنة ٥٣٦ه وله اشعار كثيرة ، فصيحة ، ذكر طرف منها في ، كتاب درة الوشاح ، وهي تتمة وشاح دمية القصر ولكنا لم نعثر نحن على هذه الدرة لنستضيء بها الى شيء من اشعاره لنرسمها هنا .

١٧٨ - محمد بن علي ابن البراق (*) ... _ ٥٩٦ هج

محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد الهمداني ، من اهل وادي آش ويعرف بابن البراق ويكنى ابا القاسم . سمع وقرأ على جماعة من علماء عصره المشهورين ، و كان محدثا ، ضابطا اديبا ماهرا ، شاعرا مطبوعا مجيدا ، مشاركا في الطب ، متفننا في معارف جمة ، وشعره مدون سماه « نور الكمائم » ذكره ابن عباد فقال : انشدنا كثيراً من شعره . واخرجه الامير ابو عبد الله محمد بن سعد من وطنه الى « مرسية » و « بلنسية » ثم عاد اليه سنة ٥٦٧ هج واقام يؤخذ عنه ، ويسمع منه ، الى ان توفي سنة ٥٩٦ ه ولم نعثر له على شعر . لنثبته .

(*) معجم الاطباء عن تتمة صوان الحكمة

(*) التكملة

١٧٩ - محمد بن علي الغزي الطبيب ... - ١١٢٦ هـ

محمد بن علي بن بدر الدين الغزي الطبيب .

قرأ القرآن على والده ، واخذ عنه العلم ، ثم توجه الى مصر ، واقام بها احد عشر سنة ، درس فيها الطب على فطاحل الاطباء هناك ، حتى صارت له اليد البيضاء فيه وله التآليف الحسنة ، ولكنه كان على غاية من الفقر ، لم يتعلق بشيء من امور المعاش ، بل كان يرتزق من حيث لا يحتسب ، وكان يقيم بالرملة في الشتاء ، وفي غزة هاشم في الصيف .

وكان شاعراً متوسط النظم ، ومن شعره يرثي محمد بن تاج الدين الرملي ، ويؤرخ وفاته ، بقوله :

قدمات بحر العلم خير الورى محمد الرملي التقي الالمعي
وقال في تاريخه ناقل قد مات بعد الحج في ينبع

وقال ايضا في تاريخه

قد توفي مفتي الورى نجل تاج فعدمنا فضلا دهدناه منه
وقضى نحبه وقد ارخوه بوفاة تجاوز الله عنه (١)

وله اشعار كثيرة ، وقد توفي في الرملة سنة ١١٢٦ هـ

١٨٠ - محمد بن عمر فخر الدين الرازي « * »

٥٣٣ - ٦٠٦ هـ

محمد بن عمر ضياء الدين ابن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري ، الطبرستاني ،

« * » سلك الدرر

« ١ » في التارخين اختلاف في الحساب ولا نعلم وفاة المؤرخ متى كانت حتى نحكم بالصواب والخطأ وعلى كل حال فقد وجدناه هكذا ولم نغيره

(*) مجمع الفصحاء الفارسي . القفطي . دائرة معارف القرن العشرين . وغيرها

الرازي المولد والمنشأ ، المعروف بابن الخطيب « ابن خطيب الري » ، ويقال ان نسبه ينتهي الى الخليفة ابي بكر ، كما في مجمع الفصحاء الفارسي .

ولد في الري سنة ٥٣٣ هج وتوفي سنة ٦٠٦ هج في هراة عن ٧٣ عاماً .

كان كما ذكره اكثر المؤرخين ، افضل المتأخرين ، وسيد الحكماء المحدثين قد شاع علمه ، وانتشرت في الافاق مصنفاته وتلامذته . قال القفطي : كان فى زمننا الاقرب ، قرأ علوم الاوائل واجادها ، وحقق علم الاصول ، ودخل خراسان ووقف على تصانيف الشيخ الرئيس ابن سينا ، والفارابي ، واخذ منها علماً كثيراً ثم رحل الى جهة ماوراء النهر ، قاصداً « بني مازة » ببخارا ، فلم يلق منهم خيراً وكان فقيراً يومئذ لاجدة له ، . قال : وذكر لي داود الطيبي التاجر ، وكان يشارك في اخبار الناس ، اني رأيت ابن الخطيب ببخارا مريضا في بعض المدارس المجهولة فشكا الي اقلاله ، فجمعت التجار المستعربين ، واخذت منهم شيئا من زكوة اموالهم وارفقته بذلك ، وخرج من بخارا قاصداً خراسان ، واتفق اجتماعه « بخوارزمشاه » محمد بن تكش ، فقربه وادناه ، ورفع منزلته ، واسنى رزقه ، واستوطن مدينة هراة وتملك بها ملكا ، ورزق اولاداً ، واقام بها حتى مات هناك ، ودفن بظاهر البلدة عند جبل قريب منها ، وقيل في داره في نفس البلد

وقال غيره : وكان في اواخر عمره في هراة ، اذا ركب مشى حوله قدر ثلاثمائة تلميذ من فقهاء وحكماء وعلماء وغيرهم ، وكان حريصاً على العلوم الشرعية والحكمية ، جيد الفطرة ، حاد الذهن ، قوي النظر في الطب ومباحثه ، عارفاً بالادب العربي والفارسي وقد بلغ من الجلالة بحيث كان يقصده الملك ، خوارزمشاه بنفسه

قيل في سبب ثروته : انه لما عاد الى الرى ، وكان بها طبيباً حاذق ذو ثروة ونعمة ، وكانت له بنتان . ولفخر الدين ابنان فمرض الطبيب وايقن بالموت فزوج ابنتيه من ولدي الرازي . ثم مات الطبيب . وانتقلت الثروة الى ابن الخطيب بواسطة ولديه .

وكان عبل الجسم. ربع القامة كبير اللحية فخم الصوت. خطيباً يتكلم على المنبر بانواع الحكمة. وكانت الناس تقصده من كل حدب وصوب. على اختلاف مطالبها في العلوم. وكلهم كانوا يرجعون مزودين بالاجوبة الشافية. وكانت له في الوعظ والخطابة اليد البيضاء كما انه كان يخطب ويعظ باللسانين العربي والفارسي.

تحصيله وتلاميذه

بعد ان اكمل المقدمات من العلوم في بلده على عظمائها وفقهائها، قرأ الفقه على كمال الدين السمناني والد محي الدين القاضي «بمرند» ثم درس الحكمة على مجد الدين الجيلي بمراغة، وعلى الامام محي الدين، محمد بن يحيي النيسابوري، ثم حصل سائر العلوم على اساتذة عظام كالسمعاني واضرابه، وهكذا كان يقصد ضالته المنشودة «العلم» أني كانت، ويتجشم في تحصيلها المصاعب حتى بلغ الى مايتعذر اويعسر بلوغه على غيره، وحتى طارصيته في الافاق فقصده طلاب العلم وتخرج عليه كثير من مشاهير الحكماء العظام؛ مثل زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب الدين النيسابوري، وغيرهم

وكان لمجلسه جلال وهيبة، وكان هو يتعاظم حتى على الملوك، وكانت الشعرآء تفد عليه فتمدحه وتنال منه الجوائز والصلات واتفق ان ورد هو على سلطان هراة «حسين خرّمين» بدعوة منه، فاجله وعظمه، واجلسه على سجادته الخاصة به في صدر المجلس، لتسمع الناس كلامه، وعلى جانبيه صفان من المماليك الترك فجعل يتكلم في النفس، والناس مصغون اليه؛ واذا بحمامة قد طردها صقر، دخلت الديوان، ومرت طائرة بين الصفين، الى ان رمت بنفسها في حضن الشيخ الرازي ونجت بنفسها من الصقر، وكان شرف ابن عنين الشاعر حاضر المجلس، فارتجل فيه بيتين استأذنه في انشادهما بحضرته فاذن فقال:

جاءت سليمان الزمان بشجوها ... والموت يلمع في جناحي خاطف
من نبأ الورقاء ان محلكم ... حرم وانك ملجأ للخائف

فادناه الشيخ من محله وخلع عليه خلعة سنية ، ودنانير غير قليلة ، ثم اكملها بعد ذلك قصيدة .

قال القفطي : وكان عظيم الشان بخراسان ، فكان يركب وحوله السيوف المجذوبة ، وله المماليك الكثيرة ، والمنزلة العالية عند السلاطين الخوارزمشاهيين ، وقيل انه تهوس بعمل الكيميا ، وضيع في ذلك اموالا كثيرة ، ولم يحصل على طائل.

مؤلفاته :

كان الرازي فخر الدين مؤلفا قوي التأليف ، نافع التصنيف ، وقد ألف في جملة من العلوم كالتفسير والحكمة والطب والحديث وغيرهما ومن اشهر تأليفه : كتاب مفاتيح الغيب ، في تفسير القرآن الحكيم ، وهو مشهور بتفسير الرازي ، في ثمانية مجلدات ، وقيل ١٢ مجلدا عدا تفسير سورة الفاتحة التي افرد لها كتاباً خاصاً وعدا تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي — وكتاب شرح نهج البلاغة لم يكمل — ولوامع البينات في اسماء الله تعالى — وكتاب المحصول في الاصول — وكتاب الاربعين في اصول الدين — وشرح كتاب عيون الحكمة — وكتاب في الرمل .. وكتاب في الهندسة — ورسالة في النفس — وكتاب الملل والنحل — وكتاب الجامع الكبير في الطب لم يكمل — وكتاب في النبض — وشرح كليات ابن سينا لم يكمل — وكتاب التشريح من الرأس الى القدم لم يكمل — وشرح سقط الزند — الطريقة العلائية اربع مجلدات — وتهجين تعجيز الفلاسفه فارسي — وكتاب الاخلاق — وكتاب عصمة الانبياء — وكتاب المحصل في شرح المفصل للزمخشري — الى غير ذلك من الكتب المفيدة النافعة .

ادبه وشعره

كان الشيخ الرازي على خطره في العلوم وسمو جلالته في النفوس ، رقيق الطبع ، خفيف الروح ، شاعراً اديباً ، ناظما باللغتين ، العربية والفارسية ، خطيباً ناثراً

حسن الترسل ، جميل الديباجة ، فكانه كان ناظراً الى كل جهات الحياة العلمية ، حتى عرف نواقصها فاكملها بنفسه لنفسه ، وحتى اصبح مجموعة في فرد وواحداً عن الف.

ومن شعره مانقله ابن ابي اصيبعة ، عن بديع الدين البندهي ، انه سمع الفخر ينشد لنفسه قوله :

نهاية اقدام العقول عقال ‏ ‏ ‏ ‏ واكثر سعي العالمين ضلال

وارواحنا في غفلة عن جسومنا ‏ ‏ ‏ ‏ وحاصل دنيانا اذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ‏ ‏ ‏ ‏ سوى ان جمعنافيه (قيل وقالوا)

وكم قد رأينا من رجال ودولة ‏ ‏ ‏ ‏ فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ‏ ‏ ‏ ‏ رجال فماتوا والجبال جبال

وذكر له ايضا انه انشد لنفسه قوله :

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة ‏ ‏ ‏ ‏ لما سبقت في المكرمات رجالها

ولو كانت الدنيا مناسبة لها ‏ ‏ ‏ ‏ لما استحقرت نقصانها وكمالها

ولا ارمق الدنيا بعين كرامة ‏ ‏ ‏ ‏ ولا اتوقى سوءها واختلالها

وذاك لأني عارف بفنائها ‏ ‏ ‏ ‏ ومستيقن ترحالها وانحلالها

اروم اموراً يصغر الدهر عندها ‏ ‏ ‏ ‏ وتستعظم الافلاك طراً وصالها

وله ايضا قوله :

ارواحنا ليس تدري اين مذهبها ‏ ‏ ‏ ‏ وفي التراب توارى هذه الجثث

كون يرى وفساد جاء يتبعه ‏ ‏ ‏ ‏ الله اعلم مافي خلقه عبث

وانشأ في علاء الدين ، على بن خوارزمشاه ، عندما كسر الغوري ، قصيدة طويلة منها قوله :

الدين ممدود الرواق موطد ‏ ‏ ‏ ‏ والكفر محلول النطاق مبدد

هذا علاء الدين والملك الذي ‏ ‏ ‏ ‏ ادنى خصائصه العلى والسؤدد

شمس تشق جبينه حجب السما ‏ ‏ ‏ ‏ والليل بازي الدجنة اسود

هو في الجحافل ان أثير غبارها　　اسد ولكن في المحافل سيد
فاذا تصدر للسماح فانه　　في ضمن راحته الخضم المزبد
واذا تمنطق بالكفاح رأيته　　في طي لامته الهزبر الملبد
بالجهد ادرك ماأراد من العلى　　لايدرك العلياء من لايجهد

الى آخرها وكلها جميلة متينة.

اما ترسله، فبديع فصيح، تعرفه اذا نظرت الى القصة التي املاها على تلميذه ابراهيم بن ابي بكر الاصفهاني، فقد حوت من المعاني البديعة البليغة، والالفاظ الفصيحة الرقيقة، ما كان الجدير بها، فان تتخذ دستوراً عالياً للاتقياء، وقد ذكرها الاستاذ فريد وجدي في الجزء الرابع من دائرة معارف القرن العشرين.

اما شعره الفارسي فقد ذكر له صاحب مجمع الفصحاء، الاديب رضاقلي خان، الملقب بهدايت، قوله:

هرجا كه زمهرت اثرى افتاده است　　سودا زده بر گذري افتاده است
در وصل توكي توان رسيدن كانجا　　هرجا كه نهى پاي سري افتاده است

وترجمتهما بالعربية هو قولي تقريباً:

نسيم هواك أنى سار القى　　صريعاً في الطريق به جنون
وحيث وضعت رجلك كان راس　　فكيف ينال وصلك اويكون

وله ايضاً قوله:

هركز دل من زعلم محروم نشد　　كم ماند زا سرار كه مفهوم نشد
هفتادودوسال فكر كردم شب وروز　　معلوم شد كه هيچ معلوم نشد

وترجمتهما الى العربية بالتقريب هو قولي:

لم تحرم العلم روحي قط واتضحت　　اسراره غير نزر ظل مستورا
فكرت سبعين بعد اثنين من عمري　　فبان اني بجهلي كنت مغمورا

وقال ايضاً

دريك گندرم هزار جا دام نهي　　گوئي كشمت اگر در آن كام نهي
يك ذره زمين زدام توخالي نيست　　گيري و كشي وعاصيم نام نهى

ومضمونهما بالعربية هو قولي ايضا :

في طريقي وضعت الف شراك　　وتوعدت ان وطأتُ بقتلي
لم تدع ذرة من الارض الا　　ووضعت الاشراك فيها لختل
انت تصطادني وتقتل　　والعاصي تراني انا بلاايّ فعل

الى غير ذلك من النظم البديع المعجب مما لا يسعنا الاحاطة به في هذا المختصر .

١٨١ — محمد بن عمر ابى حفص الاشبيلي (*)

٠٠٠ ـ ٣٥٩ هـ

محمد بن عمر بن الحسن الفارسي المعروف بابن ابي حفص ، من اهل اشبيلية ويكنى ابا عبد الله .

كان من اهل القرآن ، ومن اهل العناية الصحيحة بطلب الفقه ، كما كان من المبرزين فى الطب ، والمعروفين بالعربية ، وكان ممن يقول الشعر ويبدع فيه ، ومن احفظ الناس للخبر .

توفي سنة ٣٥٩هـ ولم نقف له على نظم يمكننا نشره في هذا الكتاب .

١٨٢ — محمد بن قاسم الشديد (*) ٠٠٠

محمد بن قاسم بن احمد بن ابراهيم الانصاري المكنى ابو عبد الله والمعروف بالشدّيد (بالتصغير) من اهل مالقه

(*) عيون الانباء تاريخ الاندلس

(*) معجم الاطباء عن جذوة الاقتباس لابن القاضي بفاس ، والاحاطة لابن الخطيب

كان من اهل الطب والذكاء والظرف ، قرأ بالمقاري السبعة ؛ وكان عذب الفكاهة ، ظريف المجالسة ، قادراً على الحكايات ؛ وقد ولي الحسبه بمالقة مدة.

قرأ القرآن على والده ، وحفظ كتبا كثيرة ، كرسالة ابن ابي زيد ، والشهاب القضاعي ، وفصيح ثعلب . ورحل الى المغرب ، ولقي الشيخ الاستاذ الاوحد ، ابا جعفر ابن الدراج ، واختص بالاستاذ ابي عبد الله ابن هاني ودخل مدينة فاس فلقي ابا زيد الجزولي ، ثم اختص بالرئيس ابي محمد عبد المهيمن الحضرمي .

ومن شعره ما كتبه الى امين الدولة

يامن به ابداً عرفت ومن غدا ... لي في جميع المكرمات قواما

لاتاخذنك في الشديد رقة ... فشخيص ادلالي بفضلك قاما

ربيته ادبتـــه علمتـــه ... قدمته للفرض منك اقاما

فجزاء رب الخلق خير جزاية ... عني احلك في الجنان مقاما

ذكره ابن الخطيب في الاحاطة ، ولم يذكر ولادته ووفاته.

١٨٣ — محمد بن قاسم القرشي (*) ٧٠٣ ـ ٧٥٧هـ

محمد بن قاسم القرشي ، كان كتيباً ، بارع الكتابة ، شاعراً اديباً ، حسن النظم والنادرة ، عارفاً بالطب ، ولى النظر على المارستان بفاس مدة حتى توفي في ربيـــع الاول سنة ٧٥٧هـ عن ٥٤ عاماً

١٨٤ — محمد بن المجلى العنترى (*) ٠٠٠ ـ ٦٥٠ هـ

محمد بن المجلى ابن الصايغ الجزرى المعروف « بالعنتري » لانه كان في اول امره يكتب احاديث « عنترة » وسيرته ، وقال اللاهجي : ويعرف بالمسري ، نسبة الى عسير العبسي .

« * » الدرر الكائنه

« * » عيون الانباء ، محبوب القلوب ، وغيرها

كان طبيباً ماهراً ، وعالماً مشهوراً حسن المعالجة ، جيد التدبير والتحقيق ، وافر الفضل ، فيلسوفاً ، متميزاً في الادب له كلمات حكمية سامية ، واشعار بديعة راقية ، فمن كلماته في الحكمة قوله لولده : بني تعلم فلو لم تنل به من الدنيا الاالغنى عمن يستعبدك به بحق او بباطل لكفى . بنى ان الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بازمة الجهل الى الخطا والصواب ، الجاهل رق لا يعتق الا بالمعرفة . الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق . الادب ازين المرء من نسبه واولى به من حسبه ، وادفع عن عرضه من ماله . وارفع لذكره من جماله . عدم الحكمة هو العقم العظيم . الى غير ذلك

قيل انه كان معاصراً ، للقادر والقائم بامر الله العباسيين . وقد توفي سنة ٦٥٠هـ

مؤلفاته

له مؤلفات كثيرة ذكرها المترجمون غير ان اشهرها : النور المجتنى في المحاضرة والقرابادين الكبير . والجمانة في الطبيعي والآلهي . ورسالة الفرق بين الدهر والزمان والكفر والايمان . رسالة العشق الآلهي والطبيعي . ورسالة الشعرى اليمانية الى الشعري الشامية . كتبها الى عرفة النحوى . وغير ذلك .

ادبه وشعره

اما ادبه فكتبه الفصيحة البليغة ، وعباراته الحكمية السلسة ، تغنينا عن ذكر ادبه وترسله ، واما شعره فبديع منه القصيدة الميمية المشهورة التي ذكرها هو في كتابه « النور المجتنى » والتي نسبها بعضهم الى ابن سينا . وآخرون الى ابن بطلان منها قوله :

احفظ بنى وصيتي واعمل بها ... فالطب مجموع ببعض كلامي
قدم على طب المريض عناية ... في حفظ قوته مع الايام
بالشبه تحفظ صحة موجودة ... والضد فيه شفاء كل سقام

واقلل نكاحك ما استطعت فانه ماء الحياة يراق في الارحام
واجعل طعامك كل يوم مرة واحذر منامك قبل هضم طعام
لاتحقر المرض الحقير فانه كالنار تصبح وهي ذات ضرام
لاتهجرن القيء شهرا انما كيموسه سبب الى الاسقام
ان الحما عون الطبيعة مسعد شاف من الامراض والالام
لاتشربن عقيب اكل عاجلا لاتاكلن عقيب شرب مدام
وخذ الدواء اذا الطبيعة كدرت بالاحتلام وكثرة الاحلام
واذا الطبيعة منك القت باطنا فدواء ما في الجلد بالحمام
واذا تغير منك حال خارج فاحتل لرجعة حل عقد نظام
اياك تلزم اكل شيء واحد فتقود طبعك للاذى بزمام
وتزيد في الاخلاط ان الفت به زادت فتنقص فضلها بقوام
والطب جملته اذا حققته حل وعقد طبيعة الاجسام
ولقصد تدبير المزاج فضيلة يشقى المريض بها وبالاوهام

الى آخرها وهو طويلة . وقال ايضا :

ابلغ العالمين عني باني كل علمي تصور وقياس
قد كشفت الاشياء بالفعل حتى ظهرت لي وليس فيها التباس
وعرفت الرجال بالعلم لما عرف العلم بالرجال الناس

وقال ايضا :

الحق ينكره الجهول لانه عدم التصور فيه والتصديقا
فهو العدو لكل ماهو جاهل فاذا تصوره يعود صديقا

وقال ايضا وقد ابدع

نفسي تطالبني بما في طبعها والعقل يزجرها عن الشهوات
والنفس تعلم ان ذلك واجب والطبع يجذبها الى العادات

والطبع يقصر عن مراد كليهما فكلاهما وقف على الحسرات
والنفس من خمر الحياة وسكرها ستفيق بين عساكر الاموات

وقال ايضا :

كن غنياً اذا استطعت والا كن حكيما فما عدا ذين غفل
انما سؤدد الفتى العلم والمال فما ساد قط فقر وجهل

وله فى غلام يسبح فى حمام :

جردته الحمام من كل ثوب وارتنى منه الذي كان قصدي
بدنا كالصباح من تحت ليل اسود اللون حالك غير جعد
يسكب الماء فوق جسم حكى الفضة حتى اكتسى غلالةورد

وقال عند تركه الخمر ايضا :

نار الحميا ونار الفكر قدنهكا جسمي تركت الحميا خشية النار
والكاس بالطبع تصدي عقل شاربها والسكر يساب منه حكمة الباري

وفيها يقول ايضا :

صدرت عن الصهباء لما وجدتها منافرة منى طباعي واخلاقي
وعوضت منها النفس كاسات حكمة تعللها فازددت شوقا الى الساقي

ومن حكمه الشعرية قوله :

من لزم الصمت اكتسى هيبة تخفى على الناس مساويه
لسان من يعقل في قلبه وقلب من يجهل في فيه

ومن غزلياته قوله :

وبابلي اللحاظ كالقمر اصبح فى الارض فتنة البشر
اولاه فيض الجمال اجمعه والحسن والظرف واهب الصور
خشيت من عقرب به قمر فكيف بالعقربين فى قمر

الى غير ذلك مما يزيدنا شوقاً الى استماعه ، لعذوبة الفاظه، وسمو معانيه ، ورقة انسجامه

١٨٥ – محمد بن محمد بن طرخان الفارابي « * »

المعلم الثاني ٢٥٩ – ٣٣٩ هج

محمد بن محمد بن طرخان « ١ » بن اوزلغ ابو نصر الفارابي ، كان ابوه قائد جيش فارسي النسب ، وكان ولده المترجم من اعاظم حكماء القرن الرابع الهجري ، نادرة العصور ، واعجوبة الدهور ، ومن اكمل وافضل فلاسفة الاسلام ، حتى ان الشيخ الرئيس ابا سينا ، لم ينتفع الا من كتبه وتصانيفه ، ولم تنفتح له ابواب الحكمة الا بها ، ولم يبلغ تلك الرتبة العالية ، الا من رشحات تصانيفه الحكيمة .

وقد قيل : الحكماء اربعة ، اثنان قبل الاسلام ، وهما ارسطو والاسكندر ، واثنان في الاسلام ، وهما ابو نصر وابو علي ، وكان بين وفاة ابي نصر وولادة ابي علي ٣٦ سنة هـ

وكان الفارابي ذكيا قوي الذكاء عالما بصناعة الطب والامور الكلية منها ، وان لم يباشر اعمالها ، حكيما فيلسوفا متقنا لعلوم الاوائل ، قال في تاريخ الفلسفة في الاسلام : اذا كان الكندي قد اعتبر فيلسوف العرب ، تمييزاً له على اقرانه من الفلاسفة غير العرب ، فان الفارابي يعتبر ، فيلسوف المسلمين ، بل انه مؤسس الفلسفة العربية على التحقيق .

حياته

ولد هذا الفيلسوف الحكيم ، والطبيب العالم ، في مدينة (فاراب) في محلة (وسيج) احدى مدن الترك في خراسان « ٢ » وتسمى الآن (اطرار) في سنة ٢٥٩ ، ولما بلغ الرشد غادر بلاده ، وطاف في كثير من البلدان ، حتى وصل بغداد – مركز

(*) تاريخ الفلسفة في الاسلام ، عيون الانباء ، مطرح الانظار ، مجمع الفصحاء وغيرها .

(١) كما في الوافي ، وفي غيره محمد بن طرخان

(٢) وقيل محلة في فاراب

الحضارة والعلم في عهد الخليفه المقتدر العباسي ـ فتعلم بها العربية والنحو على ابي بكر ابن السراج ، وتلمذ في الحكمة والمنطق ، على الاستاذ الحكيم « يوحنا ابن حيلان النصراني » المتوفي في بغداد ايام المقتدر ، ثم اكملهما على الحكيم ، متي بن يونس ، ابي بشر النسطوري ، وكان يحسن كثيراً من اللغات ، لاسيما التركية ، والفارسية والعربية ، واللاتينية ، والسريانية .

قال سيف الدين الآمدي : ان الفارابي ، كان في اول امره ناطوراً في احدى بساتين دمشق ، بعد انتقاله من بغداد اليها وقد شوهد وهوفي عمله في ذلك البستان لا يفتر عن المطالعة ، دائم الاشتغال في الحكمة ، والنظر فيها ، والتطلع الى اثار المتقدمين وشرح معانيها ، ولكنه كان ضعيف الحال ، لا يملك شيئاً ، سوى مايتقاضاه من اجرة النطارة ، حتى انه كان في الليل ، يستضيء على قنديل الحارس . وبقي هكذا مدة حتى ظهر فضله ، وعظم شانه ،واشتهرت تصانيفه ، وكثرت تلاميذه ، وصار اوحد زمانه ، وعلامة عصره . ثم رجع الى بغداد ، واشتغل في حل كتب (ارسطو) واتقان علم الموسيقى . واشتغل بالتصنيف والتأليف ، حتى صنف اكثر كتبه في بغداد ، ثم غادرها الى دمشق مرة ثانية ،ومنها الى مصر ، ثم عاد الى دمشق ، ومنها الى حلب ، وهناك اجتمع بالامير « سيف الدولة » الحمداني ـ ممدوح المتنبي الشاعر الحكيم ؛ وسيف الدوله هذا هو ابو الحسن ، علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي ، امير حلب ، فاكرمه اكراماً كثيراً ، وعظمت منزلته عنده ، وعين له راتباً كافياً غير انه لم يتناول منه غير اربعة دراهم فضية في اليوم ، ليصرفها في حاجياته الخاصة وهكذا بقي عنده طيلة عمره الباقي ، وفي اواخر عمره اعتزل الناس ، وتصوف وعاش معتكفا ، وتوفي عند سيف الدولة في رجب سنة ٣٣٩ هج بعد رجوعه من مصر في رحلته الاخيرة اليها ، وكانت وفاته في خلافة الراضي وقيل المطيع العباسي ، وصلى عليه سيف الدولة ، مع نفر من خلص اصحابه وكان عمره ٨٠ سنة ودفن خارج البلد ؛وقال القفطي توفي في دمشق ، حيث كان في صحبة الامير سيف الدولة .

وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الابناء : ان سبب قرآءة الفارابي للحكمة ، هو ان رجلا من الطلاب اودع عنده جملة من الكتب لارسطاطاليس واتفق ان نظر فيها فوافقت منه قبولا ، وتحرك الى قرآءتها ، ولم يزل كذلك حتى اتقن فهمها ، وصار فيلسوفا في الحقيقة ، ولذلك كان حريصاً على تلاوة كتب ارسطو ومطالعتها جيداً وحتى كان يحفظها على خاطره .

قال ابن خلكان: قد وجدت كتاب النفس لارسطاطاليس ، وعليه مكتوب بخط الفارابي ابي نصر . قرأت هذا الكتاب مآءة مرة ، ونقل عنه انه كان يقول : قرأت السماع الطبيعي لارسطو اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودة قراءته مرة اخرى ، وقد سئل مرة : هل انت اعلم بالفلسفة ام ارسطاطاليس ؟ فقال : لو كنت في زمانه ، لكنت من اكبر تلامذته .

وذكر في « تاريخ الفلسفة في الاسلام » عن (كشف الظنون) مامضمونه : ان مترجمي المأمون قد اتوا بتراجم مخلوطة ؛ لاتوافق ترجمة احدهم ترجمة الآخر وبقيت تلك التراجم هكذا غير محرره حتى اشرفت على التلف حتى زمن حكيم الفارابي ، فالتمس منه ملك زمانه (منصور بن نوح) ان يجمع تلك التراجم ، ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة ، مطابقة لما عليه الحكمة . فاجاب الفارابي وفعل كما اراد . وسمى كتابه (التعليم الثاني) فلذلك لقب (بالمعلم الثاني) ومنه استخرج ابن سينا كتابه المعروف بـ (الشفآء)

اخلاقه

كان الفارابي . ذكي النفس ، هادىء الطبع . ساكنا . لم يعبأ بشيء من امور الدنيا ، من ماكل اومشرب . اوملبس اومسكن . وكان اغلب لباسه من البسة الاتراك . واغلب غذائه مآء الحملان . والشراب الريحاني ، وكان في اكثر ايامه ينفرد بنفسه لايجالس الناس . ولا يكون غالباً الاعلى مجتمع مآء . اومشتبك رياض

وهناك كان يؤلف كتبه . ويتناوبه تلاميذه . والمشتغلون عليه . وكانت اكثر تصانيفه في الرقاع، ولم يصنف في الكراريس الا القليل . ولذلك جاءت اكثر تصانيفه فصولا وتعاليق . ويوجد بعضها ناقصا . وبالجملة فقد عاش الفارابي في دولة العقل ملكا، وفي عالم المادة مفلوكا .

تاليفه واثاره

ذكر الصفدي في الوافي ، عن ابي صاعد القرطبي ج ١ ص ١٠٧ فقال : من المتفق عليه لدى كل المؤرخين ان الحكيم ابا نصر قد بذ جميع اهل الاسلام ، واربى عليهم في تحقيق الحكمة ، وشرح غامضها ، وكشف سرها ، وتسهيل تناولها ، وجميع مايحتاج اليها في كتب صحيحة العبارة ، لطيفة الاشاره ، منبهاً على ما اغفله الكندي قبله من صناعة التحليل ، وانحاء التعليم وقد اوضح المقال منها على انواع المنطق الخمسة ، وافاد وجوه الانتفاع بها ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تتصرف صورة القياس في كل مادة منها ، فجاءت كتبه وفيها الغاية الكافية . والنهاية الفاضلة . ثم ان له بعد ذلك كتاباً ممتعاً فى احصاء العلوم ، والتعريف باغراضها ، لم يسبق له مثيل . بل ولم يسبق اليه ، ولا ذهب احد مذهبه . وهذا الكتاب لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به . فهو عبارة عن دائرة معارف كاملة . ومن اثاره العلمية وتاليفه ــ كتاب السيرة الفاضلة ــ والسياسه الدينية ــ اللذان حصر فيهما معظم الآراء فيما وراء الطبيعة والالهيات على مذهب ارسطو . وقد ذكر فيهما وصف احتياج المدينة الى السيرة الملكية . والنواميس النبوية .

وبالجمله فقد ذكر اكثر مؤلفاته ابن ابي اصيبعة في كتابه ــ عيون الانباء ــ والقفطي في تاريخ الحكماء ــ واحصى بعضهم مؤلفاته العظيمة الفائدة فى سبعة عشر شرحاً . وستين كتابا . وخمساً وعشرين رسالة . نذكر بعضها . ونرجى الباقي الى الكتب المفصلة وهي . كتاب المختصر الكبير في المنطق . والمختصر الصغير . وايساغوجي والسماع الطبيعي . والسماء والعالم . وكتاب النفس . وكتاب احصاء العلوم . والاخلاق

والمدنية الفاضلة . وكتاب الفلسفتين لافلاطون وارسطو ، وكتاب الموسيقى الكبير . وكتاب احصاء الايقاع ، وكتاب العقل ، وكتاب في الشعر والقوافي ، وغير ذلك كثير .

ومن اثاره : الآلة الموسيقية الشهيرة المسماة : (القانون) وقيل هي آلة اخرى تشبه القانون الحالي وقد اجرى عليها تحسينات كثيرة . ومما ينقل عنه بالنسبة الى هذه الآلة – كما في فوات الوفيات وغيره – : ان ابا نصر لما وفد على الامير سيف الدولة ، في دمشق ، وكان بزي الاتراك ، لم يعرفه الامير ، وكان مجلسه مجمع الفضلاء والعلماء والادباء ، فوقف عند باب المجلس ، فقال له الامير ، اجلس ، فقال الحكيم : اجلس حيث انا ام حيث انت ؟ فقال له الامير : بل حيث انت ، فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند الامير ، وزاحمه في مجلسه ، وكان على رأس سيف الدولة مماليك ، وله معهم لسان خاص يسارّهم به ، فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد اساء الادب ، ولكنى سائله عن اشياء ، فان لم يجب فاخرجوه فقال له ابو نصر بذلك اللسان ، ايها الامير ، عليك ان تصبر ، فان الامور بعواقبها فتعجب سيف الدولة ، وقال له : اوتحسن هذا اللسان ؟ قال نعم وسبعين مثله ، فعظم عنده . ثم اخذ الحكيم يتكلم مع العلماء الذين كانوا حاضري المجلس في فنون عديدة . فلم يزل كلامه يعلو . وكلامهم يسفل . حتى سكت الكل . و بقى وحده يتكلم ثم اخذوا يكتبون عنه كلامه . ثم صرفهم سيف الدولة . وخلا به فقال له : هل لك ان تأكل ؟ فقال لا ، فقال وهل تشرب ؟ فقال لا ، فقال وهل تسمع ؟ فقال نعم . فامر سيف الدولة باحضار القيان . فحضر كل ماهر وماهرة في هذه الصناعة . فاخذوا يبدعون فى عملهم ابداعاً اطرب الامير الا الحكيم . فانه لم يحرك احد منهم آلة الا عابه ، وقال له اخطأت ، فقال له الامير . وهل تحسن من هذه الصنعة شيئا ؟ فقال نعم . ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها . واخرج منها عيدانا فركبها . ثم لعب بها فضحك كل من كان في المجلس من دون اختيار . ثم فكها

وركبها تركيباً آخرا . ولعب بها . فبكى كل من كان في المجلس حتى الامير، ثم غيرها وضرب بها . فنام كل من كان حتى البواب . فتركهم نياماً وذهب خارجاً

اقول : هكذا نقل عنه . وسواء أكان النقل صحيحاً . ام اسطورة . فمن المسلم ان الفارابي كان قد اضاف الى حب الحكمة شغفا زائداً بالموسيقى . حتى ادى شغفه فيه . الى ان افاد العرب صنع الآت الطرب . ووضع قواعد التوقيع . وقد قال ابن ابي اصيبعة انه وضع آلة اذا وقع عليها . احدث انفعالا في النفس . فتضحك السامع وتبكيه . وتسخفه وتستظرفه ومن المحتمل ان تكون هذه الآلة هي المسماة (بالقانون) وقال الصفدي في الوافي في ترجمة الفارابي : ويقال انه هو اول من وضع الآلة المعروفة «بالقانون » وركبها هذا التركيب .

تلاميذه

لقد تخرج على الحكيم الفارابي . جمع كثير من الحكماء المشهورين . وبلغوا الى حيث اصبحوا بعد استاذهم . اعلام الفلسفة . واركان الحكمة . في الشرق والغرب نذكر اشهرهم . وهم .

زكريا بن يحيي بن عدى ؛ ابو سليمان محمد بن طاهر السجستاني ، وغيرهما كثير . ولقد انتهت تعاليمه وفلسفته بعد ان ملأت العالم بواسطة تلاميذه المنتشرة خلفا عن سلف ، الى اخوان الصفا . وحتى اصبحت صوفية صرفة كما ستعرف ذلك في مفصلات الكتب الفلسفيه وغيرها

ادبه وشعره

أن صفاء الذهن ، وحدة الفكر ، يجعلان المرء قابلا لكل ممكن ، وجديراً بمعرفة كلما يتجه اليه فكره وخياله ، ويهواه قلبه ولقد كان للفارابي ، الحاد الذهن الصافي الفكر شغل شاغل من الحكمة والفلسفة ، عن الادب ونظم الشعر . غير ان جودة قريحته ، وطبعه الرقيق جعلاله هذه الناحية من الكمال . سهلة مرنة ايضا . وذلك عندما يتجه فكره اليها

وهكذا . فقد كان ينظم الشعر الجيد الرائق . اذا ماوجد من نفسه ميلا واقبالا مضافا الى ما كانت لديه من المادة الادبية الغزيرة . منـذ شبابه . واوائل تحصيله . وهاك نبذة يسيرة من شعره مما عثرنا عليه . كقوله :

لما رأيت الزمان نكساً وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به مـــلال وكل رأس به صـداع
وكل نذل له ارتفاع وكل حـر به اتضاع
لزمت بيتي وصنت عرضا به من العزة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحاً لهـا على راحتي شعاع
لي من قواريزهـا ندامى ومن قراقيرهـا سماع
واجتني من حديث قوم قد اقفرت منهم البقاع

وقد نسب هذه الابيات . العلامة البستاني . في ج ٢ من دائرة معارفه . لابي محمد الزوزني المتوفي سنة ٤٣١ هج ولكن الاصح نسبتها الى ابي نصر الفارابي .لانه اقدم. وذكرها في ترجمته لدي المؤرخين والمترجمين اسبق . ولا اثر بعد عين

ومن شعره ايضا قوله :

اخي خل حيز ذي باطل وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار خلود لنا ولا المرء في الارض بالمعجز
وهل نحن الا خطوط وقعـــن على كرة وقع مستوفز
ينافس هـذا لهـذا على اقل من الكلم الموجز
محيط السموات اولى بنا فكم ذا التزاحم في المركز

ومما ينسب اليه قوله . وقيل لابن التلميذ الطبيب :

بزجاجتين قطعت عمري وعليهما عولت امري
فزجاجة ملأت بحبر وزجاجة ملأت بخمر
فبذى ادون حكمتي وبذى ازيل هموم صدري

وقال في اواخر ايامه :

ملت وايم الله نفسي نفسي ۱ ياحبذا يوم حلول رمسي
اول سعدي وزوال نحسي اذ كل جنس لاحق بالجنس

وله في ضمن دعاء له معروف

ياعلة الاشياء جمعاً والذي كانت به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز في وسطهن من الثرى والابحر
اني دعوتك مستجيراً مذنبا فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من كدر الطبيعة والعناصر عنصرى

وقال ايضا في دعاء آخر له ويحتمل ان تكون ملحقة بالابيات السابقة لتوافق القافية والوزن والموضوع :

رب الجوار الكنس السبع التي انبجست عن الكون انبجاس الانهر
هن الفواعل عن مشيته التي عمت فضائلها جميع الجوهر
اصبحت ارجو الخير منك وامترى زحلا ونفس عطارد والمشتري

ونقل له علم الأئمة وشيخ العلماء ، الشيخ محمد بن الحسين ، بهاء الدين العاملي « ره » في كشكوله ، هذه الابيات :

ماان تقاعد جسمي عن لقائكم الا وقلبي اليكم شيق عجل
وكيف يقعد مشتاق يحركه اليكم الباعثان الشوق والامل
فان نهضت فمالي غيركم وطر وكيف ذاك ومالي عنكم بدل
وكم تعرض لي الاقوام قبلكم يستاذنون على قلبي فما وصلوا

وله من الشعر الفارسي البديع السامي مايدلك على مبلغ ادبه وظرفه ، وان له في كل قدر مغرفة ، اذكر له بيتين ، وهما

اسرار وجود جملة بنهفته بماند وان گوهر بس شريف ناسفته بماند
هر كس بطريق عقل چيزي گفته وان نكته كه اصل بود نا گفته بماند

وتعريبهما على التقريب هو قولي :

خفياً بقى سر هذا الوجود ‏ ‏ وتلك اليتيمة لم تثقب
وكلّ بما دله عقــله ‏ ‏ يظن الوصول الى الأصوب
ولكنــه بقيت نكتة ‏ ‏ هي الاصل في القول لم تطلب

وللفارابي كلمات بليغة حكيمة ماثورة جرت اكثرها مجرى المثل السائر ذات المغزي العالي والغاية السامية

منهـا قوله : ان الاموات اولاد الامراض ، والامراض اولاد الاخلاط ، والاخلاط اولاد الاغذية والاغذية اولاد الارض ، فكل شيء من الارض والى الارض

وهناك اقوال كثيرة تجدها في مفصلات الكتب والتراجم .

١٨٦ — محمد بن محمد بن القوبع الطبيب (*)

٦٦٤ — ٧٣٦ هـ

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الجعفري الشيعي الامامي الطبيب التونسي المكنى ابو عبد الله والملقب بركن الدين ابن القوبع .

ولد في تونس سنة ٦٦٤ هـ وتوفي فيها سنة ٧٣٦ هـ وعن الوافي انه توفي فى القاهرة .

قرأ النحو على محيي ابن الفرج ابن زيتون . والاصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس . ودرس الطب بالمارستان ، و كان يتوقد ذكاء وقد مهر فى الفنون حتى بلغ الى حيث انه اذا تكلم في شيء من الفنون تحدث عن دقائقه وغوامضه ، فيقول السامع قد افنى عمره في ذلك العلم ، و كان حسن الصحبة ، كثير الصدقة سراً و كان يتودد الناس ، ويتعهد الاكابر بالبشر والايناس ، من غير حاجة به الى رب جاه اوصاحب وظيفة ، فقد كان في غنى من دنياه ، ورفعة من ذاته فى علياه

(*) الوافي ، بغية الوعاة

ولي نيابة الحكم مدة في القاهرة ثم استعفى تديناً منه ، ومال الى الرياسة العلمية وبقي هكذا حتى توفي ، وكان طبيباً في المارستان المنصوري ، وكثيرا ما كان يتولى التدريس هناك نيابة عن رئيس الطب فيه ، وكان يكثر المطالعة لكتاب الشفا لابن سينا ، في كل ليلة بلا ملل ولا سأم ، وكان يلثغ بالرآء ويجعلها همزة

قال الصفدي في وصفه : هو الشيخ الامام العلامة ، المحقق البارع ، المتقن المتفنن جامع اشتات الفضائل لم ار له نظيراً في مجموعه واتقانه وتفننه واستحضاره واطلاعه يجيد في كل مايعرفه من اصول وحديث وفقه وادب ولغة ونحو وعروض ورجال وتاريخ ، وشعر يحفظه للمتاخرين والمولدين والعرب ، ومن حكمة وطب ، ومعرفة للخطوط لاسيما خطوط المغاربة . وبالجملة فهو مجموعة في فرد ، وفرد في المجموع الانساني

وقال ايضا : أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس فقال : قدم « اي ابن القوبع » الى الديار المصرية وهو شاب فحضر سوق الكتب ، والشيخ بهآء الدين ابن النحاس حاضر ، وكان مع المنادي ديوان ابن هاني المغربي ، فاخذه الشيخ ركن الدين ، وجعل يترنم بقول ابن هاني

فتكات لحظك ام سيوف ابيك وكؤس خمرك ام مراشف فيك

وكسر التآء وفتح فآء سيوف وسين كؤس وفاء مراشف ، فالتفت اليه الشيخ بهآء الدين ، وقال له يامولى ذا نصب كثير ، فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدة المعروفة عنه ، انا ماعرف الذى تريده انت من رفع هذه الكلمات ، على انها اخبار لمبتدآت مقدرة ، اي اهذه فتكات لحظك ، ام كذا ، وانا الذي اقوله اغزل وامدح ، وتقديره أأقاسي فتكات لحظك ام اقاسي سيوف ابيك ، وارشف كاس خمرك ام ارشف مراشف فيك ، فخجل الشيخ وقال له : يامولى فلاى شيء ماتتصدر وتشغل الناس ؟ فقال له : استخفافا بالنحو ، واحتقاراً له ، واي شيء هو النحو في الدنيا ؟

وقال ابن سيد الناس ايضا : كنت انا وشمس الدين ابن الاكفاني ناخذ عليه

في المباحث المشرقية ، فابيت ليلتي افكر في الدرس الذي نصبح ناخذه عليه، واجهد قريحتي ، واعمل تعقلي وفهمي ، الى ان يظهر لي ماالجزم عليه بانه هوالمراد به فاذا تكلم الشيخ ركن الدين ، كنت انا في واد وهو في واد

وقال : وكان اذا انشد احد شيئاً في اي معنى كان، انشد هو فيه جملة للمتقدمين والمتأخرين ماينا سبها كأن الجميع كان يكرر عليه البارحة ذلك .

مؤلفاته

لم نجد له من المؤلفات ـ بالرغم من تنويه المترجمين بكثرتها ـ سوى ماذكره السيوطي في ـ بغية الوعاة ـ وهو كتاب تفسير سورة « ق » في مجلد واحـــد ـ وشرح ديوان المتنبي ـ فقط

ادبه وشعره

ان ادب ابن القوبع اجل من ان يطرى عليه، وشعره اظهر من ان ينوّه به وليس ادل على ما نقوله سوى ان نذكر للقارىء نبذة من نظمه ، وقليلا من كثير شعره ليعرف مبلغ تضلعه في الادب، ومدى غوره في المعاني واليك اضامـة من روضة ادبه .

قال السيوطي ومن شعره قوله :

تأمل صحيفات الوجود فانها   من الجانب السامي اليك رسائل
وقد خط فيها ان تأملت خطها   الا كل شيء ماخلا الله باطلُ

وذكر له الصفدي في الوافي قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدين بن دقيق وهو:

ولو غير الزمان يكون قرني   للاقى الحتف من ليث جريّ
تحاماه الكماة اذا ادلهمت   دجى الهبوات(١) في ضنك الحمي
وطبقت الفضاء فـــلا ضياء   سوى لمعان ابيض مشرفي
وارمدت العيون وكل طرف   عم الا لاسمـــر سمهري

---

(١) جمع هبته اي ضربة بالسيف

بحيث عباب بحر الموت يرمي   بموج من بنات الأعوجي (١)
عليها كل اروع هبرزي (٢)   يغالب كل اغلب شمري (٣)
تراه يرى الظبا ثغرا شنيبا   من الافرند في ظلم (٤) شهي
ويعتقد الرماح قدود هيف   فيمنحها معانقة الهدي
هناك ترى الفتى القرشي يحمي   حماة المجد والحسب السني
وتعلم ان اصلا هاشميا   تفرع بالنضار الجعفري
ولو ان الجعافرة استبدت   به يعنى الهمام القوبمي

ثم ياخذ في مدح ممدوحه الى ان يكملها ، وفيها مايدل على تشيعه وولائه لآل البيت عليهم السلام وذكر له ايضا من قصيدة غزلية بديعة قوله :

جوى يتلظى في الفؤاد استعاره   ودمع هتون لايفك انهاره
يحاول هذا رد هذا بصوبه   وليس بماء العين تطفأ ناره
ولوعا بمن حاز الجمال باسره   فحاز الفؤاد المستهام اساره
كلفت به بدري مافوق طوقه   ودعصي مايثنى عليه ازاره
غزال له صدري كناس ومرتع   ومن حب قلبي شيحه وعراره
حكى ليلتي من فقدي النوم يومها   كما قد حكي ليلى ظلاما نهاره
كتمت الهوى لكن بدمعي وزفرتي   وسقمي تساوى سره وجهاره
ثلاث سجلات علي بانني   امام غرام قل فكيف استتاره
اوري بنظمي في العذار وتارة   بمن ان يغني القرط اصغي سواره
وجل الذي اهوى على الحلي زينة   ولما يقارب ان يذب عذاره

---

(١) كناية عن القسي
(٢) الاروع الشجاع والهبرزي الاسد وهي من الدخيل
(٣) الاغلب القاهر الغالب والشمري المجرب المجد في الامور
(٤) الافرند جوهر السيف ووشيه والظلم بفتح الظاء بريق الاسنان

أراحة نفسي كيف صرت عذابها ... وجنة قلبي كيف منك استعاره

الى آخرها وهي طويلة ، وله في اجازة له اجاز بها احد تلامذته ، وهو تاج الدين المراكشي ، قال

وفقه الله لما يرتضى ... في القول والفعل وما يدري
وزاده فضلا الى فضله ... بما به يأمن في الحشر
فهذه الدار بما تحتوي ... دار اذى ماؤ من الشر
ذلت بنيها بغرور فهم ... في عمه فيها وفي سكر
قد خدعتهم بزخاريفها ... معقبة للغدر بالغدر
تريهم بشراً ويا ويحهم ... كم تحت ذاك البشر من مكر
فعد عنها واشتغل بالذي ... يوليك خيراً آخر الدهر
فانما الخير خصيص بما ... تلقاه بعد الموت والنشر
هذا اذا منّ الذي يرتجى ... رحماه بالصفح وبالغفر
وزاد رضوانا فهذا الذي ... يدعى به لأطول العمر

وله غير هذا شعر كثير ، كله جيد بديع وبليغ متين وبما ذكرنا عنه كفاية .

١٨٧ ـ محمد بن محمد المشدالي الطبيب (*)

٨٢١ ـ ٨٦٤ هـ

محمد بن محمد بن ابي القاسم بن عبد الصمد بن عبد المحسن، ابو الفضل المشدّالي « بتشديد الدال » الطبيب البجالي المغربي .

ولد سنة ٨٢١ هـ في بجالة ، وفيها نشأ ، وحفظ القرآن وتلاه بالسبع على ابيه وحفظ شيئا كثيراً من المختصرات والمطولات ، ثم اخذ النحو والعروض على يوسف الربعي ، والعربية والمنطق والاصول والميقات على ابي بكر التلمساني واخذ النحو ايضا

(*) البدر الطالع للشوكاني

على البيروي ، والحساب على الحسناوي ، ثم قرأ على ابيه الاصول والمعاني والبيان والتفسير والحديث والفقه ثم ارتحل الى تلمسان ، واخذ على ابن مرزوق وغيره من علمائها ؛ الجبر والمقابله ، والهيئه ، والمرايا ، والمناظر ؛ والاوقات وعلم الطب بانواعه مع اتقان تام ، وكذلك الاسطرلاب ، والصفائح ، والجيوب ، والارتماطيقى ، والموسيقا ، والطلسمات ، ثم عاد الى بلده ، وقد برع في العلوم ، واتسعت دائرة معارفه ، وكثرت فنونه ، وبرز على اقرانه ، بل على مشايخه .

ثم اخذ في الاسفار ، فذهب الى قبرص ، ثم بيروت ، ثم دمشق ، ثم طاف بلاد الشام ، وقطن في القدس مدة ، وذاع صيته في الطب والعلم ، ثم حج ورجع الى القاهرة ، وحاز المنزلة الرفيعة عند السلطان ، واخذ بالتدريس فبهر العقول وادهش الالباب ، وبقي مدة طويلة يفيد الناس روحاً وجسماً ، ثم رغب في السفر مرة اخرى فغادر مصر ، وطاف البلاد ، وركب البحر ، حتى مات غريباً في «عينتاب» سنة ٨٦٤ هـ

ادبه وشعره

لقد كان هذا العالم الحكيم ، مع وفور علمه ، وجلالة قدره ، ذا ادب سام ؛ وطبع شعري رقيق ، واريحية تدل على روح شفافة ، ونفس سامية ، فهو حكيم اديب وطبيب اريب ، وشاعر مفلق ، وان كان مقلا فمن نظمه قوله :

برق البعاد بدا بافق بعادنا ... فتضعضعت اركاننا لرعوده
كيف الفراق وقد تبدد شملنا ... والبين شق قلوبنا بعموده
لله ايام مضت لسبيلها ... والدهر ينظم شملنا بعقوده

١٨٨ — محمد بن محمد الطبيب الحميدي (*)

٩٣٠ ـ ١٠٢٠ هـ

محمد بن محمد بن احمد ، شمس الدين الحجازي ، الحميدي ، الحمى ، الدمشقى

(*) خلاصة الاثر ، وفوائد الارتحال

ويعرف في حمص ، بابن سماقة ، وفي دمشق بالحجازي لمجاورته مكة المكرمة بضعة عشر عاماً .

ولد سنة ٩٣٠ هج ، وكان اماماً عالماً ، وفقيهاً مفتياً ، وطبيباً ماهراً ، وشاعراً مبدعاً ، اخذ طريقة القوم ، على الشيخ على الايلاقي اليمنى في المدينة ، ثم عاد الى دمشق ، فصحب الشيخ منصور بن عبد الرحمن شيخ السقيفة ، وزعم انه اخذ عنه الزايرجه ، والكيميا ، وعرفهما عنه جيداً ، واخذ الطب عن الشيخ يونس بن جمال الدين رئيس الاطباء بدمشق ، واختص بصحبته زمانا ، وكان يحاضر باخباره كثيرا .

قال ابو المعالي الطالوى في كتابه (السانحات) : بينا انا في مجلس شمس الدين الطبيب ، اذا بقاصد من قبل القاضي ، معروف الصهيوني ، سنة ٩٧١ هج ومعه سكرجة يستهدى بها شيئاً من المركب المسى (برء الساعة) وفي طراز السكرجة هذه الابيات . وهي :

لازال كل رئيس يريك سمعاً وطاعه
وكل رب مزاج بكم يرجي انتفاعه
عبد اتاكم محب قدمد كف الضراعه
يشكو اذى ودواه لديكم برء ساعه

فقضى حاجته وكتب تحت السكرجة مرتجلا هذه الابيات جواباً له على الوزن والقافية :

العبد عبد محب ابدى قبولا وطاعه
كالسحر قابل امراً مطرزاً بالبراعه
اهدي اليكم دوآء مهذباً بالصناعه
يشفي بفعل عجيب في الوقت وهو ابن ساعه

ومن شعره قوله :

بدا كالبدر يجلى فوق غصن — يميس بحسن قد وابتسام
وارخى فوق خديه لثاماً — فما احلاه في ذاك اللثام
يغار البدر منه اذا تبدى — ويخفى تحت اذيال الغمام
كحيل الطرف ذو خد اسيل — نحيل الخصر ممشوق القوام
له مقل مراض قاتلات — فواتر راميات بالسهام
رمى بسهام مقلته فؤادي — فما احلاه من رشأ ورامي
فوا اسفاه كيف اموت وجدا — ولا اقضى من الرامي مرامي
له ثغر حوى فيه رحيقا — به يشفى العليل من السقام
انا المضنى المتيم في هواه — وجفني من جفاه جفا منامي

و كان متضلعا في العلوم الفقهيية والعربيه وقد ولد سنة ٩٣٠ هـ وتوفي سنة ١٠٢٠ هج ودفن بمقبرة باب الصغير

١٨٩ - محمد بن محمد العبدري الغرناطي « * »

٠٠٠ - ٧٥٣ هـ

محمد بن محمد بن محمد بن بليش العبدري ، الغرناطي . قال ابن الخطيب ، : كان مقدماً في العربية ، مشار كا في الطب وقد اثرى من التكسب بالكتب ، وسكن سبته مدة ، ثم رجع واقرأ مدة بغرناطه .

و كان قد قرأ على ابن الزبير ، وابن الرشيد ، مدة مديدة ، كما قرأ على ابن العماد وغيره

وله شعر لا بأس به ، ومن نظمه قوله :

نحلتني طائعاً فؤاداً — فصاد اذ حزته مكاني
لاغرو اذ كان لي مضافاً — اني على الكسر منه باني

و كانت وفاته بغرناطه سنة ٧٥٣ هج على مهاجرها الآف التحية

« * » الدرر الكامنة

١٩٠ — محمد بن محمد ابن العشاب « * » ...

محمد بن محمد احمد بن ابراهيم المناوي ، ابن العشاب القرطبي ، التونسي .

قال ابن الخطيب : كان فاضلا ، حيياً سخيا ، ورد الاندلس بعد سنة ٧٤٠ هج لما نكب ابوه . على طريقة من الوقار والديانة ، وكان يقوم على القران تجويداً ، ويشارك في الطب . ثم رجع الى الاندلس واقام بها على بعض الاعمال النبيهة ، وقد حج ورجع ، وله شعر متوسط ، ومنه يخاطب سلطانه بقصيدة ، مطلعها :

لعل عفوك بعد السخط يغشاني   يوماً فينعش قلبي الواله العاني

ولم نعثر على عام ولادته ووفاته

١٩١ — محمد بن محمد بن دمرداش « * »

٦٣٨ — ٧٢٣ هج

محمد بن محمد بن مكي بن دمرداش الدمشقي ، ولد سنة ٦٣٨ هج وتوفي سنة ٧٢٣ هج خدم جنديا مدة عند المنصور صاحب حماة ، وعمل طبيباً في اواخر ايامه بدمشق ايضا وعمر طويلا وقد قال الشعر الرائق حتى اقب بالبحتري — وله ديوان شعر كان معروفاً ، وهو القائل :

انظر الى الاشجار تلق رؤسها   شابت وطفل ثمارها ما ادركا

وعبيرها قد ضاع من اكمامها   وغدا باذيال الصبا متمسكا

١٩٢ — محمد بن محمود ابو المحامد (*)

محمد بن محمود ابو المحامد ؛ كان جم المحاسن ، كثير المحامد ، مقتبل الشباب ، مكتهل

« * » الدرر الكامنة

« * » الدرر الكامنة

« * » معجم الاطباء

الآداب ، قد ملأ من تفاريق العلوم صاعه ومده ، قبل ان بلغ اشدّه ،ففيها فطنا في نوعي الفتيا والنظر ، حافظا لاصول اللغة ، عالمًا بقوانين الأعراب ، راويًا لكلمات الأعراب ، جامعًا بين بلاغة الكتاب في النثر ، واخلاق الشعرآء في النظم ، حكيما ماهراً فی صناعة التنجيم والحساب ، حاذقًا في الطب وامور المعالجات ، وطبيبًا يوخذ صفوًا ويشرب عفواً ؛ ويحق ان تحمد خلائق من ليس في خيره شر يكدره على الصديق ، ولا في صفوه كدر ، وكانّ القائل عناه بقوله

صديق لنا مثل بدر الدجى يكلمنا بلسان الملك

ويكتم اسرار خلانه ولكن ينم بسرّ الفلك

وله نظم بديع حسن وشعر متين مستملح ، منه قوله :

الا ياصبا نجد لقد هجت موهنًا وهيجت اشواقًافبالله عرّجی

وردّی علينا من نسيمك نفحة تبرد نار الصدر منا فيثلج

الى ان يقول :

فسيری ايا نجدية النشأ واقرئي سلامي على ليلى اذا لم تعرجي

تحية مشغوف الفؤاد بذكرها وان زاد شوقا كالحريق الؤجج

وقولی لها ياليل هل تخبريننا مقالة صدق غير قيل ملجلج

أفيك لنا من مرتج إن نرجه وهل صادق فيك الرجاء لمرتج

ام الوصل فيك اليوم الوی به النوی وريب زمان بالتفرق ملهج

الى آخرها ولم نعثر على ولادته ولا وفاته .

١٩٣ — محمد بن يحيي السبتی « * » ٠٠٠ — ٧٦٨ هج

محمد بن يحيي بن عبد الله بن محمد بن احمد المغربي ، من اهل سبته ، يكنى ابا القاسم من رؤساء سبته بويع بعد ابيه فی شعبان سنة ٧١٩ هج وخلع في صفر سنة ٧٢٠ هج ،

* معجم الاطباء

امه ابنة عم ابيه ، وهي عايشه بنت ابراهيم ، فانتقل بعد خلعه الى غرناطة ، ونظر هناك في الطب ودون فيه ، وبرع في التوشيح ، ثم انتقل الى مدينة « فاس » فاستعمل في الخطط الفقهية ، اوكتب عن ملوكها ، وقام له سوق نافق بهـا ، وعلا تدفق انهاره وكثر غالي نظمه واشعاره ، ولم اظفر منه الا بما قاله ، في ابي عبد الله ابن الرزاق الجرولي ، القاضي بفاس ، حيث يقول :

وليت بفاس امور القضا   فاحدثت فيهـا اموراً شنيعه

فتحت لنفسك باب الفتوح   فغلقت الناس باب الشريعه

وقد توفي بفاس سنة ٧٦٨ هج على مهاجرها الآف التحية .

١٩٤ - محمد بن يحيى بن باجة « * » ٤٩٨ - ٥٣٣

محمد بن يحيى الصائغ المشهور (بابن باجّـة) بتشديد الجيم ، الطبيب الفيلسوف والحكيم الاديب الاندلسي المعروف .

ولد سنة ٤٩٨ في بلدة (تجيب) من مقاطعة (سرقسطه) في الاندلس وانا وان كنا لم نعلم من حياته الاولى شيئا ولم يذكر المؤرخون سنة ولادته غير انهم اجمعوا على انه شب في سرقسطه ونبغ فيها ، وقال الشعر ، ومدح اميرها ثم درس العلوم ، واشتهر بذكائه وعقله وعلمه وتوفي سنة ٥٣٣ هج عن ٣٥ عاماً فتكون ولادته كما ذكرنا

كان من اكبر فلاسفة الاسلام ، واشهر علماء العرب ، في القرن السادس الهجري ، علامة دهره في العلوم المتنوعة ونادرة عصره في الحكمة والفلسفة ، وعديم النظير في الطب والعـلاج ، وكان يشبه الفارابي في الموسيقى ، ولا سيما التوقيـع على العود . وقد نعته ، لسان الدين الخطيب الطبيب ، في كتابه (الاحاطة) بقوله : هو آخر فلاسفة الاسلام في الاندلس ، ووصفه اللاهجي بمثل ذلك .

وقال تلميذه ، علي بن الامام الغرناطي : كان ابن الصائـغ في حـدة الذهن ،

(*) عيون الانباء ، قلائد العقبان ، مطمح الانفس

ولطف الغوص على المعاني الجليلة الدقيقة ، اعجوبة الدهر ، ونادرة الفلك . وقد ثبت انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي مثله ، في الفنون التي تكلم عليها

وقال ابن ابي اصيبعة : كان في العلوم الحكمية ، علامة وقته ، واوحد زمانه ، وقد بلي بمحن كثيرة ، وشناعات من العوام ، قصدوا هلاكه بها مرات عديدة ، وسلمه الله منهم ، وكان متميزاً في العربية ، والادب ، حافظا للقران الكريم .

وقال القفطي : كان عالمًا بعلوم الاوائل ، وهو في الآداب فاضل ، لم يبلغ احد درجته من اهل عصره في مصره ، وقال غيره : لما سمع به ابو بكر ابراهيم الصحراوي صاحب سرقسطه ، قدمه واحترمه ، وحصلت بينهما صحبة والفه فمدحه ابن باجه بمدائح كثيرة ، ولما رأى ابو بكر عقله وتدبيره ، وسياسته وعلمه ، طلب منه استيزاره ، فقبل واصبح وزيراً فحسنت حاله وبعد مدة اضطر الى ان يتحول من سرقسطه الى اشبيليه ، حيث اقام هناك ، وانقطع الى تأليف الكتب ، وتدوين علومه وفلسفته . وكان السبب في مغادرته سرقسطه ، او على الاصح فراره الى اشبيليه ، هو دخول (الفونس الاول) فاتحا الى سرقسطه سنة ٥١٢ هج ثم بعد مدة غادر اشبيليه الى غرناطة ثم الى المغرب ، فكان موضع اجلال ، امير فاس « يحيي بن تاشفين بن يوسف » واكباره واحترامه ، حتى استوزره وحسنت حاله وحال الرعية بتدبيره ، ولكن علماء عصره حسدوه ، ولم يجدوا بداً لاسكات غضبهم وحنقهم ، الا بتكفيره ، فرموه بما اشتهر به من الزندقة والالحاد حتى دسّ اليه السم بالباذنجان غيلة ، ومات في بلدة فاس من مراكش المغرب ودفن قرب قبر ابن العربي

وقيل ان الذي دس اليه السم ، خصمه الطبيب ابو العلا ابن زهر ، بتحريض عداوته الشخصية واعدائه الآخرين وقد اختلف المؤرخون في اعتقاده ، وتضاربت اراؤهم فيه ، فمنهم من يطري عليه بالعلم ، والتدين والعقيدة السليمة ، وهم الاكثر وآخرون يرمونه بالكفر والالحاد والزندقة ، حتى قال الزركلي في الاعلام : وكان ينسب للتعطيل ، ومذهب الحكماء ، وحتى ان الفتح ابن خاقان (وكان معاصراً له)

ذمه في كتابه قلائد العقيان ونسبه للالحاد ، ولكنه سرعان مارجع عن قوله ، ومدحه في كتابه الآخر ، مطمح الانفس .

وهذا مما يستدل به ، على ان نسبة الكفر والالحاد اليه ناشئة عن الاغراض الشخصية لاغير ، والا فما هو الداعي الى مدحه وذمه ، من مؤرخ كبير معاصر له ، وما معنى عدم ذكره للحقيقة كما تقتضيه امانة التاريخ من ذكر الواقع ، والمؤرخ مصدر لمن بعده ومعتمد للمؤرخين الذين يخلفونه في النقل والتدوين .

وقد قيل في سبب ذم ابن خاقان له في القلائد ، امران ، احدهما ماذكره لسان الدين الخطيب في الاحاطـة . وذلك ان الفتح كان يفخر بنفسه لاحترام امراء الاندلس له ورضاهم عنه ، واتفق ان ذكر ذلك في مجلس ابن باجة فاحتقره وعابه على هذا التطاول الفارغ والفخر الزائف ، وكان الفتح حاضراً فسكت واضمره له حتى اظهر ذلك في كتابه قلائد العقيان . وثانيهما ماذكره القفطي في تاريخه : من ان الفتح لما اراد تاليف كتابه هـذا ارسل الى ابن باجه ، يطلب ذكر شيء من تآليفه وشعره ليورده في ترجمته ، فغالطه ابن باجه مغالطة احنقته عليه ، فذكره بالقبيح . ولكن بعد مدة ارتفعت تلك العداوة ، ثم حصل التفاهم بينهما فذكره في المطمح بالذكر الجميل والوصف الحسن .

فظهر مما تقدم ان الذي جعله ملحداً وزنديقاً هو الغرض الشخصي الذي لامطابقة له مع الواقع ، بل الحقيقة انه مسلم حسن العقيدة ذو دين ومروءة ، واليك بعض الاقوال الصريحة بتوحيده واسلاميته .

قال ابن ابي اصيبعه ـ انه كان يقول دائما : حسن عملك تفز بخير الله سبحانه وقد رثى امه بقوله

فياركب المنون الارسول   يبلغ روحها ارج السلام
سألت متى اللقاء فقيل حتى   يقوم الهامدون من الرجام (١)

(١) جمع رجم بفتحتين وهي القبور

ومثله قوله في رثاء الامير ابي بكر ابن ابراهيم

ايها الملك قد لعمرى نعي الحجة ناعيك يوم قمنا فتحنا
كم تقارعت والخطوب الى ان غادرتك الخطوب في الترب رهنا
غير اني اذا ذكرتك والدهر اخال اليقين في ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقالوا الحشر قلنا صبراً عليه وحزنا

واما ما كان من ارآئه الفلسفية ، التي جعلها خصماؤه سلماً الى تكفيره ، فهو رأي فلسفي حكمي ، لاعلاقة له بالدين والعقيدة ، شان كل فيلسوف وحكيم ، فليس من للانصاف مؤاخذته به .

تلاميذه

تلاميذ ابن باجة كثيرون وكلهم حكماء مشهورون ، نذكر لك اشهرهم ؛ وهم ثلاثة الأول ـ ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام الغرناطي ، وكان اكثرهم اتصالا به حتى حضر وفاته ودفنه بنفسه ، الثاني ابو الحسن علي المعروف بتلميذ ابن باجه المتوفى في مصر ، والثالث ابو الوليد بن رشد ، الحكيم الفيلسوف الشهير ، وقيل ان ابن رشد هذا كان بعد ابن باجة ، ولم يبلغ عصره ولكن تلمذ على كتبه وتصانيفه ، وتخرج عليها .

مؤلفاته

لهذا الفيلسوف الذي عاش شابا ولم يبلغ الكهولة ، تصانيف ومؤلفات كثيرة قد يعسر على من اراد قياسها بعمره اللائق بالتاليف ، ان يصدق صدورها عنه . وقد ترجمت اكثرها الى اللاتينية ، وكانت تدرس في اوروبا مدة

قال ابن طفيل بعد ذكر ما كان عليه ابن باجة من توقد الذكاء ، وسعة الفكر ، وتفوقه على اهل عصره : انه توفي مأسوفا عليه ، لان مشاغل الدنيا وكوارث الحياة ، وموته قبل اوانه ، قدعاقته كلها عن فتح كنوز علمه ، فان اهم ما خلفه من الكتب غير تام ، وما كتبه كان على عجل ، وجلها في مسوداتها .

والمعروف من مؤلفاته ـ شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطو ، وقول على بعض الاثار لارسطو ايضا ، وقول على كتاب الكون والفساد ؛ وقول على كتاب الحيوان لارسطو ، ورسالة الوداع ؛ وكتاب اتصال العقل بالانسان ، وكتاب القوة النزوعية ، وكلام في الغاية الانسانية ، وكتاب في الاسم والمسمى ، وكتاب في المزاج بما هو طبي ، وكتاب في تدبير المتوحد ، وكتاب في الادوية المفردة ، واختصار اختصار الحادي الى غيرها كثير

ادبه وشعره

على انه كان اديباً شاعراً ، ناظما رقيق الطبع ، انيق الشعر ؛ لم يكن مكثراً ، لانشغاله بالعلم والفلسفة ، وقد كان نظمه كنظم اكثر الفلاسفة ، ممزوجا بنظرات فلسفية عامة . ومن شعره يخاطب ذا الوزارتين ، يزيد ابن مجاهد ، وهو في الحبس

لعلك يايزيد علمت حالي فتعلم اي خطب قد لقيت
واني ان بقيت بمثل مابي فمن عجب الليالي ان بقيت
يقول الشامتون شقاء بخت لعمر الشامتين فقد شقيت
أعندهم الامان من الليالي وسالمهم بها الزمن المقيت

وله ايضا قوله :

ضربوا القباب على اقاحة روضة خطر النسيم بها ففاح عبيرا
وتركت قلبي سار بين حمولهم دامي الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت اسيرهم هل عندهم عان يفك وهل سألت غيورا
لا والذي جعل الغصون معاطفا لهم وصاغ الاقحوان ثغورا
مامر بي ريح الصبا من بعدهم الا شهقت له فعاد زفيرا

وله في غلام حبشي كان يهواه ، وقد اسر :

ياشائقي حيث لا استطيع ادركه ولا اقول غدا اغدو فالقاه
اما النهار فليلي ضم شملته على الصباح كاخراه

اغر نفسي بآمال مزخرفة   منها لقاؤك والايام تأباه

وقال وقد اخبر بموته في الاسر :

الا يارزق والاقدار تجرى   بما شائت نشا اولا نشاآء

أأنت مطارحي شكوى فتدرى   وادرى كيف يحتمل القضاآء

يقولون الامور تكون دوراً   وهذا فقده فمتى اللقاء

وقال وهو ينظر الى القمر وقد خسف ، ذاكراً محبوبه :

شقيقك غيب في لحده   وتشرق يابدر من بعده

ولكن خسفت فكان الخسوف   حداداً لبست على فقده

وقال وقد يئس من الحياة بعد ان سمع بتصميم القوم على قتله :

اقول لنفسي حين قابلها الردى   فراعت فراراً منه يسرى الى يمنى

قفي تحمدى بعض الذي تكرهينه   فقدطالما اعتدت الفرار الى الاهنى

الى غير ذلك من الشعر الكثير الجيد ؛ والنظم البديع المتين

١٩٥ ـ محمد بن يحيى الحاكم « * »

محمد بن يحيى الحاكم ، ذكره ابو الحسن الباخرزي ، في دمية القصر ، في القسم السادس ، في جملة شعرآء خراسان ، وقهستان ، وسجستان ، وغزنه فقال : هو متنوع في العلوم ، متصرف في الفقه ، والوعظ . والطب والنجوم ، اذا افتى حل عقد المشكلات ، وان وعظ شرح قلوب العصاة ، واذا عالج سد طريق الممات واذا نجم نم عن السموات ، وله شعر بارع • وترسل بالغ . وقد انشدني لنفسه قوله :

ألا انما الدنيا متاع فخلها   فان المنايا للاماني بمرصد

فحتى متى ترجو المنى وهي ضلة   وحتى متى تخشى الردى فكأن قد

لك الخير فاسمع انني لك ناصح   مضى امس فاسمع اليوم ينفعك في غد

(*) دمية القصر لابي الحسن الباخرزي

وله ايضا قوله :

أليس عجيباً ان ترى كل عاقل ... له امل والموت قبل حصوله
فهل تارك دنياه قبل نزالها ... وهل عابر للقبر قبل نزوله

وقال ايضا متغزلا :

أأحبابنا قد فرق البين بيننا ... فما منكم بد وما عنكم صبر
ويوم وقفنا للوداع كاننا ... وقفنا على جمر وان لم يكن جمر
اضاءت لنا من جانب الخلد غادة ... تمنيت لو ان الفؤاد لها خدر
ووردية الخدين مهضومة الحشا ... اذا ماتجلى وجهها اظلم الشعر
فلو كان ذا صبحاً لما طلع الدجى ... ولو كان ذا ليلا لما سطع الفجر
اشارت الينا بالسلام فودعت ... ولا سرّ الا وهو عند النوى جهر

وله شعر غير هذا كثير . ولم نعثر على سنة وفاته ولا ولادته

١٩٦ ـــ محمود بن عمر بن دقيقة « * » ٥٦٤ ـ ٦٣٥ هج

محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع الشيباني . المعروف بابن دقيقة . والملقب بسديد الدين : ابو الثناء

ولد سنة ٥٦٤ هج في مدينة حيني . ونشا بها وتعلم وبرع واشتهر حتى توفي في دمشق سنة ٦٣٥ هج

قال ابن ابي اصيبعة : هو الحكيم الفاضل . ذو النفس الفاضلة · والمروءة الكاملة قد جمع من فنون الطب ماتفرق من اقوال المتقدمين . وتميز على ساير نظرآئه واضرابه من الحكماء المتطببين . هذا مع ماهو عليه من الفطرة الفائقه · والنباهة الرائقه . والنظم البليغ . والشعر البديع . وكان ينظم الامثال والحكم · ويجيد الرجز ويسرع في نظمه مع الابداع .

« * » عيون الانباء وغيره

تلمذ في الطب والحكمة على الشيخ فخر الدين . محمد بن عبد السلام الماردينى . ولازمه طويلا . وكان عارفاً بالكحالية . ومداواة العين بالقدح . كما كان مقدماً بالنجوم . فاضلا في النحو واللغة .

ولما كان فخر الدين الماردينى بمدينة « حيني » وصاحبها يومذاك (نور الدين) ابن « جمال الدين بن ارتق » وكان قد عرض لنور الدين مرض في عينيه . فداواه الشيخ فخر الدين مدة ايام . ثم عزم على السفر . فاشار على نور الدين بان يداويه سديد الدين ابن دقيقة . فعالجه سريعاً . وبرىء برءاً تاماً . فاطلق له جامكية وجراية في صناعة الطب وكان عمره اذ ذاك دون العشرين سنة ـ كما نقله هو عن نفسه .

وقد خدم في مهنته اولا ـ نور الدين بن جمال الدين بن ارتق صاحب حيني « مسقط راسه » ثم خدم الملك المنصور صاحب حماة . ثم صلاح الدين . ثم الاشرف ابا الفتح موسى ابن الملك العادل ابن زنكي ثم غادر حماة الى دمشق . فدخل في المارستان الكبير . الذي انشأه الملك العادل . وهكذا بقي هناك حتى توفي في السنة المذكوره .

مؤلفاته

كان له من المؤلفات شيء كثير . اشهرها .. كتاب قانون الحكماء وفردوس الندماء ، ورساله لطف السائل وتحفة المسائل . وهي ارجوزة نظم فيها مسائل حنين وكليات ابن سينا ، وادوية الباه ، وارجوزة في الفصد ، ورسالة الغرض المطلوب في الماكول والمشروب ، ومقالة في الحميات ، وديوان شعر .

ادبه وشعره

كان المترجم ابن دقيقه كما ذكره ابن ابي اصيبعة وغيره من المؤرخين . جيد النظم . بديع المعنى . لطيف الديباجه . متين الاسلوب . كثير الشعر رقيقه . فمن

ذلك ماذكره ابن ابي اصيبعه انه انشده اياه قوله

اقول لنفسي حين ابدت تشوقا   الى العالم الاعلى رويدك يانفسي
محالا ترومين النجاة وانت في   المهالك من حبس الطبيعة والحس
ودونك بحر ان تعديت لجه   امنت وفزت بالخلاص من الحبس
فان رمت وصلا نحو سجنك فاكشفى   غطاءك وانضى ماعاينك من اللبس
ولا تقبلي نحو الكثيف فتحرمي   مجاورة الاطهار في حضرة القدس
ولا تتركي مايامر الله ضلة   فتبقى بحبس الدهر بالشك واللبس
ولا تهملي يانفس ذاتك واكثرى(١)   التفكر فيها واهجرى كلما ينسي
ولا تغفلي عن ذكرك الاول الذي   به قامت الافلاك والعرش والكرسي
وصلت على كره الى الهيكل الذي   به اعتضت بالدهر الطويل عن الانس
وما كان هذا الوصل الا لترجعي   منزهة بالعلم عن وصمه الوكس
فعن امم تقضى ايابك فاعلمى   لاخراك ماينجيك من ظلمة الرمس
فان تتركي نهج الهدى كنت في غد   كمن باع راس المال بالثمن البخس
فعودى الى باريك يانفس ترتقي   اليه والا دمت في العالم المنسي
حليفة هم دائم وكآبة   مجاورة اهل الدناءة والرجس
مخلاءة ممنوعة ومهانة   مبدلة بعد التنعم بالتعس
مبوأة دار الهوان مذالة   ومحشورة في زمرة الصم والخرس
سبيل الهدى يانفس عند ذوى النهى   اشد وضوحا من سنا البدر والشمس

وله كما في عيون الانباء من قصيدة طبية قوله :

توق الامتلاء وعد عنه   وادخال الطعام على الطعام
واكثار الجماع فان فيه   لمن والاه داعية السقام
ولا تشرب عقيب الاكل ماء   لتسلم من مضرات عظام

---

(١) الالف لاتحذف في الدرج لانها همزة قطع وهنا تحذف للضرورة فتامل

ولا عند الخوا والجوع حتى　　تلهى باليسير من الأدام
وخذ منه القليل ففيه نفع　　لدى العطش المبرح والأوام
وهضمك فاصلحنه فهو اصل　　وسهل بالايارج كل عام
وفصد العرق نكب عنه الا　　لدى مرض رطيب الطبع حام
ولا تتحركن عقيب اكل　　وصير ذاك بعد الانهضام
لكيلا ينزل الكيلوس نجا　　فيدخل في المنافذ والمسام
ولا تدم السكون فان فيه　　تولد كل خلط فيه خام
وقلل مااستطعت الشرب بعـــد الرياضة واجتنب شرب المدام
وعدل مزج كاسك فهي تبقي　　الحرارة فيك دائمة الضرام
وخل السكر واهجره مليا　　فان السكر من فعل الطغام
واحسن صون نفسك من هواها　　تفز بالخلد في دار السلام

وقال ايضا في الطب :

غرض الطب ياأخا اللب عرفان مبادى ابداننا والاصول
قبل حالاتها وما توجب الحالات فيها وما بها من دليل
لتدوم الابدان موجودة الصحـــة منا وذاك بالتعـــديل
وتزال الامراض ان امكن الحال وذا بالافراغ والتبديل

وقال فيه ايضا :

اذا مااشتهى ذو علة بعض ما به　　شفاء من الداء الذي جسمه حلا
فلا تمنعه مااشتهاه فربما　　تراه وشيكا عقدة الداء قد حلا
وكان كما قد قيل في مثل جرى　　من السعدان يبقى هوى صادق عقلا

ومن نصائحه :

لاتصبحن فتى اراك تكلفا　　وداً واضمر ضد ذاك بطبعه
واهجر اخاك اذا تنكر وده　　فالعضو يحسم داؤه في قطعه

وقال :

اری کل ذی ظلم اذا کان عاجزا   يعف ويبدو ظلمه حين يقدر
ومن نال من دنياه ما كان زائدا   على قدره اخلاقـــه تتنكر
وكل امرء تلقاه للشر مؤثرا   فـلا بد ان يلقى الذي كان يؤثر

وقال: وما صاحب السلطان الا كراكب   بلجة بحر فهو يستشعر الغرق
فان عاد منه سالم الجسم ناجياً   فما نفسه فيــه يفارقها الفرق

وقال متغزلا :

واهيف القد قاني الخد تيمني   وفي بحار الأسى القاني القاني
لو حل في القلب ثان غيره وثنى   عنه هواي ثنيت الثاني الثاني
ولو جنيت جنى ما كان غارسه   فيه هواه لكنت الجاني الجاني
ولو وحق هواه زار في حلمي   خياله موهنــاً الفاني الفاني
الغى فوادي ومغناه الفواد فهل   لي من مجير وقد الغاني الغاني (١)

وقال راثيا ولده بقوله :

بنى لقد غادرت بين جوانحي   لفقـــدك ناراً حرها يتسعر
واغربت بالاجفان بعد رقادها   سهاداً فلن تنفك بعدك تسهر
فلست ابالي حين بنت بمن نوى   ولم ارمن اخشى عليه واحذر
وقال اناس يصغر الحزن كلما   تمادى وحزني الدهر ينمو ويكبر
وكنت صبوراً عند كل ملمة   تلم ومذارديت عزاً التصبر
كملت فوافتك المنون وهكـذا   يوافي الخسوف البدر ابان يبدر

وقال ايضا وقد نظر الى قول الامام علي بن ابيطالب عليـه السلام ـ انظر الى ماقال ولا تنظر الى من قال :

لاتكن ناظراً الى قائل القو   ل بل انظر اليه ماذا يقول

---

(١) الغاني المستغني بحسنه عن تحسّنه

وخذ القول حين تلفيه معقو ... لا ولو قاله فتى مجهول
فنباح الكلاب مـــع خسة ... فيها على منزل الكريم دليل
وكذاك النضار معدنه الا ... رض ولكنه الخطير الجليل

وله شعر جيد كثير لامعنى لذكر اكثر من هذا وان كان كله مليح .

١٩٧ محمود بن مسعود قطب الدين الشيرازى (*)

٦٣٤ ـ ٧١٠ هجـ

محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي المكنى بالعلامة الشيرازي ابي الثناء والملقب بقطب الدين .

ولد في صفر سنة ٦٣٤ هجـ في كازرون وقيل في شيراز ، وتوفي كما قال الفوطي ١٤ رمضان سنة ٧١٠ هجـ في تبريز ، امام علامة ، ذو فنون فهامة ، متكلم لا يشق غباره ، ومحقق لاتدرك اسراره .

كان ابوه طبيباً ، وعمه من الفضلاء ، فقرأ عليهما ، وعلى الشمس الكتبي ، والزكي البوشكاني حتى برع فى الطب ، وعين طبيباً في المارستان المظفري في شيراز ، بعد ان مات ابوه ، وهو ابن اربعـــة عشر سنة ، ثم قصد الحكيم الفيلسوف العظيم ، شيخ الامامية « النصير الطوسي » المعروف « بالخواجه » وزير الملك « هلاكو » ـ فاتح بغداد ـ ولازمه ، وقرأ عليه تآليفه في الفلسفة والهيئة ، واكمل عليه الرياضي ، وبرع في كل ذلك ، وكان الخواجة يسميه « قطب فلك الوجود » وسافر معه الى خراسان ثم رجع الى بغداد ، وسكن النظامية ، واكرمه صاحب الديوان ، واجتمع (بهلاكو) « وبايغا » فقال له « ايغا » : انت افضل تلامذة هذا ـ واشار الى الخواجه نصير الدين ـ وقد شارف الموت ، فاجتهد ان لا يفوتك من علمه شيء ، فقال قطب الدين قد فعلت ، ولم تبق لي حاجـة بالزيادة ، ثم انه رحل الى الروم ، فاكرمـه صاحبها ، وولاه قضاء « سيواس » و « ملطية » ثم قدم الشام رسولا من جهة الملك ، احمد

(*) مجمع الفصحاء ومعجم الاطباء

ولما قتل احمد ، ذهب قطب الدين الى « ارغون » فاكرمه ، ثم سكن تبريز مدة ينشر العلم والفلسفة والطب ، حتى توفي فيها ودفن في مقبرة « خربنداب »] وقيل اوصى ان يدفن الى جانب القاضي ، ناصر الدين ، عبد الله بن عمر البيضاوي .

اخلاقه وصفاته

قال ابن الفوطي : كان قطب الدين دائم الفكر والكتابة ، وكاد القلم ان لا يفارق يده وكان الناس يجمعون اليه ، ويقتبسون من فوائده ، وكان مزاحا طيب المحاوره ، لطيف المحاضره ، كريم الاخلاق كثير النكات الادبية . منها انه لما سمع بان الخواجه رشيد الدين ، الفضل ابن ابي الخير ابن عالي الهمداني المتطيب ، قد شرع في تفسير القرآن المجيد ، قال لاصحابه : اذاً لم يبق لي الا أن اهتم انا في تفسير التوراة (مستهزأ) ولما سمع انه وصل الى تفسير قوله تعالى حكاية عن الملئكه : لا علم لنا . قال : يجب ان يقف على هذه الآية ، ليكون صادقا في مقاله عن نفسه . ولما بنى مولانا ، اصيل الدين الحسن بن نصير الدين ، مسجداً بظاهر تبريز ، واستدعى ، القطب وجماعة من العلماء ، واخذوا يصفون المحراب ، فقال القطب : مافيه الا ان قبلته منحرفة اشارة الى معنى كان بينهما .

وله مثل هذه النكات كثير ، وهو في مثل ماهو فيه من العظمة والهيبة والجلالة كان لا يحمل هماً حاليا سمحاً لا يدخر شيئاً ، بل ينفق مامعه على تلامذته ، وقد داب نفسه ليلا ونهاراً في القرآءة والتحصيل والبحث الى ان فاق واشتهر في الافاق ، وهو مع ذلك . عزيز النفس . عالي الهمة . يوثرا سدآء الخيرات الى الخلق بقلمه وكلمه ويسعى لهم بهمته وقدمه . كثير الحفظ للاخبار والحكايات والاشعار والمقاطعات باللغتين العربية والفارسية .

قال الذهبي : وكان قوي النفس . يخاطب السلطان كما يخاطب اصحابه . مع لين وحسن خلق ولم يكن يتكلف في ملبس . ولا يتصدر في مجلس . وكان كثير الشفاعات . وقيل انه كان يتدين بدين العجائز . ويحب صلوة الجماعة . ويخضع للفقرآء . ويوصي بحفظ

القرآن . وتتقاصر اليه نفسه اذا مدح بالعلم

قال صاحب معجم الاطباء : وكان يجيد اللعب بالشطرنج ويلعب به . كما كان يتقن الشعبذة . ويضرب بالرباب ويورد من الهزليات الوانا بحضور السلطان « خدابنده » ابن « هلاكوخان »

مؤلفاته

قال الذهبي : كان العلامـة قطب الدين . اذا اراد تصنيف كتاب . صلى وصام . ولازم السهر حتى يكمله .

ومن مؤلفاته الشهيرة على كثرتها ، كتاب في اصول الفقه وشرح كتاب ابن الحاجب والاختيارات المظفرية وكتاب شرح المفتاح للسكاكي وشرح كليات ابن سينا والتحفة في علم الهيئة ، وكلها صنفها في « سيواس » ولما رجع الى تبريز، والقى فيها عصا الترحال صنف كتاب ـ درة التاج في الحكمة ، وكان قد صنعه للملك « دوباج . ملك كيلان وكتاب اذا فعلت فلا تلم ، وهو كتاب غريب الوضع اخذ فيه ما آخذ على من لم يفهم قوله وصرفه الى غيره صنفه لمولانا (اصيل الدين) الحسن ابن نصير الدين ـ الى غـــير ذلك من المؤلفات التي يضيق عن ذكرها هذا المختصر .

وقرأ عليه بعض المحصلين ؛ كتاب مفتاح العلوم الذي صنفه (سراج الدين) الخوارزمي ، فصنف له (مفتاح المفتاح)

ادبه وشعره

كان العلامـة الشيرازي ، على غزارة علمه ، وعظيم مكانته وجلالته ، خفيف الروح ، اريحي الطبع ، له قريحة شعرية وقادة ، غير ان انشغاله بالعلوم تمنعه من نظم الشعر ، لذلك كان مقلا الا عند الضرورة ، او لبيان امور علمية اوما اشبه ذلك ، فمن قوله شاكراً تلاميذه الذين مدحوا كتاباً له ، بقصائد ومقطعات ومدحوه ايضا فيها

حيث يقول :

جزى الله خيراً والجزآء مضاعف موالي اثنوا بالذي لست اهله
جزاهم آله العرش افضل ماجزى فقد رفعوا قدري واعلوا محله
ساذكرهم طول الحياة بصالح واهدي لهم سهل القريض وجزله
واثني عليهم واحداً بعد واحد واشكر حسناه واشكر فضله
واسأل ربي ان يطيل بقائه ويوسع حسناه ويسبغ ظله
أولئك اخوان الصفآء وطالما منحتهم اصفى الهوى واجله
هم اليوم مازالوا كراما اعزة لهم شرف سامي السماك وحله
لهم حسب زاك ومجد موطد واصل كريم شابه الفرع اصله
هم اوضحوا لي نهج كل فضيلة ملكت بها عقد الثنآء وحله
هم علموني كيف اثني عليهم فقد غاب عنى الشعر الأ اقله
واني وان اسدوا على لعارف فقل للذي اسدى الجميل ودله
هديت واهديت المسرة آنفا فانت الذي احسانه زان فعله
وانت اخ واف لمن لا اخا له وانت اب بر لمن لا ابا له
ومن برهم بي انهم يرتضون ما اقول ويستسقون وبلى وطله
دعوني الى امر بعيد مناله فقلت لنفسي طاوعي ولعله
اشارو بمفتاح العلوم وحله وغيري تفاني اوالى ان يحله
فلبيت دعواهم سميعاً وطائعاً ومافي وطابي منه قدمت بذله
وجردت رأياً ثاقباً وعزيمة هتكت بها حجب الكتاب وسبله
وبينت منـــه ماارادوا بيانه ودللتـــه فاستحسن الناس دله
وسهلت منه وعره فتهافتوا عليـه وبالمعقول ايدت نقله
وملت الى ابوابه وفصوله فاودعتها در الكلام ولعله
كشفت محياه الجميل فابصروا من الحسن مالم يبصر الناس مثله

وقالوا لقد نلت الذي لا يناله　　سواك وأوتيت الخطاب وفصله
واعطيت مالم يعط سحبان وائل　　واحرزت غايات الفخار وخصله (١)
وذلك من فضل الآله ومنه　　عليك وان الامر لله كله
واني وان جاريت كلا بقيله　　فما الفضل إلا للذي قال قبله

١٩٨ – محمود بن يونس الطبيب (*) ٠٠٠ - ١٠٠٨ هـ

محمود بن يونس بن يوسف الاعرج الحنفي ، الطبيب الخطيب ، الشيخ شرف الدين رئيس الاطباء ، وخطيب الخطباء .

قرأ الفقه على عبد الوهاب ، والطب على ابيه ، والقراآت والتجويد على الشهاب احمد الطيبي ، وولي امامة المقصورة بالجامع الاموي سنتين ، وولي خطابته ايضا ، وحج سنة ٩٦٧ هـ . واخذ بمكة عن شيخ الأسلام ، الشهاب احمد بن حجر الهيثمي ، وعن الحافظ ابن فهد ، وكان حسن الصوت والقرآءة ، وله شعر متوسط .

مرض بالفالج نحو سنتين ثم مات سنة ١٠٠٨ هـ ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من ضريح سيدى بلال الحبشي وكان يقول قبل مرضه الذي توفي فيه :

بقراط مفلوجاً مضى لسبيله　　ومبرسما قدمات افلاطون
وابو علي قد مضى من سحجه　　يوماً وليس يفيده القانون

١٩٩ – محفوظ بن عيسى النيلي (*) ٠٠٠ - ٥٦٠ هـ

محفوظ بن عيسى النصراني النيلي الطبيب الاديب الشاعر ، من اهل العراق ، ونسبته الى النيل ، وهي قرية كانت على الفرات من سواد الكوفة وبغداد ، وعرف ايضاً بالواسطى ، لانه كان نزيل مدينة (واسط) المعروفة اليوم ببلدة (الحي) في

---

(١) اصابة الغرض ويقال احرز خصله واصاب خصله اى غلب ج خصول
(*) معجم الاطباء عن خلاصة الاثر وفوائد الارتحال
(*) شعرآء النصرانيه للاب لويس شيخو ، تاريخ الحكمآء للقفطي

اواسط العراق من لوآء الكوت ؛ وهو من اطباء القرن السادس الهجري .

قال جمال الدين ابن القفطي في كتابه ، تاريخ الحكماء : محفوظ بن عيسى المسيحي الحكيم ابو العلاء النيلي نزيل واسط ، كان طبيباً فاضلا نبيلا مذكوراً في وقته ، عالماً بصناعة الطب ، مرتزقاً بها ، جميل المشاركه ، محمود المعالجة ، وله مع ذلك ادب طري ، وخاطر في النظم سري ، وكان موجوداً بالعراق سنة ٥٥٩ هج .

وذكره عماد الدين الاصفهاني ، في خريدته فقال : الحكيم ابو العلاء محفوظ سكن واسط ، وعرف بها واكتسب بالطب ، وكان فاضلا عالماً ؛ مرضي الصفة في مداواة المرضى ، مستقيم الرأي في تسقيم السقيم ، لم يزل يتردد الي في مدة اقامتي بواسط استطبه ، واجد بمنة الله بطبه من الصحة مااستحبه ، وكان لهجاً بالالغاز ، ولما يسمعه من ذلك شديد الاهتزاز ، واشعاره فيه مستقيمة الصدر ، سليمة الاعجاز توفي في اوائل سنة ٥٦٠ هج

ادبه وشعره

قال الاب لويس شيخو ، في كتابه (شعرآء النصرانية) : لم نقف لمحفوظ على شعر سوى مارواه عنه عماد الدين الاصفهاني ، في الالغاز ، قال : ومما انشدنيه لنفسه بواسط ، لغزاً في العقل ، اذ قال :

ماحاضر لايرى له شخص — فانه في اختفائه لص
يضيء في البيت كالسراج وقد — يشوب وقتاً ضياءه غمص (١)
يبين نقصانه وليس له — رجحان كمية ولا نقص
لكنه عادل يميل وما — رأيت ميلا بالعدل يختص
يهزم جيش الخطوب مقتدراً — وقد يرى انه (٢) عاجز نكص
اعوانه عدة ثمانية (٣) — بهم يتم الضلال والفحص

« ١ » الغمص هو العيب او النقص او الضعف

« ٢ » بتخفيف النون

« ٣ » يريد بالثمانيه الحواس الخمس والخيال والحس وقوة الارادة

فهو كنوح في الفلك مستتر   وهم كاصحابه اذا احصوا
فقد كشفت الغطآء مجتهداً   حتى بدا من ظهوره نفص (١)

قال العماد : وانشدني لنفسه لغزاً في الرمانة قوله :

ياعالمـا يستفهـم   عن كل مايستبهم
ماحامل عـذرآء لم   تزن ولا تتهم
اولادها في جوفها   تحت الضلوع جثم
كل له من تربها (٢)   عليـه ثوب يقسم
شفاهها كثيرة   فأعلم واخرم
لكن لها فرد فم   ورأسها هو الفم
من الجنان اخرجت   وللجحيم تسلم
وما اتت جريمة   ومثلها لايجرم
بل فضلها عند الانام ظاهر يغتنم
امثالها بينهـم   لها صفات تعلم
فالبعض منها حاكم   يعدل فيها يحكم
والبعض منها في الصدور جالس يحتشم
كل يرى حقوقه   عليه فرضا يلزم
ومن شهير امرها   اذ مثلها لايكتم
ان بها يشفى السقيم   والنديم ينعم
وقد كشفت سرها   وعند هذا اختم

وله لغز في النار وارتفاع لهيبها من الارض :

ماصورة كونها ربها   من عالم الجنة والانس
فاصبحت للانس معشوقة   تهدى اليهم لذة النفس

---

(١) الظاهر انها بالفاء فيكون معناها كثرة الضحك او سرعته
(٢) الشحم الرقيق

فما لها من بعدها رجعة ... الى محل الوصل والانس
ماهي يامن قد غدا عالمًا ... يحل مايلغز في الطرس

وروى عنه ايضا ، العماد الاصفهاني ، لغزاً في الناي (آلة طرب) وهو قوله :

ومملوك رشيق القد الى ... به تلهو وتبتهج النفوس
صموت ناطق ارق نؤوم ... عجيب شخصه شخص نفيس
ويوحش ذكره ربع التصابي ... ولولاه لما انس الجليس
له رأس يخالف منه جسما ... بلا رجل ففسر ماتقيس
اذا مابان منه ظل ميتًا ... واما عاد عاوده الحسيس
يئن انين صب مستهام ... مشوق قد نأى عنه انيس
وليس بذى صبابات ليهوى ... ولكن الهوى فيه حبيس

وله معمياً فى غلام اسمه (سعيد) قوله

وذى غنج علقت هواه طفلا ... فبلبلني بطرف بابلي
له اسم ضد حالي في هواه ... ففتشه تجده بغير عي
اذا اسقطت حرفا منه يومًا ... فذلك يوم افراح وزي
وان اسقطت ثانيه اتباعًا ... غدا مولى لعبد او ولي
وان اسقطت ثالثه اختياراً ... يصير اسمًا لعبد ارمني
وان اسقطت رابعه اضطراراً ... اتى نوع من المشى الوحي
فان تك ذا حجًا واخا احاج ... ففسر ياخا القلب الذكي

٢٠٠ – مختار بن الحسن ابن بطلان (*) ٠٠٠ـ ٤٥٨هج

مختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان ، الطبيب البغدادي النصراني المكنى بابي الحسن .

كان مشهوراً بوفور علمه ومعرفته ، فهو حكيم وفيلسوف ، وطبيب حاذق ماهر

(*) الوفيات ، شعراء النصرانية

ومعالج ناجع العلاج ، وعالم شاعر ، اخذ الحكمة عن ابي الفرج ، عبد الله بن الطيب العراقي ، والطب عن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني الطبيب ، و كان معاصراً للطبيب الحكيم (علي بن رضوان) المصري ، و كانت بينهما مراسلات بديعة ، تحول حول الطب والحكمة فقد كان احدهما يبدي رايا ، فيؤيده الآخر اوينقده ، وقد يؤلف احدهما كتابا ، فيرد عليه الثاني وينقده وهكذا حتى خرج ابن بطلان من بغداد الى الجزيرة ، والموصل ، وديار بكر ، ودخل حلب ، واقام بها مده فلم يحمدها فسافر الى مصر ، ليلقى صديقه ابن رضوان ـ اذ لم يكن راى احدهما الآخر طول مدة المراسلة ، ولكى يناظره مجلسياً لا كتبا ، فدخلها في سنة ٤٤١ هج في خلافة ، المستنصر بالله العلوي الفاطمي ، واقام بها ثلاث سنين وجرت بين الطبيبين الفيلسوفين مناظرات كثيرة ، ونوادر شائقة ، ولكن في الاخير ادت الى مخاصمات حتى بلغت المشاتمة اللسانية التي احدثتها المغالبة في المناظرة ، فخرج ابن بطلان من مصر مغضبا على ابن رضوان سئماً من كثرة الاسفار .

ولما الف كتابه (دعوة الاطباء) جعل لابن رضوان اسم (تمساح الجن) لقبح صورته ، ثم هجاه بابيات ، منها

فلما تبدى للقوابل وجهه — نكصن على اعقابهن من الندم
وقلن واخفين الكلام تسترا — الا ليتنا كنا تركناه في الرحم

فلما سمع ابن رضوان بها ساءه ذلك فالف كتابا ذكر فيه الاعتذار عن قبح الصورة بقوله : ان الطبيب الفاضل لا تنفعه جودة الخلقه ، وجمال الصورة ، وانما يراد منه جودة فطرته وخبرته بالعلوم الحكمية والطبية ، و كثرة معرفته ، وحسن سيرته وسريرته ولما مل ابن بطلان سكنى مصر ارتحل الى (القسطنطنية) وبقى فيها سنتين ، ثم غادرها الى انطاكيه ، وترهب هناك في احد اديرتها ، وانقطع للعبادة حتى توفي سنة ٤٥٨ هج على قول الاب لويس شيخو في شعراء النصرانية عن تاريخ حلب ، وقال الزركلي في الاعلام سنة ٤٥٥ هج والطبيب غريغوريس سنة ٤٤٤ هج والاول اصح

وقد كان ابن بطلان اعلم من ابن رضوان في الادب ، وسلاسة العبارة ، وطلاقة اللسان ، وحلاوة البيان ولكن ابن رضوان ؛ اتقن منه في مزاولة الطب ، والتبحر في العلوم الحكمية .

وكان ابن بطلان اعزب ، لم يتزوج حتى مات ، ولم يخلف احداً ، ولا شيئاً سوى الكتب ، وهو القائل من قصيدة له :

وما احد ان مت يبكي لميتتي　　سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا

مؤلفاته

لابن بطلان من المؤلفات كتاب كناش الاديرة والرهبان ، وكتاب شرآء العبيد ، وكتاب تقويم الصحة في قوى الاغذية ومضارها ، مجدول ، وكتاب في شرب دوآء المسهل ، ودعوة الاطباء ؛ ودعوة القسوس ، وكتاب كيفية دخول الغذآء في البدن وخروج فضلاته ، وكتاب مدخل الطب ، وكتاب في مداواة مرض الحصاة ، ورسالة الى ابن رضوان يذكر فيها معايبه ويشير الى جهله بما يدعيه من علوم الاوائل ، وقد وجدت له في كتاب « الربيع » لمحمد بن هلال بن محسن نسخة سفرته الى الرئيس «هلال بن محسن بن ابراهيم» طويلة جميله ، تجدها مفصلة في تاريخ الحكماء للقفطي ، عند ترجمته لابن بطلان ص ١٩٣

ادبه وشعره

قال الاب لويس شيخو في كتابه « شعرآء النصرانية » : يشهد على ادب ابن بطلان وشعره ابن ابي اصيبعة ، حيث يقول في ج ١ ص ٢٤٣ : ولابن بطلان اشعار كثيرة ، ونوادر ظريفة ، وقد ضمن منها اشياء في رسالته التي وسمها (بدعوة الاطباء) وفي غيرها من كتبه . ودعوة الاطباء هذه ؛ قد عني بطبعها واظهارها الدكتوران ، بشاره زلزل ، واسكندر البارودي في مصر . ومما في دعوة الاطباء قوله في اختيار الاصحاب

عدوك من صديقك مستفاد　　فلا تستكثرن من الصحاب

لان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

وقيل انهما للمتبني . وقال في منفعة الادوية :

وان المرء حين يسر حلو وان الحلو حين يضر مرّ

فخذ مراً تصادف منه حلوا ولا تعدل الى حلو يضر

وقال في نكبات الزمان عندما فقد اصحابه الاعزاء

عين الزمان اصابتنا فلا نظرت وعذبت بعذاب الهجر الوانا

قد كنت اشفق من دمعي على بصري واليوم كل عزيز بعدكم هانا

وقال ايضا :

انما دنياي نفسي فاذا ذهبت نفسي فلا عاش احد

ليت ان الشمس بعدي غربت ثم لم تطلع على اهل البلد

وقال في مصالحة العد

وكم من مرتد للصلح ثوبا فلم ينجح بذاك الارتياد

لان الجرح ينقص بعد حين اذا كان البناء على فساد

ومما انشده في البطنه والشره قوله :

كم اكلة أدخلت حشا شره فاخرجت روحه من الجسد

لابارك الله في الطعام اذا كان هلاك النفوس بالمعد

الى غير ذلك من الاشعار البديعة الجميلة .

٢٠١ - المصدوم ابن اسدون (*) ٠٠٠ - ٥٨٨ هـ

المصدوم ابو الحسين ابن اسدون ، ذكره ابن ابي اصيبعة في كتابه (عيون الانباء) في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب ، واقاموا بها . وقد اشتهر بالمصدوم حتى صار له علماً ، وهو تلميذ ابن مروان عبد الملك بن زهر الاندلسي الايادي .

(*) عيون الانباء ج ٢ ص ٧٩

وكان دينا ، كثير الخير ، معتنيا بصناعة الطب ، مشهوراً بها ، اديباً شاعراً ، ولد ونشأ في بلدة اشبيلية ، وكان مقيما في البلد ، ويحضر عند المنصور ، ويطلبه في اوقات المداواة والعلاج .

توفي سنة ٥٨٨ هج في اشبيلية . ولم نعثر على ولادته ، ولم نجد له شعراً .

٢٠٢ ـ المظفر بن احمد الطبيب (*) ...

المظفر بن احمد الطبيب الكامل ، ابو الفضل الاصفهاني ، المعروف باليزدي . فارق اصفهان طفلا ، واقام بالشام حتى تعلم الطب والادب ، ونظم الشعر ، ورجع الى اصفهان في ايام « ملكشاه » وهجا بلده اصفهان فقال :

هي تربتي لكنني . فارقتها   طفلا ولم اعبق باؤم ترابها
شبانها ككهولها وكهولها   كشيوخها وشيوخها ككلابها

وذكر له العماد الاصفهاني قوله :

اذا لم يكن لي منك جاه ولا على   ولا عند مايعتالني الناس موئل
فكل سلام لي عليك تكرم   وكل التفات لي اليك تفضل

وقد عارض الحماسة ، كل بيت ببيت من نظمه ، ولم نجد نسختها ، غير انه يقال انها موجودة في خزانة الكتب بمدرسة النظام باصفهان ومن شعره قوله :

عذيري من البدر الذي مذ علقته   وامكنته منيّ ضنا (١) بطلوع
هجرت هجوعى مذ جفاني خياله   وهل كان يبقى للخيال هجوعي
عفا الله عمن لايزال صدوده   يفيض دموعي او يفض (٢) ضلوعي

ولم نعثر على وفاته غير انا نعلم انه كان حيا في زمن ملكشاه في اصفهان

(*) القفطي في تاريخه ص ٢١٥
(١) كذاورد ويقصد بخل
(٢) يفض اى يكسر

٢٠٣ - مفضل بن ابراهيم الدمشقي (*)

٦١٠ – ٦٨٦ هـ

مفضل بن ابراهيم ابن ابي الفضل ، رضى الدين ابو الفضل الدمشقي الطبيب الشهير.

ولد سنة ٦١٠ هـ وتوفي سنة ٦٨٦ هـ ودفن بسفح قاسيون . كان طبيباً حاذقاً جيد المعالجة ، ديناً ورعاً ، صالحاً ، حسن الاعتقاد ؛ كثير المحبة للخير ، تام الفضيلة سافر الى البلاد « بركة خان » وخدمه ، وحصل على اموال كثيرة نهبت عند عودته الى دمشق ؛ وعرضت عليه رياسة الاطباء فاباها ، وقد روى عن مشايخ كثيرين في وقته ، وخطه في الاجازات كثير .

وكان له في النظم يد لاتنكر ، من ذلك قوله دو بيت :

الشمعة قالت بلسان الحال البعد عن السير برى اوصالي
ها قلبي كيف حاله انت ترى النار به تذيب قلبي البالي

٢٠٤ - مفضل بن هبة الله ابن الصنيعة (*)

٠٠٠ – ٦٧٠ هـ

مفضل بن هبة الله بن على الحميري الاسنائي ، ويعرف بابن الصنيعة ، كان ذكياً جداً ، اشتغل اولا في الفقه والاصول ; وتميز في ذلك ، ثم اشتغل في المعقولات ، فغلب عليه الطب والحكمة والمنطق والفلسفة وتخرج في الطب على الشيخ علاء الدين ابن النفيس ، وصنف فى الدرياق مجلدة ، وتوفي في القاهرة في حدود سنة ٦٧٠ هـ

(*) معجم الاطباء

(*) الطالع السعيد للادفوي

وله نظم رائع ، وقد رأيت بخطه قصيدة مدح بها بعض الآمراء ، وهي قوله :

زفرات اضلعه وفيض شؤنه تنبيك عن اشواقه وشجونه

ذكر اللوى فاشتاق اطيب عيشة سلفت به فوهت عقود جفونه

صب يعالج من لوا عج وجده وجواه ماجمر الغضا من دونه

دنف بكى لمصابه حساده ورثت عواذ له افرط حنينه

يخفيه عن عواده سقم به باد فما يبديه غير انينه

حسبي وشاة من دموعي بدلت شك الرقيب وظنه بيقينه

والذنب لي لا للدموع لانني اودعت سرّ الحب غير امينه

الى آخرها وهي طويله بديعة ، وله شعر غير ذلك لم نعثر على جيده

٢٠٥ - موسى بن يونس بن منعه (*)

٥٥١ - ٦٣٩ هـ

موسى بن يونس بن منعة بن مالك بن محمد ، الحكيم الطبيب ابو عمران كمال الدين العالم الفقيه الشهير .

ولد يوم الخميس ١٥ صفر سنة ٥٥١ هـ بالموصل وتوفي ١٤ شعبان سنة ٦٣٩ هـ ودفن في تربتهم المعروفة بهم ، عند تربة غسان ، خارج باب العراق ، كما ذكر ابن خلكان .

كان علامة زمانه في كثير من العلوم ، واوحد عصره في فنون الاوائل ، وقدوة العلماء ، وسيد الحكماء في وقته ، قد اتقن الحكمة ، وتميز في ساير العلوم ، لاسيما علوم الشريعة من فقه واصول ، كما كان مبرزا في الفلسفة والطب والهندسة وكان مدرساً ، له حلقة تدريس كبيرة ، يحضرها العلماء والفضلاء ويقصدها المشتغلون من كل فج

(*) الوفيات لابن خلكان ، عيون الانباء ، محبوب القلوب

قال ابن خلكان : تفقه في الموصل على والده ، ثم توجه الى بغداد سنة ٥٧١ هج واقام بالمدرسة النظامية يشتغل على السديد السلماني ، ولكن المدرس بها يومئذ ، الشيخ رضى الشيرازي ، ودرس الخلاف والاصول وبحث الادب ، على الكمال ابي البركات ، عبد الرحمن بن محمد الانباري ، وهكذا عكف على الاشتغال حتى اشتهر فضله ، وتبحر في جميع الفنون ، وجمع من العلوم مالا يجمعه غيره ، وتفرد بعلم الرياضه وكان ذا دراية تامة مضافا الى الحكمة والمنطق والآلهي والطب ، بالرياضه من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وانواع الحساب المفتوح منه الجبر والمقابلة ، والاورثما طيقي ، وطريق الخطأين ، والموسيقى ؛ والمساحة ، وغيرها ، وقد استخرج في علم الاوقات طرقا لم يهتد اليها احد . وكان له في التفسير ، والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال ، يد جيده كما كان يحفظ من التواريخ ، وايام العرب والاشعار ، والمحاضرات ، الشيء الكثير وبالجملة فانه كان مجموعة من الفنون ، لم يسمع عمن تقدمه انه قد جمعها سواه .

وذكره ابو البركات ، المبارك بن المستوفي ، في كتابه تاريخ ، اربل ، بمثل ذلك وقال انه درس في عدة مدارس في الموصل ، وتخرج عليه خلق كثير .

وفي الوفيات : انه لما توفي اخوه الشيخ عماد الدين ، تولى هو ، المدرسة العلائية بمكان اخيه ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاها رأساً ، ثم تولى المدرسة البدرية

وكان لغلبة العلوم العقلية عليه يتهم في دينه ، سامحه الله ، وكانت تعتريه غفلة احيانا لاستيلاء الفكرة عليه في هذه العلوم ، ولذلك عمل فيه العماد ، ابو علي الصنهاجي شعراً فقال :

اجدك ان قد جاد بعد التعبس　　غزال بوصل لي واصبح مؤنسي

وعاطيتها الصهباء من فيه مزجها　　كرقة شعري او كدين ابن يونس

وذكر عنه ابن ابي اصيبعة ، وغيره ، اموراً كثيرة اشبه مايكون بالسحر ، اعرضنا عن ذكرها ، لبعدها عن العقل ، وخلوها من الفائدة .

مؤلفاته

قال اللاهيجي في كتابه (محبوب القلوب) : وله تصانيف كثيرة منها ، كتاب كشف المشكلات وايضاح المعضلات في تفسير القرآن ، وكتاب مفردات الفاظ القانون ، وكتاب عيون المنطق ، وكتاب في الاصول وكتاب لغز في الحكمة ، وكتاب الاسرار السلطانية في النجوم ، وكتاب التنبيه في الفقه مجلدان

ادبه وشعره

قال ابن خلكان نقلا عن ابن المستوفي ، بعد ان وصفه بالادب والفضل انه قال وقد انشدني لنفسه وانفذها الى صاحب موصل ، يشفع عنده :

لئن شرفت ارض بمالك رقها   فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقاء الدهر امرك نافذ   وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت في حكم البسيطة مثلما   تمكن في امصار فرعون يوسف

وقال غيره : وكان اديباً شاعراً فصيحا لسنا ، ومن شعره قوله

ما كنت ممن يطيع عذالي   ولا جرى هجره على بالي
ملت كما ملت غادراً وكما   ارخصت ارخصت قدرك الغالي

وله دو بيت مشهور وهو قوله :

حتى ومتى وعدكم لي زور   مطل واف ونائل منزور
في قلبي حب حبكم مبذور   زوروا فعسى يثمر وصلا زوروا

وله غير ذلك كثير يطلب في مفصلات الكتب والتراجم .

٢٠٦ - موفق بن شوعة (*) ٠٠٠ - ٥٧٩ هج

موفق بن شوعة . من اعيان الحكماء وافاضل الاطباء ، وكان يهوديا عالما بالطب مجيداً في عمله جراحا ، كحالا ماهراً ، وكان مع ذلك العلم دمث الاخلاق خفيف

(*) عيون الانباء وغيره

الروح ، كثير المجون يلعب بالقيثارة . خدم بطبه الملك الناصر ، صلاح الدين عندما كان بمصر وتوفي في القاهره سنة ٥٧٩ هج. وله شعر جيد ونظم بديـع ، من ذلك قوله يهجو الطبيب اليهودى ابن جميع :

يا ايها المدعي طباً وهندسة ... اوضحت يا ابن جميع واضح الزور
ان كنت في الطب ذا علم فلم عجزت ... قواك عن طب داء فيك مستور
تحتاج فيـه طبيباً ذا معالجة ... بمبضع طوله شبران مطرور
هذا ولم تشتف منه فقل واجب ... عن ذا السؤال بتمييز وتفكير
ماهندسيّ اه شكل تهيم به ... وليس ترغب فيـه غير منشور
مجسم اسطواني على اكر ... تألفت بين تخريط وتدوير

وله في هجوه ايضا . وقيل لابن المنجم المصري الشاعر الهجاء المعروف فيه :

دعوا ابن جميـع وبهتانه ... ودعواه في الطب والهنـدسه
فما هو الا رقيـع اتى ... وان حل في بلد انحسه
وقـد جعل الشرب من شانه ... ولكن كما تشرب النرجسه

وقال في النجم الخو بشاني الصوفي المتقشف ، وكان النجم قد ضرب الموفق بحجر فقلع عينه ، عندما راى ابن شوعه راكبا وكان من مذهبه أن يقتل كل ذميّ يركب في بلاد الاسلام :

لا تعجبوا من شعاع الشمس اذ حسرت ... منه العيون وهذا الشان مشهور
بل اعجبوا كيف اعمى مقلتي نظرى ... للنجم وهو ضئيل الشخص مستور

وله ايضا قوله :

وروضة جادها صوب الربيع وقد ... جادت علينا بوشي لم تحكه يد
كان اصفرها الزاهي وابيضها ... بر وورق بكف الريح تنتقد
وباح نشر خزاماها بما كتمت ... وناح قمريها شجوا بما يجـد

هذا ولم نجد له مؤلفا بالرغم من شدة تفحصنا في كتب التراجم

وابن جميع الاسرائيلي هذا ؛ كان من الاطباء المشهورين ، ذكره ابن حجة الحموي في (ثمرة الاوراق) خدم سلطان مصر صلاح الدين ، يوسف بن ايوب ، وحظى في ايامه . وكان رفيع المنزلة ، نافذ الامر .

ومما نقل من ذكائه وحذقه في الطب . انه كان جالساً في دكان ، اذ مرت عليه جنازة ، فلما نظر اليها صاح بحامليها : ان صاحبكم لم يمت ، ولا يحل لكم ان تدفنوه حياً . فقال بعضهم لبعض ، هذا الذي يقوله لا يضرنا ، ويتعين ان نمتحنه فان كان حياً فهو المراد وان لم يكن حياً فلم يتغير علينا شيء .

فاستدعوه وقالوا له : بين لنا ماقلت ، فامرهم بالعودة الى البيت ، وان ينزعوا عنه كفنه ، فلما فرغوا من ذلك ، امرهم بادخاله الى الحمام ، ثم سكب عليه الماء الحار حتى احمى بدنه ونطله ، فظهر فيه ادنى حس وتحرك حركة خفيفة ، فقال لهم ابشروا بعافيته ، ثم اتم علاجه ، الى ان افاق الميت وصحا ، فكان ذلك مبدء اشتهاره بالطب . ثم سأله بعد ذلك اصحابه ؛ من اين علمت ان في ذلك الميت بقية روح ؟

فقال نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين ، واقدام الموتى منبسطة ، فحدست حياته وكان حدسي صائبا

ولكنه كان على ماهو عليه من الجلالة مهجواً من قبل شعراء كثيرين منهم ابن شوعة كما تقدم ، ومنهم ابن المنجم الشاعر . ومما قاله ابن المنجم فيه :

كذبت وصحفت فيما ادعيت وقلت ابوك جميع اليهودي
وليس جميـــع اليهودي اباك ولكن ابوك جميع اليهود

وله فيه ايضا قوله :

لابن جميـــع في طبه حمق يسب طب المسيح من سببه
وليس يدري مافي الزجاجة من بول مريض ولو تمضمض به
واعجب الامر اخـــذه ابداً اجرة قتل المريض من عقبه

الى غير ذلك مما يطول ذكره ولا يسعه هذا المختصر .

حرف النون

٢٠٧ — ناصر الهرمزي الحكيم (*) ...

ناصر الهرمزي الحكيم ، عرف بالطب والحساب ، واكب على تحصيل العلوم والآداب ، فافترسته المنايا انضر ما كان شبابا ، واجمع آدابا . ومن شعره قوله:

اري معشراً بالمال سادوا على الورى ولست ارى فيهم اعز واروعا

ترى دارهم معمورة ومشيدة وهمتهم مدروسة الرسم بلقعا

رعوا مالهم حتى رعوا مجدهم به ألا من رعى بالمال مجداً فما رعى

٢٠٨ ناصر الهروي الحكيم (*) ...

ناصر الهروي الحكيم النارناباذي ، كان سليل الاكاسرة ، عالماً باجزاء العلوم الحكمية ، جليلها ودقيقها ، مع طبع وقاد في الشعر العربي والفارسي ، وقد ذكر طرف من اشعاره في كتاب (وشاح دمية القصر)

قال صاحب المعجم ان البيهقي قال : وقد اختلف اليّ مدة ، ثم الى قطب الزمان ، ومات حتف أنفه في داره بنيشابور ، وقد كان دعاه ملك الوزراء طاهر ابن فخر الملك ، الى مرو للارتباط بالحضرة ، فرأيته في نومي بعد موته وهو يقول لي : انا في عقوبة شديدة بسبب رغبتي في المقام بالحضرة . وما كان لي غير هذا في الدنيا

وله كلمات مأثورة حكمية . تذكر عنه . منها قوله : يتغير الدار ولا يتغير مالك الدارين ، الشرير يباهي بالشر ، والخير يستحي من الخير فما ابعد احدهما من الآخر .

(*) معجم الاطباء عن يتمة صوان الحكمة

(*) معجم الاطباء عن تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي

ولم نعثر له على شعر سوى هذين البيتين وهما قوله :

اعصى الآله ولا اخشى عواقب ما اجنى وقد زرعوا فى يومهم لغد

والله يعلم مالي غير رحمته يوم الحساب اذا طولبت من سند

٢٠٩ نصر بن محمود بلمظفر (*) ...

نصر بن محمود ابن المعرف ، الطبيب الشهير « بلمظفر » . كان من أطباء القرن السادس الهجري وكان ذكياً فطناً كثير الاجتهاد والعناية والحرص فى العلوم الحكمية . وله نظر واسع في الطب والادب كما أنه كان حسن الخط ، جيد العبارة ، ولكنه كان مغري بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع باهلها . وكانت له في داره مكتبة عامرة كبيرة . جمع اكثرها بالنسخ ، وقد احتوت على الوف من الكتب ، وكان قد طالعها كلها . ومما يدل على ذلك انك لم تجد كتابا واحداً من تلك الكتب الكثيرة في مكتبته ، الا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب لاجله ، او انك ترى تعاليق مستحسنة ، وفوائد متفرقة ، مما تجانس ذلك الكتاب

وقد حصل الحكمة ، والطب على الطبيب الشهير « ابن العين زربي » ولازمه مدة غير يسيرة ، حتى برع فيها ، وعرف في جميع الاقطار

مؤلفاته

له من المؤلفات : تعاليق في الحكمة ، وتعاليق في الكيمياء ، وكتاب فى علم النجوم ، ومختارات في الطب ، وله من النظم البديع والشعر الجيد . مايدل على أدبه فمن ذلك قوله :

وقالوا الطبيعة بدء الكيان فياليت شعري ماهى الطبيعه (١)

« * » مطرح الانظار ، عيون الانباء (١) كذا

أقادرة طبعت نفسها على ذاك ام ليس بالمستطيعه ؟

وقال أيضاً

وقالوا الطبيعة معلومنا ونحن نبين ماحدّها

ولم يعرفوا الآن ماقبلها فكيف يرومون ما بعدها ؟

ولم نعثر على عام وفاته على التحقيق غير ان ابن ابي اصيبعة قال في عيون الانباء : رأيت خط بلمظفر الطبيب ، في آخر تفسير الاسكندر الافريدوني لكتاب الكون والفساد ، لارسطاطاليس وهو يقول انه قراه علي ابن العين زربي وكان تاريخ كتابته لذلك في شعبان ٥٣٤ هج

٢١٠ – الدكتور نقولا فياض « * »

الدكتور نقولا فياض ، اديب شهير ، وخطيب قدير ، وطبيب نطاسي معاصر خبير ولد في لبنان ونشأ وترعرع في بيروت ، ثم درس الطب في جامعتها . وبعد ان حاز على شهادة تلك الجامعة في الطب ، هاجر الى اروبا ثم الى مصر ، حيث قضى ردحاً من الزمن هناك . وقد ذاع صيته في بلاغة الكتابة ، وبداعة النظم ، والقدرة على الخطابة ، كما ذاع واشتهر في الطب والعلاج ، بل كاد ان يكون اقدر الخطباء في البلاد العربية جمعاء

نشرت مجلة الجمهور السورية عنه انه قال نقولا نفسه ؛ عن نفسه ، في خطبة القاها في نادي القلم حينما افتتح برآسته ، معرباً عن ترجمة حياته بقوله ملخصاً

كنت وانا على مقعد المدرسة في السابعة أو الثامنة من عمري ، التقط اخبار الحركة الادبية من هنا وهناك ، وربما كان السبب في شغفي هذه ، هو الصلاة السابقة لابي ، بالشيخ ناصيف اليازجي وولده ابرهيم ، فقد فتحت عيني على كتب ومخطوطات شعرية ، ومساجلات ادبية ، بين شعراء العراق وشعراء الشام فكنت

« * » مختارات الزهور ومجلة الجمهور السورية للاديب « ميشال ابي شهلا

اطالعها ، واستظهر بعضها ، واتلقى من ابي اخبار طريفة عن اليازجي الكبير ، والاحدب ، والكستي ، والجوزي ، واسعدطراد ، ثم عن عصرهم الادبي ، ونبذة من اخبار رجاله اما حفلات الكلية الامريكية فقد كان الاقبال عليها عظيما . وكنا كباراً وصغاراً ننتظرها بفارغ الصبر ، وكنت اسعى اليها من مكان بعيد لاسمع مناظرة الخطباء ومداعباتهم ، فترك ذلك اثراً عميقا في نفسي ، الحت اليه في خطابي بالاسكندرية عندما انتخبني « نادي التلاميذ القدماء » عضو شرف ، فقلت فيما قلت :

ايها الربع الذي احببته — وانا عنه غريب النسب
كلما عاودني ذكر الصبا — مر بي ذكراك عند المغرب
فاذا الزوار في ناديك قد — ملأوا صدر المكان الرحب
وبنوك الغر من حوالك في — حلقة الفضل ورهط الادب
واذا المنبر يهتز لهم — طرباً للشعر او للخطب
ومن الجمع هتاف صاعد — ملؤه الاعجاب قبل العجب
ههنا النبع الذي يسقي النهى — واذا لم يسقها لم يخصب

ثم استطرد في حديثه الى ان قال : هذا ما كنت استمع به والمح اثاره عندما وجدت نفسي في صف المنتهين في مدرسة « الاقمار الثلاثة » وكنت في الثانية عشر من عمري ، وقد بدأت بدرس نهج البلاغة ، وحاولت قرض الشعر فلم افلح ، ولكني ضاعفت جهودي ، وكان بين جوائزي المدرسية « ديوان ابي تمام » فاخذت في دراسته واستظهار بعض ابياته ، لاسيما الرنانة منها ، وبدأت بنظم الالغاز ، ثم عالجت القصائد الطوال ، فكنت آخذ ديوان « الشاديات » للخوري مثلا ، واختار القوافي ، وانظم لكل قافية بيتا . واول قصيدة نظمتها كانت في مديح استاذي نعمة يافث ، ثم نظمت قصيدة في رثاء (احمد الصلح) جد صديقنا (رياض الصلح) كان مطلعها

ايدري لباب المجد من اي سيد — عفا ربعه لما سرى نعي احمد ؟
وهل يعلم القطر المصاب بفقده — باي رداء اهله اليوم ترتدي

بني العصر هذي وحشة الموت فانظروا   اذا كان فيها غير طرف مسهد
وذي شجرات المجد هل من مرفرف   على شجرات المجد اومن مغرد ؟

ثم نظمت قصيدة اخرى في حفلة عمومية ، اقامتها مدرسة « الثلاثة اقمار » فانتهزت الفرصة لها . وكانت حماسية فالقيتها بنفسي بصوت عال . ومطلعها .

ألنا الى درك النجاح طريق   مازال يجمع رأينا التفريق

فشجعني الهتاف والتصفيق الكثير على النظم والخطابة ، ثم ظننت ان اقرب الطرق الى تحقيق امنيتي هو الانخراط في سلك محرري الجرائد . فنظمت رواية شعرية « في الزوايا خبايا » وارسلتها إلى الاهرام ، قلت فيها :

ياموجد الاهرام من قدم افق   وانظر لهذا العصر ماذا اوجدا
هاتيك ضمنت الجسوم وهذه   اب العقول وفكر ارباب الهدى

وصدرت الكتاب بهذين البيتين ، وهما

مولاى هذي نبذة اودعتها   من آنسات الفكر بعض خواطري
ولذا بعثت بها اليك تفاؤلا   حتى اذا قبلت بعثت بشائرى

ولما اعتذر ان اكون من محرري جريدته ، لتعاقده مع كتاب مشاهير غـيرى ، اعرضت عن مراسلته ، وهذا ماجعلني اقبـل على الطب ، فانقطعت عن الادب ، ايام الدراسة كلها ، لولا احتكاك قليل ببعض الادباء حتى دخلت الى العالم والشهادة الطبية بيدي وملوء رأسي اماني واحلام ، هي كل ثروتي ، وانا اردد قول الشاعر

اريد بسطة كف استعين بها   على قضاء حقوق للعلى قبلي

وقبـل ان اتعرف الى موارد الرزق ، عن طريق المهنة ؛ صدمتني عقبات كثيرة ، فكان اول نظمي هو قولي :

لم ابلغ العشرين بعد وهمتي   ملت بميدان الحياة جهادا
وسواد شعري ماتبدل لونه   وبياض امالي استحال سوادا
سأمرّ ياروض الشبيبة تاركا   بعدى غصونك في الهوى تمادى

ان كان عودك في ظلالك اخضرا　　فلكم بكيت نظيره اعوادا
كم قامة كان الربيع لها حلى　　فمضى وصار لها الخريف حدادا
ولكم سمعت نظير صوتي منشدا　　فغدا يعيد لك الصدى الانشادا
لم تجن منك يداى يوماً وردة　　الا وصيرها الشقآء قتادا
نار يجددها الرجآء باضلعي　　فيعيدها اليأس الجديد رمادا
ماقصد ربك بالوجود اذا غدا　　كل امرء بضلاله يتمادى
ناديته وسط السكون مؤملا　　وابو العلا قبلي كذلك نادى

ولكن لم يطل عهد هذا الياس ، لان تابيني لخليل سرسق ، عبّد لي طريق الشهرة وساعدني على الدخول في مستشفى « سان جورج » طبيباً . ومن هنا بدأت الحياة تبتسم لي ، والشهرة تعرفني ، وانا لاازال فتياً فاشار علي (الدكتور نقولا) شقيق الدكتور (فارس) صاحب المقطم ، والحّ علي بالذهاب الى مصر ، والاقامة فيها ، على اني كانت عندي رسالة ، لزمني تأديتها ، فكيف اترك بلادي ، ولم تكن مزاولتي للطب لتعيقني عن الادب ، لكن اخي (الياس) كتب لي من مصر يقول ارجو ان تكون شهرتك طبيباً كشهرتك خطيباً ، لان شهرتي الطبية كانت يومذاك لم تتعدا الحي الذي انا فيه ، على انه حي جامع للاغنياء من البلد ، وفي ذلك الكفاية المادية لي: انتهى ماذكرته مجلة (الجمهور) باسقاط ماتخلل المقال مما لا حاجة لنا به في موضوعنا هذا

ادبه وشعره

قال جبران ، في مختارات الزهور ، واصفا شعره بقوله : هو شاعر رقيق التشبيب حلو الغزل ، موسيقى التركيب ، تشف معانيه عن شعور دقيق ، وينم اسلوبه عن سلامة في الذوق . ثم ذكر له شعراً منه قصيدته الرائيه الرقيقة التي يقول في مطلعها :

اهوى البنفسج آية الزهر　　في الشكل والتصوير والعطر
واحبه في الارض مختبئاً　　واحبه في بارز الصدر
ولكل عذرآء اقدمه　　مادام فيه حيآء العذرى

الى آخرها وهي طويله

حرف الهاء

٢١١ — هبة الله ابن التلميذ سقراط الثاني (*)

٤٧٤ — ٥٦٠ هـ

هبة الله ابن ابي العلا ابن صاعد بن ابراهيم بن علي ، ابو الحسن موفق الملك امين الدولة المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني البغدادي » وهو ابن اخت الطبيب الشهير ، بمعتمد الملك ابي الفرج ، كان من اعاظم قسيسي نصارى بغداد ، ومن فطاحل اطباء القرن السادس العباسي

ذكره العماد الاصفهاني ، في خريدة ، فاثنى عليه وقال : هو مقصد العالم في علم الطب ، حتى عرف لدى اهل هذا الفن « بسقراط الثاني » و « سلطان الحكماء » وكان مع ذلك عارفا خبيراً باللغة السريانية ، والفارسية فضلا عن معرفته وتضلعه بالعربية واليونانية .

وقال العماد في الخريدة ايضا : ختم به هذا العلم ، ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب ، عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ، وقد رأيته وهو شيخ بهي المنظر ، حسن الرواء ، لطيف الروح ظريف الشخصي ، بعيد الهم عالي الهمة ، ذكي الخاطر ، مصيب الفكر حازم الرأي ، وله في النظم كلمات رائقة ، وحلاوة جنية وغزارة بهيه

وقال صاحب نموذج الاعيان : كان ابن التلميذ متفننا في العلوم ، ذا رأي رصين ، وعقل متين ، طالت خدمته للخلفاء والملوك ، وكانت منادمته احسن من التبر المسبوك ، والدر في السلوك . اجتمعت به مراراً في آخر عمره ، وكنت اعجب في امره ، كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه ، وغزارة عقله وعلمه ، والله يهدي من يشاء بفضله ،

قال صاحب مطرح الانظار الفارسي ، بعد ان وصفه بمثل ماتقدم : وكان في

(*) مطرح الانظار ، عيون الانباء ، شعراء النصرانيــة ، دائرة معارف القرن العشرين

زمن المقتدى الى زمن المستنجد العباسي ، وكان رئيساً في المستشفى « العضدي »

قال ابن ابي اصيبعة : كان امين الدولة اوحد زمانه في صناعة الطب ، ومباشرة اعمالها ، ويدلك على ذلك ، مااشتهر من تصانيفه ، وحواشيه على الكتب الطبية ، وكان ساعور المارستان العضدي الذي بناه عضد الدولة البويهي ، في بغداد ، الى حين وفاته . وكان في اول امره قد سافر الى بلاد العجم ، وبقي بها مدة في الخدمة وكان جيد الكتابة ، وقد رأيت كثيراً من خطه ، وهو في غاية الحسن والصحة ، وله شعر مستظرف ، حسن المعاني ، ورايت ايضاله ، كتاباً ضخماً ، يحتوي على انشاء مراسلات جيده ، وكان ابوه ايضا طبيباً فاضلا مشهوراً .

اخلاقه

كان ابن التلميذ ، حسن الصمت ، كثير الوقار ، مهاباً محترما ، حتى قيل عنه انه لم يسمع منه مدة تردداه الى دار الخلافة شيء من المجون ، اوما يقاربه ، سوى مرة واحدة وهي كانت له ضيعة ، تدعى (دار القوارير) في بغداد وهبها له ، الخليفة المستنجد العباسي ، فقطعها الوزير ، يحيى بن هبيرة ، مع عدم علم الخليفة .

واتفق ان كان في مجلس المقتفي ، ولما هم بالقيام ، لم يقدر الا بكلفة لكبره فقال له الخليفة ، كبرت ياحكيم ، فقال له : نعم ياسيدي وتكسرت قواريري (كنى بها عن الضعف مع الاشارة الى ضياع ضيعته) ولما ذهب قال الخليفة : هذا الحكيم . لم نسمع منه هزلا منذ خدمنا ، فلنكشف مرامه من هزله هذا ، ولما تفحص وجد ان ضيعة دار القوارير قد قطعت عنه ؛ فامر بردّها اليه ، وقد تعجب من حسن ادبه ، وانه لم ينه امرها اليه هذه المدة .

ومن اشهر صفاته التواضع ، وصغر النفس على جلالته وعظيم مكانته عند السلطان والرعية . وقد نقل عن شهامته ونبله واخلاقه : انه كانت بينه وبين الطبيب ، ابي البركات ، هبة الله بن علي بن ملكا اليهودي عداوة ومنافسة وكان هذا ايضا من ندماء الخليفة . فاحتال على ابن التلميذ لاحباط منزلته ، بان

كتب رقعة نسب فيها الى امين الدولة أشياآء تنزل من قدره عند السلطان لكي لايصلح المنادمة . واوعز الى بعض خدم البلاط . ان يلقيها في طريق الخليفة فلما اطلع عليها الخليفة . امتلأ بغضا على ابن التلميذ . ولكنه ابي ان يوقع به قبل التحقيق وبعد الفحص علم ان ذلك كله كان اختلاقاً وبهتانا رتبه ابو البركات . فغضب عليه وارجع عقابه الى ابن التلميذ نفسه . ووهب كل ماله وكتبه اليه . لكن هذا كان من شرف نفسه وطيب سريرته . ان عفا عنه ولم يتعرض له بسوء غير ان خصمه اليهودي . قد سقط من اعين الناس . ولم تسمع له منادمة للخليفة بعد هــذا ابداً . وكان ابو البركات هذا معروفا بالصلف والكبرياآء على خلاف ابن التلميذ .فقال الطبيب الشهير . بالبديع الاسطر لابي فيهما :

ابو الحسن الطبيب ومقتفيه ابو البركات في طرفي نقيض
فذاك من التواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض

ومن اخلاقه : ان الخليفه اصدر ارادته لجميع الاطباآء ان يراجعوا امين االدولة (وهو رئيس الاطباآء في بغداد) ليمتحنهم فمن ارتضاه بقي في عمله . والا فهو ممنوع من المباشرة . فاخذت الاطباآء ترد عليه من كل جانب للامتحان .

وذات يوم دخل عليه . شيخ مهيب . فاخر اللباس . جميل الهيئة . تعلوه السكينة والوقار . فاحترمــه الرئيس كثيرا وهابه ان يسأله . لكن بعد اكمال المجلس . وخلوه من المراجعين . تقدم اليه قائلا : ممن اخذ مولانا الشيخ صناعتــه ؟ فقال الشيخ : لايسال مثلي . من استاذك ؟ بل يقال لي كم تلاميذك . وكم اجزت منهم للعــلاج فسكت الرئيس مدة ثم قال : اي كتاب قرأه مولانا الشيخ ؟ فقال : اني لاعجب من اسئلتك . سلني كم هي مصنفاتك . ولكنى احسب ان الحكيم . لم يطلع على مقامى من هذا الفن . ثم قام من مكانه . وهمس فى اذن امين الدولة قائلا : ياحكيم اني شيخ كبير السن . ولي عيال واطفال . وليس عندي من هذا العلم شيء اقدمــه لحضرتك . ولكني اعيش متطفلا على هذه الصناعة . وليس لي سبب سواها . فلا

تفضحني وتقطع رزقي. ورزق عيالي ، فضحك الحكيم وقال : على شريطة ان لاتجهز على مريض بمسهل اوفصداودواءقوي . قال الشيخ وانا كذلك لاأتجاوزهذهالطريقة ، ولم اصف سوى السكنجبين والجلاب . ثم رفع رأسه (اي الرئيس) والتفت الى من كان حاضراً في مجلسه وقال : اناحقاًلم نكن نعرف حق الشيخ وقدره ، ولم نعطه مايليق به من الاحترام ، ثم ودعه وخرج .

وفي يوم الثاني جاءه شاب ، فسأله عن استاذه ، فقال : ان استاذي هو الشيخ الذي جاءك بالامس واني لعامل على طريقته ، غير متجاوز اسلوبه . فتبسم ابن التلميذ وقال : نعم فلا تتجاوز مايامرك به .

و كان لم ياخذ من العامة اجراً على تطبيبهم بل كان يكفي برواتب الخليفه ، حتى قيل ان احدا كابر الامراء مرض مرضاً شديداً ، عجزت الاطباء في بلاده عن علاجه ، فقصد ابن التلميذ ، ونزل عنده في ضيافته ، فعالجه حتى برىء ثم سافر الى وطنه ، وارسل بيد احد التجار اموالا ، وخدماً ونفائس كثيرة ، فلم يقبلها وقال للوسيط : اني عاهدت نفسي ان لاآخذ على علاج اجراً ،واني لمكتف بما قدره عليّ الخلفاء . ولكن الواسطة الح عليه ، وبقي في بغداد مدة رجاء اقناعه ، فلم يفلح ، . ثم قال له : اني سوف آخذ هذا المال لنفسي ولم اخبر صاحبي ، وتبقى المنة عليك فقال له ابن التلميذ : الست اعلم في نفسي ، اني لم اقبلها ، فنفسي تشرف بذلك عند نفسي ، وسواء عندي علم الناس ام جهلوا ، فرجع التاجر الى صاحبه مأيوساً .

وكانت داره قريبة من المدرسة النظامية ، فمن مرضى من طلابها الفقراء جاء به الى داره وعين له خدماً يمرضونه ، وهو يعالجه ، فاذا برىء اعطاه شيئاً من الدراهم وودعه الى مدرسته . وقد مدحه بعض هؤلاء الطلاب بعد برئه بقوله :

اتيته اشتكي وبي مرض … الى التداوي والبرء محتاج
آسى وواسى فعدت اشكره … فعل امرء للهموم فراج
فقلت اذ برّني وأبرأني … هذا طبيب عليه زرباج

وقال آخر منهم بعد برئه ، وبعد قول ابن التلميذ له : خذ هذا ، واعمل لك غذآء مناسبا

جاد واستنقذ المريض وقد كاد له ان يلف ساقا بساق

والذي يدفع المنون عن النفس جدير بقسمة الارزاق .

وقد كان لباسه على الغالب . البياض · وقد قال هو فيه . ينبغي للانسان ان يختار من اللباس · مالا تحسده عليه العامة . ولا تحتقره الخاصة .

اما ولادته فلم نعثر على من تعرض لها سوى الاب لويس شيخو في شعرآء النصرانية اذ قال ان مولده كان في سنة ٤٧٤ هج

اما وفاته فقد ذكر ابن خلكان ومختصر الدول : انها كانت في صفر ليلة عيد النصارى سنة ٥٦٠ هج وقال ابن ابي اصيبعة في ٢٨ ربيع الاول من تلك السنة في الثلث الاول من الليل خنقا في دهليز داره · وكان قد اسلم قبل موته « على ماذكره موفق الدين في مجموعه » ولكن الاستاذ فريد وجدي قال في دائرة معاوفه : ان ابن التلميذ كان نصرانيا . عاش على مذهبه . ومات على مذهبه وانما اسلم ابنه المدعو « رضي الدولة »

علاجه ومداواته

لقد كان هذا الحكيم سهل العلاج . معتدل المداواة والتمريض . وقد كانت لديه تجربة فاضلة . وغوص على اسرار الطبيعة . وكان يرى خفايا الامراض فلا يشك في علاجها . وكان اكثر مايصف المفردات اوماقل تركيبه . وكانت له في العلاج ارآء غريبة . وتفننات بديعة منها .

انه جيء له بامرءة لم تعرف . اهي حية امميتة · وكان الفصل شتآء · فامر بتجريدها وصب المآء البارد عليها صبا متتابعا كثيرا ، ثم امر بنقلها الى مجلس دفيء ، قد بخر بالند والعود ، ثم دفئت بانواع الفرآء ساعة فعطست وتحركت ، ثم جلست وخرجت مع اهلها . ومنها

انه احضر له مريض ، يعرق دماً في الصيف ، فامره با كل خبز الشعير مع الباذنجان المشوي ، فا كل من ذلك ثلاثة ايام وبرىء ، فسأله اصحابه عن ذلك ، فقال : ان دمه قد رق ، ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغداء الغايظ ، من شانه تمتين الدم ، وتكثيف المسام ، ولاجل ذلك امرته با كله ، فنفع

تلمذته وتآليفه

لم يذكر التاريخ شيوخه منذ بدأ بالتدريس والتعليم ، غير ان المتفق عليه لدى الجميع ، انه تخرج في الطب على الحكيم العلامة الشهير ، هبة الله بن سعيد ، صاحب كتاب التلخيص ، والمغنى ، الشهيرين ، في هذا الفن .

اما تأليفه فكثيرة مشهورة اشهرها « النهج الواضح » وهو من اجل كتب هذه الصناعه « والقرابادين الطبي » المعول عليه والمعمول به حتى عصرنا هذا « وشرح كليات ابن سينا « وحاشية على القانون » وحاشيه على المنهاج لابن جزلة وشرح مسائل حنين وشرح احاديث نبوية تحتوى على مسائل طبية ، وديوان رسائل « وديوان شعر » كبير وغير ذلك مما سمعنا بها ولم نطلع على مفصلها .

ادبه وشعره

قال الحضيري في كتابه (زينة الدهر) : كان ابن التلميذ الطبيب الحكيم ، اذا ترسل استطال وسطا ، واذا نظم وقع بين ارباب النظم وسطا . وقال ابن ابي اصيبعة ولابن التلميذ شعر مستظرف ، حسن المعاني الا ان اكثر ما يوجد له البيتان والثلاثة اما القصائد فلم اجد له منها الا القليل ، وقد ذكره العماد الاصفهاني في خريدته من جملة الشعراء فقال : كان من اكبر كبار النصارى ، له ابيات افراد كلها فرائد وكلمات وافية رائقه شافية شائعة . قال الحضيرى : ومن مقاطيعه قوله :

يامن زماني عن قوس حاجبه   بسهم هجر على تلافيه

إرض لمن غاب عنك غيبته   فذاك ذنب عقابه فيه

وذكر له ايضا قوله :

عاتبت اذ لم يزر خيالك و النوم بشوقي اليك مسلوب
فزارني منعماً وعاتبني كما يقال المنام مقلوب

وقال في ولده سعيد ، و كان يحبه :

حبتي سعيداً جوهر ثابت وحبه لي عرض زائل
به جهاتي الست مشغولة وهو الى غيري بها مائل

وله في ابي البركات الطبيب اليهودي ، المتقدم ذكره في هذه الترجمة :

لنا صديق يهودي حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب اعلى منه منزلة كانه بعد لم يخرج من التيه

و كانت له اليد الطولى في الاحاجي والالغاز ، منها قوله في الميزان :

ماواحد مختلف الاسماء يعدل في الارض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا مرآء اعمى يري الارشاد كل رآئي
اخرس لاعن علة ودآء يغنى عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امترآء بالرفع والخفض عن النداء
يفصح ان علق بالهوآء

وقال ملغزاً في ابرة خياطة :

و كاسبة رزقا سواها يحوزه وليس لها حمد عليه ولا اجر
مفرقة للشمل والجمع دابها وخادمة للناس تخدمها عشر
اذا خطرت جرت فضول ذيولها سجية ذي كبر وليس بها كبر
ترى الناس طراً يلبسون الذي نضت تعمهم جوداً وليس لها وفر

وله في مجمرة بخور قوله

كل نار للهجر تضرم للهجر وناري تشب عند الوصال
فاذا الصد راعني سكن الوجد ولم يخطر الغرام ببالي

ومن غرر ابياته الحكمية ، وهي كثيرة ، قوله :

العلم للرجل اللبيب زيادة ونقيصة للاحمق الطياش
مثل النهار يزيد ابصار الورى نوراً ويعشى اعين الخفاش

وقال

وارى عيوب العالمين ولا ارى عيبا لنفسى وهو مني اقرب
كالطرف يستجلي الوجوه ووجهه منه قريب وهو عنه مغيب

ومن حكمياته ايضا

سق النفس بالعلم نحو الكمال توافِ السعادة من بابها
ولا ترج مالم تسبب له فان الامور باسبابها

وقال :

اذا وجد الشيخ في نفسه نشاطا فذلك موت خفي
الست ترى ان ضوء السراج له لهب قبل ان ينطفي

ومن ذلك ماذكر فيه اثر ضرر الذباب على الجرح قبل اكتشاف المتاخرين له

وهو قوله :

لاتحقرن عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجرح الممد يد تنال ماقصرت عنه يد الاسد

ومنه قوله :

اجدك ان من شيم الليالي العنيفة ان تجوز على اللهيف
كمثل الخلط اغلب ماتراه يصب اذاه في العضو الضعيف

وقال في الغزل :

لسيف جفونك فضل على مواضي السيوف التي في الجفون
فتلك مع القتل لاتستطيع رجع النفوس بدفع المنون
وعيناك يقتلني شزرها واحيي بايماضها في سكون

وله ايضا قوله

لاتحسبن سواد الخال عن خلل من الطبيعة اواحداثه غلطا
وانما قلم التصوير حين جرى بنون حاجبه في خده نقطا

وقال ايضا متغزلا :

لا تعجبوا من حنين قلبي اليهم واعـــذروا غرامي
فالقوس مـع كونه جمادا يئن من فرقـــة السهام

وله مثل ذلك كثير يعوقنا عن ذكره طلب الاختصار .

وقد عرف ابن التلميذ بالنكت الادبيه ، لاسيما الشعرية منها ، نذكر لك شطراً منها استطراداً : قال في امرد تصدر مجلساً :

قال الامام وقـــدراه مـع الحداثة قـد تصدر
من ذا المجاوز قـدره قلت المقـدم بالمؤخر

وله ايضا قوله :

قد قلت للشيخ الجليل الاريحي ابي المظفر
ذكر فلان الدين لي قال المؤنث لا يذكر

و كان ابو القاسم على بن افلح ، الشاعر الاديب ، قد نقه من مرض ، كان ابن التلميذ يعالجه فيه ، فكتب له شعراً يشكو له فيه الجوع ، اذ كان قد نهاه عن الاكل الا بامره ، فقال :

انا جوعان فانقذني من هذى المجاعة فرحى بالكسرة الخبز وان كانت قطاعه
لاتقل لي ساعة تصبر مالي صبر ساعه فقوای اليوم لاتقبل في الخبز شفاعه

فاجابه الحكيم بقوله :

هكذا اضياف مثلي يتشكون المجاعه غير اني لست اعطيك مضراً بشفاعه
فلتعلل بسويق فهو خير من قطاعه بحياتي قل لما نرسمه سمعاً وطاعه

فلما اتت الابيات الى ابي القاسم ردّ جوابه ، مستعطفا الحيلة في ذلك بقوله :

ان مرسومك عندي قد توخيت استماعه غير اني لم اقل من نيتي سمعاً وطاعه

ودفعت الجوع والله فلم اسطع دفاعه فا كفني كلفته اليوم وجنبني صداعه

فاجابه ابن التلميذ بقوله :

انا في الشعر ضعيف الطبع منزور البضاعه ولك الخاطر قد اوتي طبعاً وصناعه

ومتى لم تكف شر الجوع لم تكف صداعه فعلى اسم الله قدم اخذه من بعد ساعه

وطلب منه الوزير عون الدين بن هبيرة ، بيتين يخطهما على مسند بديع عمله اصدر مجالسه ، فكتب له الحكيم شعراً :

افرشت خدي للضيوف ولم يزل خلقي التواضع للبيب الاكيس

فتواضعي اعلى مكاني بينهم طوراً فصرت احل صدر المجلس

وطلب منه الوزير ، ابن صدقه ، كتاب محاضرات الراغب ، استعارة ، فارسله هدية وكتب معه :

لما تعذر ان اكون ملازماً لجناب مولانا الوزير الصاحب

ورغبت في ذكرى بحضرة مجده اذكرته بمحاضرات الراغب

ومن حكمياته المشهورة ، وقيل لغيره ، قوله

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه الى طبقات الجو وهو وضيع

وقد شطرتهما بقولي :

(تواضع تكن كالنجم لاح لناظر) قريباً ولكن المنال منيع

وضيعاً يراه الناظرون بجنبهم « على صفحات الماء وهو رفيع »

« ولا تك كالدخان يعلو بنفسه » غروراً فان حل الفضاء يضيع

وكيف ينال الاوج واط وان علا « الى طبقات الجو وهو وضيع »

وله كلمات حكمية كثيره منها قوله ـ العالم غير المعلم كالمتمول البخيل ـ ربما ياتي

الخير من جهة الخوف ، والشر من جهة الرجاء « من اشتغل في امر قبل زمانه فرغ منه في زمانه » الى غير ذلك

وكان ممدوحاً للشعرآء ، مجزلا في العطاء ، فمن مادحيه ، الشريف ابو يعلى ، محمد بن الهبارية العباسي بقصيدة مطلعها

يابنى التلميذ لو وافيتكم لم تكن نفسي باهلى شغفه

ومنهم النقيب الكامل ابن الشريف بقصيدة مطلعها قوله

امين الدولة اسلم للايادي على رغم المناوى والمعادى

ومنهم الطغرآئى الشهير صاحب لامية العجم :

ياسيدي والذي مودته عندي روح يحيي به الجسد

من الم الظهر استغيث وهل يألم ظهر اليك يستند

ومنهم محمد بن جكينا ، لما مرض وعاده ابن التلميذ ، قال

قصدت ربعي فتعالى به قدرى فدتك النفس من قاصد

فما رأى العالم من قبله بحراً مشى قط الى وارد

الى غير ذلك ، وبما ذكرنا كفايه .

٢١٢ ـ هبة الله بن الحسين البديع الاسطرلابي (*)

... ـ ٥٣٤ هـ

هبة الله بن الحسين بن احمد (١) ابو القاسم ، بديع الزمان الاسطرلابي الطبيب البغدادي من اطبآء القرن السادس ،

كان نادرة عصره فى الطب والفلسفه والمنطق والكلام ، والفنون الرياضية والادب الصحيح ، كما انه كان ماهراً في علم الاسطرلاب وعمله ، وحيث لم يوجد

(*) فوات الوفيات ، زينة الدهر للحظيري ، الخريدة للعماد الاصفهاني

(١) وقيل يوسف

مثله في وقته علماً وعملا اشتهر بلقب « الاسطرلابي » وقد كان معاصراً للحكيم امين الدولة ، ابن التلميذ ، وله معه صداقة اكيده وقد قال : اجتمعت مع امين الدولة في اصفهان سنة ٥١٠ هج

قال صاحب فوات الوفيات : كان وحيداً في عمل الالآت الفلكية متقنا لهذه الصناعة وقد حصل له من عملها مال جزيل فى خلافة الامام المسترشد ، ولما مات لم يخلفه مثله في عمله وقال ابو الفداء : ان الارصاد الفلكية قد تمت بارشاده فى القصر السلجوقي ببغداد سنة ٥٢٤ هج

وذكره الحظيري ابو المعالي في (زينة الدهر) . والعماد الاصفهاني فى (الخريدة) وكل منهما اثنى عليه واورد عدة مقاطيع من شعره ثم قالا : وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في شعره حتى كان يفضى به الى الفحش باللفظ . وقد توفي بعلة الفالج سنة ٥٣٤ ودفن بمقبرة الوردية في الجانب الشرقي من بغداد في خلافة المسترشد بالله العباسي .

مؤلفاته

له من المؤلفات التي عثر ناعليها « الزيج المحمودي ، وقد صنعه للسلطان محمود بن محمد السلجوقي » واختصار ديوان ابن الحجاج المسمى « بدرة التاج ، وقد رتبه على ١٤١ بابا ، وجعل كل باب في فن من فنون الشعر وديوان شعر ، جميل ، يميل فيه الى المجون والخلاعة والفكاهة .

ادبه وشعره

اما ذوقه الادبي فظاهر لك من تنظيمه لديوان الحسين بن الحجاج واما شعره فما نختاره لك من نظمه دليل على مبلغ براعته ، وطول باعه فى النظم البديع ، والشعر الجيد . قال في مهندس جميل :

وذي هيئة يزهو بخال مهندس   اموت به في كل حين وابعث
محيط باوصاف الملاحة وجهه   كأن به اقليدس يتحدث

فعارضه خط استوآء وخاله به نقطة والخد شكل مثلث

وقال في جميل ظهرت لحيته :

قيل لي قد عشقته امرد الخـــد وقد قيل انه نكريش (١)

قلت فرخ الطاووس احسن ما كان اذا ماعلا عليه الريش

وارتجل بيتين اصحبهما مع هدية منه الى احد اصحابه :

اهدي لمجلسك الشريف وانما اهدي له ماحزت من نعمآئه

كالبحر يمطره السحاب وماله منّ عليـــه لانه من مآئه

وله في هجآء فصّاد قوله :

وفاصد مبضعـــه مشرع كأنه جآء الى حرب

فصد بلا نفع فما حاصل غير دم يخرج من ثقب

لومرّ في الشارع من خارج لمات من في داخل الدرب

خذه اذا جاشت عليك العدا فوحده يغنيك عن حزب

وقال في مدح احدهم من قصيدة .

يابن الذين مضوا على دين الهدى الطاعنين مقادم الأعـدام

فوجوههم قبل العلى واكفهم سحب الندى ومنابر الاقلام

وله في الغزل البديع قوله :

كن كيف شئت فانني قد صغت قلبا من حديد

وقعدت انتظر الكسوف وليس ذلك بالبعيـــد

وذكر له في زينة الدهر قوله :

أذاقني حمـــرة المنايا لما اكتسى خضرة العذار

وقد تبدى السواد فيـــه وكارتي بعــد في العيار

---

(١) النكريش كلمة فارسية مركبة من (نيك) يعنى جيد و (ريش) يعنى لحية فيكون المعنى : قد قيل انه جيد اللحية .

والكارة في اصطلاح البغداديين في وقته تطلق على مقدار من الدقيق اوغيره تحمله المرأة على رأسها ويؤتي بهذه الجملة مثلا لمن نشب به الامر ولم يتخلص منه .

وله في اسطرلابي اخذ الآلة وجعل يعمل بها في الشمس :

قام الى الشمس بآلاته ... لينظر السعد من النحس

فقلت اين الشمس قال الفتى ... في الثور قلت الثور في الشمس

وقال في هجاء بخيل :

مستيقظ فاذا استضيف ... به يصير من النيام

وتراه في عدد الطغام ... اذا رأى مضغ الطعام

تبدو قصائبه العظام ... اوان تجريد العظام

وله شعر غير هذا كثير وبما ذكرنا كفاية :

٢١٣ – هبة الله بن الحسين الاصفهاني (*)

٠٠٠ ـ ٥٣٤ هج

هبة الله بن الحسين بن علي ، الحكيم ابو القاسم ، والطبيب الاصفهاني ، ذكره محمد بن محمد بن حامد فقال : كان معاصراً لعمي وطبيبه ، وكان من محاسن الدهر ومعادن الدر ، وافاضل العصر ، ذا فضائل لاتدخل تحت الحصر ، وكان من اقران البديع الاسطرلابي ، والقاضي الارجاني ، وقد قيل في طبه : وعند طبه لا يشترى بقراط بقيراط ، ولا يستقيم سقراط على الصراط وحق لو الحق ابن بطلان بالبطلان ، اذ قام بفضله وحذقه البيان والبرهان ،

توفي سنة نيف وثلاثين وخمسمائة ، ولكني رأيت في غير هذا الموضع انه توفي في عام وفاة الاسطرلابي الطبيب وهي سنة ٥٣٤ هج ودفن في سرداب داره وهو مسكت بسكتة اصابته فجأة ، وقد فتح باب قبره بعد اشهر لينقل فوجد جالساً عند الدرج ، وهو ميت .

(*) القفطي في تاريخ الحكماء

وله شعر حلو ، منه قوله يصف حماماً في دار صديق له :

ودخلت جنته وزرت جحيمه　　وشكرت رضوانا ورأفة مالك
والبشر في وجه الغلام نتيجة　　لمقدمات ضياء وجه المالك

ولم نعثر له على أكثر من هذه الترجمة .

٢١٤ ـ هبة الله بن الفضل البغدادى (*)

٠٠٠ ـ ٥٥٨هـ

هبة الله بن الفضل بن قطان أبو القاسم البغدادي المولد والمنشأ .

ذكره ابن ابي اصيبعة في عيونه فقال : كان طبيباً ماهراً مباشراً شهيراً في معالجة المرض والكحالية ، الا ان شهرة الشعر كانت تغلب عليه ، وكان كثير النوادر ، خبيث اللسان في هجوه ، غاية في الخلاعة والمجون ، كثير المزاح والدعابة مغرى بالولوع بالمتمجرفين ، وكما ذكره في فوات الوفيات بقوله : وكان خفيف الروح ، كثير النوادر والمضحكات ، لايهاب في نادرته خليفة ولا سوقة .

منها انه حضر مرة مع الحيص بيص ، الشاعر المعروف ، على مائدة الوزير ،في شهر رمضان ، فاخذ قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص ، فقال الحيص بيص للوزير ياسولانا ان هذا الرجل يؤذيني ، فقال الوزير : وكيف ولم نر منه شيئا ؟ فقال : انه يشير بوضع هذه القطاة امامي الى قول الشاعر :

(تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا)　　وكان الحيص بيص تميمياً

. فضحك الوزير من التفاتهما وحسن النادرة وطلب من هبة الله الرفق به

ومنها انه لما ولى الزينبي الوزارة ، دخل عليه ابن الفضل ؛ والمجلس محتشد بالاعيان والاشراف ، فوقف بين يدى الوزير ، ودعا له بالخير ، واظهر السرور والفرح ، ثم رقص وخرج فقل الوزير لبعض خلص اصحابه : قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى المثل المشهور ـ ارقص للقرد في زمانه ـ

(*) عيون الانباء وغيره

ومنها انه قصد ذات يوم دار احد الاكابر . فلم يؤذن له ، فبقي واقفا فاخرج الخدم طعاماً فاطعموا الكلاب وهو ينظر ، فقال : ان مولانا يعمل بقول العامة — لعن الله شجرة لاتظل اهلها —

ومنها انه جلس يوماً مع زوجته ياكل طعاماً فقال لها : اكشفي عن رأسك ، ففعلت ، فقرأ : قل هو الله احد فقالت له : ماهــــذا ؟ فقال لها : ان المرأة اذا كشفت عن رأسها لم تحضر الملائكة ، واذا قرئ قل هو الله احد هربت الشياطين وانا اكره الزحام على المائدة ، فتعالى ناكل وحدنا .

ومنها انه دخل ذات مرة على الوزير، ابي هبيرة ، وكان عنده نقيب الاشراف وكان ينسب الى البخل ، وذلك في شهر رمضان ، والحر شديد . فقال له الوزير اين كنت ياشيخ ؟ فقال : في مطبخ النقيب ، فقال له : ياويحك ايش عملت في رمضان في المطبخ ، فقال : وحياة مولانا ، كسرت الحرّ فيه فتبسم الوزير ،وخجل النقيب .

وله ايضا نوادر شعرية كثيرة ، منها انه كانت له مع الامير ابي الفوارس سعد بن محمد بن صيفي الشاعر الشهير (بحيص بيص) مهاجاة ، وتهاتر ، وكانا يصطلحان وقتاً ثم يعودان الى التهاتر .

وكان الذي الصق به هذا اللقب ، هو هذا الطبيب المذكور اعني أبا الفضل هبة الله ، وذلك انه لما رأى ابو الفوارس ، عسكر الخليفة المقتفى بالله وهو يخرج لحرب السلجوقي ، قال : ماهذا الحيص بيص ؟ فكانت هذه الكلمة لقباله ، شهره به ابو الفضل المترجم

واتفق ان نبحت على حيص بيص كلبة مجربة ، فقتل جروا لها بالسيف ، فقال فيه الطبيب المذكور ، وقد كتبه وعلقه في رقبة الكلبة ، ثم طردها الى باب الوزير كالمستغيثه . فاخذت الورقة وعرضت على الوزير ، واذا فيها

يا ايها الناس إن الحيص بيص اتى   بفعلة اورثته الخزى في البلد

هو الجبان الذي ابدى شجاعته على جرى ضعيف البطش والجلد
فانشدت امه من بعدما احتسبت دم الا يبلق عند الواحد الصمد
(اقول للنفس مأساة وتعزية احدى يدي اصابتني ولم ترد)
(كلاهما خلف من بعد صاحبه هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي)

ادبه وشعره

لقد تقدم ان الطبيب ابا الفضل ، تغلب عليه نظم الشعر ، حتى اشتهر به دون طبابته وقد كان شعره بديعاً حسناً غير انه في الهجاء والنوادر ابدع واملح . فمن ذلك قوله يهجو الطبيب الاسطرلابي ، هبة الله ، عندما حج هو وزوجته وعبده

لاغرو لو وهن الحجيج وان رموا منه بنكبه
حج البديع وعرسه وفتاه فانظر اي عصبه
فثلاثة من منزل علق وقواد وقحبه

وله فيه ايضا قوله

يابن المرخم صرت فيناحاكما خرف الزمان تراه ام جن الفلك
ان كنت تحكم بالنجوم فربما اما شريعة احمد من اين لك

وقال في هجاء غيره :

امدحه طوراً واهذي به طوراً ولا اطمع في رفده
مثل امام بين اهل القرى صلى بهم والزيت من عنده

وله ايضا في هجاء غيرها قوله :

ياخائف الهجو على نفسه كن في امان الله من مسه
انت بهذا الفرض بين الورى مثل الخرا يمنع من نفسه

وكان صديقا للطبيب ، اوحد الزمان ، ابي البركات اليهودي ، وكان قد عمل معجونا لنفسه يسمى (برشعثا) فوصف ذلك المعجون عن لسان ابي البركات فقال :

تجرعت برشعثا وحالي اشعث فما نزلت بي بعده علة شعثا (١)

ولو بعد عيسى جاز احيا ءميت لاصبح يحيي كل ميت ببرشعثا

ومن شعره يهجو الطبيب امين الدولة ابن التلميذ ، وكان مشهورا بالتواضع ، قوله

هذا تواضعك المشهور عن ضعة قد صرت فيه بفضل اللؤم متهم

فعدت عن امل الراجي وقمت له هذا وثوب على القصاد لا لهم

وقال يمدح ابا عبد الله ؛ محمد بن الانباري ، كاتب الانشاء في بغداد :

يامن هجرت فما تبالي هل ترجع دولة الوصال

ماالطمع ياعذاب قلبي ان ينعم في هواك بالي

الطرف من الصدود باك والجسم كما ترين بالي

والقلب كما علمت صاب باللوعة والغرام سالي

والشوق بخاطري مقيم مايؤذن عنه بارتحال

يامن نكأت صميم قلبي بالحزن وصورة الخيال

هيهات وقد سلبت غمضي ان اظفر منك بالخيال

ماضرك لو تعللينى في الوصل بموعد محال

وهي قصيدة طويلة يتخلص في آخرها الى ممدوحه ابن الانباري .

وله من المؤلفات ـ تعاليق طبية ، ومسائل واجوبتها في الطب ، وديوان شعر جميل

---

(١) شعثا مؤنث شعث وهو المغبر المتلبد وهنا كناية عن العلة المغيرة للحال و الصحة .

حرف الياء

٢١٥ — يحيى بن احمد الخياط (*) . . . — ٤٤٧

يحيى بن احمد ، ابو بكر المعروف بابن الخياط الاندلسي ، كان اديبا شاعراً متقنا للحساب والهندسة ، بارعاً في علم النحو ، اخذ علم العدد والهندسه عن ابي القاسم مسلمة بن احمد المجريطي (١) وخدم بصناعة احكام النجوم ، سليمان بن الحكم ابن الناصر لدين الله ، امير المؤمنين ، وغيره من الامراء في زمن الفتنة ؛ وكانت له معرفة تامة بالطب وحسن المعالجة ، مع حسن السيرة والمذهب . توفي في طليطله سنة ٤٤٧ هج

ومن شعره :

لم يخل من نوب الزمان اديب ... كلا فشان النائبات عجيب

وغضارة الايام يأبى ان يرى ... فيها لابناء الذكاء نصيب

وكذاك من صحب الليالي طالباً ... جداً وفهماً فاته المطلوب

وقال في بخيل :

لاتكونن مبرماً وعسوفا ... سله ادماً وخل عنك الرغيفا

اكرم الخبز بالصيانة حتى ... جعل الكعك للبنات شنوفا

٢١٦ — يحيى بن احمد الغرناطى الفيلسوف (*)

. . . — ٧٥٣ هج

يحيى بن ابراهيم بن هذيل التجيبى الغرناطي المعروف بابن زكريا الفيلسوف

(*) معجم الادباء

(١) وقيل المرحيطي

(*) الاحاطة لابن الخطيب

الأندلسي ، قال ابن الخطيب: قرأ ابن زكريا الاندلسي ، العربية والادب على ابي بكر ابن الفخار ، والمنطق على ابي عبد الله ابن خميس ، ودرس الطب على ابي عبد الله الاركسي ، والاصول على ابي القاسم ابن شاطر ، والحساب على راشد ابن ابي راشد والهندسة على ابي اسحق البرغواطي ، والعلوم العقلية على ابي عبد الله ابن الرقام. ثم قال: وهو خاتمة العلماء في الطب والهندسه والهيئه ونحوها ، كل ذلك مع ادب جم وامتاع في المحاضرة والمجالسه . ولكنه كان مؤثرا للخمول ؛ وفي آخر عمره خدم السلطان في الطب ، وقعد في المدرسة يقرئ الطب والاصول .

مؤلفاته

لم نجد له من المؤلفات سوى « الايجاز والاعتبار في الطب » وشرح كراسة الامام فخر الدين الرازي في الطب وهو شرح لطيف قريب المأخذ وله على ماذكر غير هذين ولكنا لم نعثر على شيء منها .

ادبه وشعره

وقد كان ينظم الشعر الجيد ، ومنه قوله :

اناديك والاشواق يركض جمرها يصفحة خدى من دموع سوابق
اباريق ثغر من عذيب رضابه تصب (١) مهجتي بين العذيب وبارق

وقد توفي فى ٢٥ شعبان سنة ٧٥٣ هـ

٢١٧ — يحيى بن بقي السلاوى « * » ... — ٥٦٣ هـ

يحيي بن بقي ، ابو بكر ، المعروف بالسلاوي الواعظ ، فقيه عارف بالتفسير ، اديب طبيب وكان قد اوتي مزماراً من مزامير آل داود ، اقام بمرسية اعواماً جمة يعظ الناس ولم يكن ياخذ من الناس على وعظه شيئا ، وكان الامير بمرسية ، محمد بن سعد ،

---

(١) كذا

« * » معجم الاطباء عن بغية الملتمس

قد جعل له مرتبا ، ثم قطع عنه فاشتغل بالطب وظهر فيه ، فكان يعتاش بما يعود عليه منه فقط ، ولا يسأل احداً شيئا .

وقد انشدني بعض اصحابه من شعره في طريقة الزهد قوله :

في كل حال انت لي ومنك ارجو املي
وحيث ما كنت اجد ك سيدي مستقبلي

ومنها قوله في التنزيه لله تعالى :

كنت بلا اين ولا كيف ولا تنقل
وانت بالنعت الذي كنت من الكيف علي
عليك رزق من سعى وانت غوث من بلي
فها انا مفوض منزلتي لمنزلي
من كان لى فيما مضى عونا كذا يكون لي

وقال متشوقاً للحجاز والحلول بطيبة قصيدة يقول فى مطلعها .

ياحداة العيس مهلا فعسى يدرك الصب لديكم املا
لا اخاف الدهر الاحاديا ظلت اخشاه واخشى الجملا
اودعوني حرقاً اذ ودعوا غادروا القلب بها مشتغلا

ومنها

لو بوادي الدوم مرت ابلي كنت اوطأت جفوني الا بلا

الى قوله

أفأني حين يدنو اجلي لست القاك والقى الاجلا؟

وتوفي بمرسية عام ٥٦٣ هـ ودفن بالبقيع خارج باب ابن احمد وكان تشييع جنازته مشهوداً

٢١٨ — يحيى بن تميم الامير الحميري (*) ٤٥٧ — ٥٠٩ هج

الامير يحيى بن الامير تميم بن الامير المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ، صاحب افريقية بالمغرب .

ولد سنة ٤٥٧ هج وتوفي سنة ٥٠٩ هج فجأة ، وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة اشهر و٢٥ يوماً وخلف ثلاثين ولداً ذكوراً

كان ابو طاهر هذا حسن الوجه ، اشهل العينين ، على حاجبه شامة ، دقيق الساقين ، مائلا في قده الى الطول ، وكان عادلا في رعيته ، ضابطا لامور دولته ، مدبراً لجميع احواله ، رحيما بالفقرآء والضعفاء ، مكثر الصدقة عليهم ، مقربا لاهل العلم والفضل ، وكان عالماً باخبار الناس وايامهم متقناً لعلم الطب عارفاً به

وذكره ابن خلكان بهذا الوصف وزاد عليه قوله : ان له نظر حسن بالنجوم وصناعتها واحكامها وكانت الشعرآء تقصده بالمدح ، ومن جملة شعرآئه المخصوصين به ، الطبيب امية ابن ابي الصلت ، عبد العزيز المذكور في حرف الالف من كتابنا هذا . ومنهم محمد عبد الله بن ابراهيم السمطي المالكي ، وهو الذي رثا اباه الامير تميم عند موته وهناه بالملك بعد ابيه بقوله :

سقى الغيث قبراً ضم افضل مفقود | يغرى به في الناس افضل موجود
مضى فائزاً بالملك اكرم والد | وشرف هذا الملك اكرم مولود
ارى النشأة الاولى اعيدت فاقبلت | بملك سليمان وفقدان داود

وقد كان المترجم شاعراً اديباً كما كان عالماً طبيباً واميراً عادلا . ومن شعره قوله :

بمثلي يفخر الملك الكبير | ويزهو التاج فخراً والسرير
لاني لم ازل ملكا مطاعا | يذل لغري الاسد الهصور
ملأت الارض معدلة وفضلا | وانعشت الفقير فلا فقير

(*) معجم الاطباء عن تاريخ الدول والملوك لابن الفرات ، الوفيات

غزوت الروم في شرق وغرب　　وسيفي نحوهم ابداً يسير

الى غير ذلك . ولم نعثر له على مؤلف ولا على تدريسه ومفصل حياته :

٢١٩ — يحيى بن زكريا الطبيب (*) ٢٨٣ — ٣٦٤ هج

يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي الطبيب ، نزيل بغداد

ولد سنة ٢٨٣ هج وتوفي سنة ٣٦٤ هج عن ٨١ عاماً ، كما ذكره الاب لويس شيخو في كتابه (شعراء النصرانية) وكانت وفاته في بغداد ، في بيعة (ماريونا) بقطيعة الدقيق .

اليه انتهت الرئاسة الطبية ، ومعرفة العلوم الحكمية في زمانه . قرأ الطب والحكمة على ابي بشر متى ، والفارابي ، وجماعة آخرين . وقد ذهب مذهب النصارى اليعقوبية وكان جيد النقل من السريانية الى العربية وكان كثير الكتابة ، قال ابن النديم ، محمد بن اسحاق البغدادي : انه نسخ نسختين من تاريخ الطبري ، وحملها الى الملوك ، ونسخ من كتب المتكلمين الشيء الكثير ، وانه ليكتب في اليوم والليلة مائة ورقة .

مؤلفاته

ان لابن زكريا من المؤلفات ، كما ذكرها القفطي في تاريخ الحكماء : رسالة في نقض حجج الشيخ ابن سينا التي الفها في نصرة القائلين بان الافعال خلق الله واكتساب العبد ، وتفسير كتاب طوبيقا لارسطاطاليس ، ومقالة في سياسة النفس ، وكتاب في منافع الباه ومضاره ، ومقالة في صناعة المنطق وماهيتها وكيفيتها ، ورسالة في الاخلاق ، وغيرها .

ادبه وشعره

اما ادبه وترسله فمؤلفاته البديعة العبارة ، والجميلة الاشارة ، كافية لاثباتهما وعدّه من الادباء العظام ، واما شعره فكثير حسب اقوال المؤرخين عنه غير انا برغم

(*) فهرست ابن النديم ، القفطي ، عيون الانباء ، شعراء النصرانية

تفحصنا الشديد لم نعثر الا على بيتين نقلهما ابن ابي اصيبعة في عيون انبآئه عن الامير ابي الوفآء عن شيخه ابن الآمدي انه سمع من ابي علي اسحق بن زرعه تلميذه يقول ان ابن زكريا وصى ان يكتب على قبره ، حين حضرته الوفاة هذان البيتان وهما

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبق قد مات جهلا وغيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا لاتعدوا الحياة بالجهل شيا

وذكر له الاب لويس في شعرآء النصرانية بيتين ، هما قوله

انعمت فحص المعاني عن حقائقها فلم يبن لك اذ لم تحسن النظرا
فالشمس تخفى على من ليس ذا نظر وليس تخفى على من اعطي البصرا

٢٢٠ – يحيى بن صاعد معتمد الملك (*)

٠٠٠ – ٥٥٩ هـ

يحيى بن صاعد بن يحيى ابن التلميذ الحكيم الملقب ، بمعتمد الملك ، الطبيب النصراني النسطوري المعروف .

كان طبيب الدوله العباسية ، وجد امين الدولة ، الطبيب الشهير بابن التلميذ ، لامه وهو المذكور في حرف الهآء من كتابنا

ذكره الحموي في معجمه ص ٢٠ فقال : كان حكيما عالما فاضلا حاذقا في صناعة الطب اديبا شاعراً ، وكان مقيما باصفهان ، مقربا عند الامرآء والاعيان . وقال غيره كان ذارأي رصين وعقل وافر ، حتى كان يستشار لسديد رأيه في عظام الامور ، وله مع ذلك الفضل الوافر ، والادب الغزير والمعرفة الكاملة . وقد حصلت له سعادة جد نال بها اموالا كثيرة ؛ وكان معاصراً للامير ، سيف الدولة صدقه بن منصور بن دبيس بن مزيد ، ودبيس هو الامير الذي بنى بلدة الحلة ، في العراق على نهر الفرات ، قرب بابل ، وكان صديقا له محبوبا مبجلا عنده .

(*) معجم الادبا . شعرآء النصرانية

وكان معتمد الملك هذا ، مليح الخط ، حسن الانشاء وقد توفي سنة ٥٥٩هج وقيل غير هذا وما ذكرناه هو الصحيح

ادبه وشعره

قال في شعراء النصرانية : لم يكن معتمد الملك يحيى طبيباً نطاسياً فحسب ، بل كان شاعراً مجيداً ايضا وقال القفطي : وله شعر شريف ، وقصد في المعاني لطيف . وقال الملك المنصور صاحب حماة : يحيى ابن التلميذ الحكيم كان يلقب ، بمعتمد الملك ، وكان فاضلا اديبا ، وديوان شعره مشهور ، ثم قال ومن شوقياته قوله : نقلا عن احدى مجموعات باريس :

الله ابقاك للدنيا وللدين ولا يخليك من عز وتمكين
روحي وروحك ممزوج ومتصل وكل عارضة توذيك توذيني

وقال ايضا

انعما بالوصال يافرقدان واسلما من صروف هذا الزمان
كم اشتّ الفراق بين حبيب وحبيب وانّما تصحباني
وستفضى اليكما عن قريب نوبة البين ثم تفترقان

وله ايضا قوله

واذا انبت المهيمن للنمل جناحاً اعدّها للتردي
ولكل امرىء من الناس جد وهلاك الفتى جواز الحد

وكانت له في اللغز اليد الطولى . من ذلك قوله ملغزا في ابرة خياطة :

وفاغرة فماً في الرجل منها ولكن لايسيغ به طعاما
مخطفة الحشا في الرأس منها لسان لاتطيق به كلاما
تصول بشوكة تبدو وسمّ وما من ذاقه يرد الحماما
تجر ورآئها ابداً اسيراً كما قادت يد الحادي الزماما
منيعاً ذا قوى لكن تراه بقبضتها ذليلا مستهاما

فتلفيه بمحبسها مقيما طوال الدهر لايابى المقاما
ايا عجباً لها سوداء خلقا تريك خلائقا بيضاً كراما
غدت عريانة من كل لبس وفاضل ذيلها يكسو الاناما

وله ملغزاً في القوس كما ذكره العماد الاصفهاني فى الخريدة قوله :

وما ذو قامة ذات اعوجاج تئن وتنحني عند الهياج
لها المكر الخفى مع التمطي كمكر الراح في القدح الزجاج

وقال ايضا ملغزاً في الظل كما رواه ابن منظور فى « نثار الازهار » :

وشيء من الاجسام غير مجسم له حركات تارة وسكون
اذا بانت الانوار بان لناظري واما اذا بانت فليس يبين
يتم اوان كونه وفساده ووسط محياه المحاق يكون

ومما قاله فى بناء دار بناها صديقه ، سيف الدولة ، صدقه ، وقد وقعت فيها النار :

يابانياً دار العلى حلاءتها لتزيدها شرفا على كيوان
علمت بانك انما شيدتها المجد والافضال والاحسان
فقفت عوائدك الكرام وسابقت تستقبل الاضياف بالنيران

وله في الغزل كما في معجم الادباء للحموى :

فراقك عندي فراق الحياة فلا تجهزن على مدنف
علقتك كالنار في شمعها فما ان تفارقه او تنطفي

وقال ايضا :

علق الفؤاد على خلو حبها علق الذبالة في حشا المصباح
لايستطيع البين فرقة بينهم الا لحين تفرق الاشباح

وله ايضا قوله :

بدا الينا ارج القادم فبرد الغلة من هائم
روح من قلبي على مابه وقد يلذ الطيف للحالم

ومن حكمياته البديعة الغزلية قوله .

تعس القياس فللغرام قضية	ليست على نهج الحجا تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم	عرض وتفنى دونه الاجساد

وقال ايضا واجاد :

ماهذه الدنيا لطالبها	الابلاء وهو لايدري
ان اقبلت فسدت امانته	اوادبرت شغلته بالفكر

وقد شطرتهما انا فقلت :

(ماهذه الدنيا لطالبها)	مطليــة بالكذب والمكر
رام السعادة وهي ماخلقت	(الابلاء وهو لايدري)
(ان اقبلت فسدت امانته)	وغدا لها عبداً بلا اجر
شغلته بالآمال مقبــلة	(اوادبرت شغلتــه بالفكر)

وكان معتمد الملك هذا محترماً معززاً تقصده الشعراء فتمدحه وتطري فضله . ومن ذلك ان الشريف ابو العلاء محمد بن الهبارية العباسي ، مدحــه بقصيدة رنانه ، وكان قد قصده الى اصفهان ، فحصل له المترجم من الامراء والاكابر ، مالا كثيراً وعطايا جزيلة ، فقال ابن الهبارية فيه :

وجميع ماحصلتــــه وجمعته	منهم وكنت له بشعري كاسبا
نعمي ابي الفرج ابن صاعد الذي	مازال عنى في المكاسب نائبا
هولاعدمت علاه حصل كلما	املته ومرى(١) فكنت الحالبا
يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل	للمكرمات الى جنابي جالبا

الى آخرها وهي طويله . وله شعر كثير لاحاجة لذكر اكثر من هذا .

---

(١) مري يمري مريا مسح ضرع الناقة لتدر

٢٢١ يحيى بن مارى المسيحى (*) ... ـ ٥٨٩ هج

يحيى بن سعيد بن ماري ، ابو العباس، الطبيب النصراني، المعروف بالمسيحي ، صاحب المقامات الستين ، التي نهج بها منهج الحريري في مقاماته .

عالم بالطب والادب ، والنحو واللغة ، وكان يتطبب بمدينة البصرة فى زماننا « اي زمان الناقل وهو القفطي » فقد ادركنا من روى عنه ، فممن روى عنه ممن ادركناه ، هو ابو حامد ، محمد بن محمد بن حامد بن آله الاصفهاني العماد ، ورأينا من الرواة عنه ، البصرى المعلم الحصني ، وكان يروى عنه مقاماته الستين .

وكان للمسيحي هذا ، معرفة بالادب صادقة ، وربما امتدح بالشعر ، اجلاء الواردين الى البصرة ، وكان اصله من الطيب ، من موضع يقال له « الدوير » . وكان فاضلا في علم الاوائل ، وعلم العربية والشعر ، ويرتزق بالطب والانشاء ، وصنف المقامات الستين ، واحسن فيها . وكان ابوه قد انتقل من الدوير الى البصرة واولد المترجم فيها ، وقد توفي يحيى فيها لعشر بقين من رمضان سنة ٥٨٩ هج ومن شعره في الشيب قوله :

نفرت هند من طلائع شيبي ... واعترتها بسآمه من وجوم
هكذا عادة الشياطين ينفرن ... اذا ما بدت نجوم الرجوم

وله ايضا قوله :

نعم المعين على المروءة للفتى ... مال يصون عن التبذل نفسه
لاشيء انفع للفتى من ماله ... يقضي حوائجه ويجلب انسه
واذا رمته يد الزمان بسهمها ... غدت الدراهم دون ذلك ترسه

وقال ايضا :

لاموا على صب الدموع كانهم ... لايعرفون صبابتى وولوعي

(*) القفطي فى تاريخه

كفوا فقد وعد الحبيب بزورة ولذا غسلت طريقه بدموعي

وقال ملغزا في القبر والنعش

رفيقان منقول وآخر ثابت وكل لكل لازم واجب القهر
فيحمل هذا ساعة ورفيقه يضمن مايبقى الى آخر الحشر
يحف بهذا الناس من كل جانب الى ذاك حتى يغنموا غاية الاجر
ويستودعوا ماأثقلوا منه ظهرهم لآخر حتى ياذن الله بالامر

وله ملغزاً بالليل والنهار قوله :

وضدين هذا مثل هذا تعاقبا وكم بهما عدّ الانام حقائبا
فهذا بصير لا يضل عن الهدى وهذا عميّ ليس يبصر ذاهبا
تحركنا في ذا وفي ذا سكوننا فطورا نرى سعيا وطورا تجانبا
وفي ذين ايات لاهل النهى على جلالة رب العرش تبدى العجائبا

ومما يروى له ، في صداقة الادباء الصالحين قوله :

عدنا وعاد الانس والافراح واضاء في مشكاتنا المصباح
وجرت منادمة يفوح اريجها كالروح نم بعرفه الارياح
وعلى العفاف قد انطوت احوالنا حبا بتقوى الله وهي رياح
لاعيب فينا غير حسن فعالنا جهراً وهل يهوى الفساد صلاح
تابى المحبة بالفساد ومالها عمن تحلى بالصلاح براح
كم عاشق قد ذل بعد فساده والعز فى اهل التقى وضاح

الى غير ذلك وله شعر كثير غير ماذكرناه

٢٢٢ — يحيى بن محمد المبودى (*) ٦٠٧ — ٦٦٨ هـ

يحيى بن الحكيم شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، الملقب بنجم الدين

(*) عيون الانباء وغيره

البودي السيد العالم الحكيم الصاحب ابوزكريا

كان ابوه حكيما طبيباً شهيرا فى هذه الصناعة ، مقدماً في العلوم ، مصنفا جيـــد التصنيف . اما المترجم فقد ولد سنة ٦٠٧ هج فى حلب ولما سافر ابوه بعد موت الملك الظاهر الى دمشق كان عمره ست سنوات ، ولما توفي والده كان عمره اربعة عشر سنة . فتلمذ في الطب بعد اكمال مقدماته على الحكيم الطبيب ، مهذب الدين ، عبد الرحيم الدخوار الى ان اكمله ، ولم يزل بعده يدرس حتى حضر على كثير من فطاحل الحكماء وبلغ من الكمال لاسيما في الطب مالا يبلغه سواه وطبق صيته الافاق وسمت منزلته فكان قدوة فى الطب ، ومقصداً لرواد الحكمة ؛ وكان مع ذلك كله فصيح اللفظ متفنن في الأدب

ونقل صاحب مطرح الأنظار عن ابن ابي اصيبعة الخزرجي انه وصفه بقوله : اوحد فى الصناعة الطبية ، قدوة فى العلوم الحكمية ، مفرط الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحزص في العلوم ، متفنن فى آلاداب قد تميز في الحكمة على الأوائل ، وفي البلاغة على سحبان وائل ، فما يدانيه في شعره لبيد ، ولا في ترسله عبد الحميد ، ثم قال متمثلا :

ولما رأيت الناس دون محله تيقنت ان الدهر للناس ناقد

وكان محترماً معززاً لدى الملك والرعية ، حتى استخلصه الملك المنصور ابراهيم بن مجاهد بن اسد الدين شيركوه ابن شادي ، صاحب حمص ، لنفسه وبقي موضع ثقته واعتماده في الطب والعقل والتدبير ، حتي استوزره ، وبقي فى الوزارة الى ان توفي الملك ، فتوجه الى مصر ، ونال من صاحبها ، الملك الصالح بن الكامل كل تجلة واحترام ، وولاه نظارة الاسكندرية ، وعين له راتبا شهريا قدره ثلاثة الآف درهم ثم رجع الى الشام ، وتولى نظارة الشام ايضا

وكان مع ماله من الجلالة الدوليه والأعمال الكبيرة وكثرة انشغاله بامور الدولة لايخلو مجلسه من العلماء والفضلاء ، كما انه كان لايفتر عن الافادة ، وبث العلوم

والفضائل ، وكانت تلاميذه لم تزل ترتوي من بحر علمه الفياض ، فلا لسانه يسكن عن البث ولا قلمه يقف عن النفث ، واكبر دليل لنا على ذلك ، تآليفه الجليلة المفيدة التي ستذكرها لك .

اما وفاته فلم نقف عليها بالضبط ، غير ان التواريخ مجمعة على انه كان في سنة ٦٦٦ هج حياً يرزق ، ولقد رأيت في بعض المجاميع الخطية انه توفي سنة ٦٦٨ هج وحيث ان هذه المجموعة كانت متقنة من اغلب النواحي ، كان الاعتماد عليها في ذكر الوفاة اقرب الى الصحة . ولذلك فقد اعتبرناها ، وعولنا على نقلها .

مؤلفاته

ان مؤلفات هذا الحكيم الطبيب كثيرة ، نذكر لك ماعثرنا عليها وهي اشهرها : مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا ؛ ومختصر كتاب المسائل لحنين بن اسحق ، ومختصر الاشارات والتشبيهات لابن سينا ايضا ، ومختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا ، ومختصر كتاب الملخص لابن الخطيب ، ومختصر كتاب اقليدس في الهندسة ، ومختصر مصادرات اقليدس ، وكتاب اللمعات في الحكمة ، وكتاب افاق الاشراق في الحكمة ، وكتاب المناهج القدسية في العلوم الحكمية ، وكتاب الكافية في الحساب والرسالة الكاملة في الجبر والمقابلة ، والرسالة المنصورية في الاعداد الوفقية .

ادبه وشعره

كان اللبودي كما اتفق عليه المؤرخون ، طبيباً اديباً ، جيد النظم والترسل ، فصيح القول ، بديع المباني والمعاني رقيق الشعر ، متفننا في الادب . ومن شعره ماقاله في النبي ابراهيم على نبينا وآله وعليه السلام :

الا ياخليل الله عندي صبابة وشوق الى لقياك زاد به كربي
فانت الذي سننت للناس مذهبا فكنت به الهادي الى السنن الرحب
واوضحت في طرق النبوة منهجا فراح من الاشراق يعلو على الشهب

بما كنت مبديه من الحجج التي | قوين فلا يدفعن بالقدح والثلب
وكان بودّي لو اتيتك زائراً | اصعرُ في مغناك خدي على الترب
واقضي حقوقاً واجبات افضلكم | غدت لكم بالفضل في افضل الكتب
وانهى بما عندي من الوجد والاسى | وما بات من هم واصبح في قلبي
وان الليالي قد رمتني بصرفها | بما حط من قدري وقلل من غربي
وانت الذي ارجوك في كل شدة | لتكشف عني كل مستكره صعب
وتشفع لي عند الاله فانني | وقد فرج الرحمن ما بي من الخطب
ولا سيما والعبد في شيمة الذي | به شرفت كل الاعاجم والعرب
وذلك خير الناس اعني محمداً | ومن كان في الاسراء في غاية القرب
ومن كنتما ذخرا له ووسيلة | وكنزا عظيما فاز في السلم والحرب
فلا عجب ان راح وهو مسلم | من الباس والضراء والعتب والسلب
وغير بديع ان يرى غير خائف | يبيت قريراً آمن القلب والسرب
فيا صاحبي طرق النبوة والهدى | اقيلا عثاري شافعين الى ربي
فحسبكما لي شافعين لانني | لاعلم ان الله حينئذ حسبي
فيا قادراً قدر بتفريج كربتي | وعجل لدائي يا الهي بالطب

وله قوله :

اذا ضاق امر فاصبرن سوف ينجلي | فكم حرُّ نار اعقبت بسلام
ولا تسأل الايام دفع ملمة | فلست ترى امراً حليف دوام

وقال متغزلا ايضا :

ايا قمرا اوحشتني وتركتني | حليف سهاد دائم الهم والفكر
بودي لو امسيت عندي حاضراً | وامسى عديم العقل والسمع والبصر

وله دو بيت وهو قوله :

يامالك مهجتي ويا متلفها | كم تسعفك النفس ولا تسعفها

ان كنت انافي الحب يعقوب هوى ... ها انت على حسابها يوسفها

وقال وقد كتبه الى الملك الناصر ، في عيد النوروز :

ليهنـك نوروز اتاك مبشرا ... بنيل الذي تهواه يوماً وتطلب

وان بقاء الملك مع غير اهله ... عجيب وحالي منه عندك اعجب

اسوق اليك الملك طوعاً فتلفه(١) ... ومن عند غيري في تقاضيه ترغب

وتدأب في تحصيل ما انا قادر ... عليه من الملك الذي راح يصعب

واقسم لوساعدتني بعض ساعة ... لامسى الذي استبعدته وهو يقرب

وهكذا فكل شعره متوسط ، لا يعد من الطبقة العالية .

٢٢٣ – يحيى بن الحسين ابن المؤيد بالله (*)

١٠٤٤ – ١٠٩٠ هجـ

يحيي بن الحسين ابن الامام المؤيد بالله ، محمد ابن الامام القاسم بن محمد ، الشهارى الزيدي الطبيب .

ولد بشهارة سنة ١٠٤٤ هجـ على ماذكره ابراهيم ابن الامام فى طبقاته .

اخذ العلوم عن القاضي ، احمد بن سعد الدين ، وغيره من فطاحل العلماء ثم ارتحل الى صنعا ، حيث كان الامير بها عمـه السيد علي بن المؤيد بالله ، فزوّجه ابنته ، واعطاه الدار المعروفة الى الآن « بدار الحرير » واستقرفى صنعا ، واخذ عنه طلاب العلم ؛ ثم رغب في الطب ، فاخذه عن الحكيم المشهور ، محمد صالح الكيلاني ، نزيل اليمن ، والذي ذكرناه في الجزء الاول من معجمنا هذا في حرف الصاد ، حتى اشتهر المترجم في الطب وبرع وفاق اقرانه . ثم بعـد مدة عاد مريضاً الى بلده « شهارة » وتوفي فيها سنة ١٠٩٠ هـ ودفن هناك .

وكان له تلاميذ كثيرون مشهورون بالفضل والنبل ، منهم القاضي احمد بن

---

(١) كذاورد

(*) نسمة السحر المخطوطة

ناصر بن عبد الحق ، والاديب احمد بن محمد الآنسي ، والشاعر الشهير الحسن بن علي الهبل .

وكان المترجم متظاهراً بالتشيع لآل البيت عليهم السلام ، ومن اجل ذلك نسب اليه اعداؤه الرفض والثلب باكابر الصحابة رغم انه كان بريئاً من كل ماينسب له من هذا القبيل ولكن الحسد يعمل كل شيء

وله نظم بديع حسن ، وقد اورد له صاحب نسمة السحر نقلا عن ولده قوله:

لحا الله شخصاً يرتضي بمهانة ذليلا مهانا عاجز النفس حائرا
مرّج لشخص كل يوم وليلة وربك رب العرش يكفيك ناصرا

٢٢٤ — يحي بن حبش السهروردي (*)

٥٥٠ — ٥٨٦ هـ

يحي بن حبش (١) بن اميرك ، شهاب الدين السهروردي ، الامام العالم والفاضل الكامل .

ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٨٦ عن ٣٦ عاماً

كان اوحداً في العلوم الحكمية والطبية جامعاً للفنون الفلسفية ، بارعا في الاصول الفقهية مفرطاً في الذكاء جيد الفطرة فصيح العبارة ، لم يناظر احداً الا بزّه ولم يباحث محصلا ألا اربي عليه ، وكان علمه اكثر من عقله

قال الشيخ سديد الدين ، محمود بن عمر : لما فارقنا شهاب الدين السهروردي من الشرق وتوجه الى الشام ، اتى الى حلب وناظر بها الفقهاء ولم يجاره احد ، كثر تشنيعهم عليه ، فاستحضره السلطان الملك الظاهر ، غازي بن الملك الناصر صلاح الدين ، يوسف بن ايوب ، واستحضر الاكابر من المدرسين الفقهاء والمتكلمين

(*) عيون الانباء

(١) وفي عيون الانباء عمر ابو حفص وقد غلطه ابن خلكان في هذه التسمية

العظماء ، ليسمع مايجري بينهم وبينه من المباحث والكلام ، فتكلم معهم بكلام كثير وبان له فضل عظيم وعلم باهر ، وحسن موقعه عند الملك فقربه وصار مكينا عنـــده مختصاً به ، فازداد تشنيع اولئك عليه ، وعملوا المحاضر بكفره ، وسيروها الى دمشق الى الملك الناصر ، قالوا فيها : ان بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر ، وكذلك ان اطلق فانه يفسد اى ناحية كان بها من البلاد . فبعث الملك الى ولده كتابا فى حقه ، بخط القاضي الفاضل يقول فيه : ان هذا الرجل المدعو بالسهروردي لابد من قتله ولا سبيل الى اطلاقه .

فلما سمع السهروردي بذلك وايقن بالقتل وان لامناص لديه للافراج ؛ اختار ان يترك في مكان منفرد وحده وان يمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل به ذلك حتى مات جائعاً عطشانا ، وكان ذلك فى قلعة حلب . وقيل ان الملك الظاهر بعد ذلك ، اخذ ينتقم من الذين سببوا قتله بالنفي والحبس واخذ الاموال وقيل ان الشهاب لما تحقق قتله قال :

ارى قدمي اراق دمي   وهان دمي فها ندمي

ولما دفن بظاهر حلب وجد مكتوبا على قبره هذان البيتان :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة   مكنونة قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الايام قيمتها   فردها غيرة منه الى الصدف

وله شعر كثير يدل على عبقريته وقريحته الوقادة ، ومن ذلك قوله :

ابداً تحن اليـــكم الارواح   ووصالـكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم   والى لذيذ وصالـكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تـكلفوا   ستر المحبـة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء البائحين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم   عنـــد الوشاة المدمع السفاح
وبدت شواهـــد للسقام عليهم   فيها لمشكل امرهم ايضاح

خفض الجناح لكم وليس عليهم ... للصب في خفض الجناح جناح

فالى لقاكم نفسه مشتاقة ... والى رضاكم طرفه طماح

عودوا بنور الوصل من غسق الدجى ... فالهجر ليل والوصال صباح

وتمتعوا فالوقت طاب لكم وقد ... رق الشراب ودارت الاقداح

وله ايضاً قوله

فز بالنعيم فان عمرك ينفد ... وتغنم الدنيا فلست تخلد

واذا ظفرت بلذة فانهض لها ... لا يمنعنك عن هواك مفند

وصل الصبوح مع الغبوق فانما ... دنياك يوم واحد يتردد

وعدوك تشرب في الجنان مدامة ... ولتندمن اذا نهاك الموعد

كم امة هلكت ودار عطلت ... ومساجد خربت وعمر معهد

ولكم نبي قد اتى بشريعة ... قدماً وكم صلوا لها وتعبدوا

الى آخرها وهي طويله . وله من قصيدة قافية على غرار قصيدة ابن سينا في النفس يقول في مطلعها :

خلقت هيا كلها بجرعاء الحمى ... وصبا لمغناها القديم تشوقا

مؤلفاته

قيل ان له مؤلفات كثيرة ولكن لم نعثر الاعلى ـ التلويحات اللوحية والعرشية ـ وكتاب الالواح ، وكتاب المقاومات ، وهيا كل النور ، وكتاب المعارج ، وكتاب المطارحات ، وكتاب حكمة الاشراق .

٢٢٥ ـ يحيى بن يحيى ابن السمينة (*)

٠٠٠ ـ ٣١٥ هـ

يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة القرطبي ، قدم المشرق ودخل بغداد والقاهرة

(*) معجم الادباء للحموي ج ٢٠ ص ٤٠ ، معجم الاطباء ، عيون الانباء

ثم انصرف الى بلده

وكان بارعاً في النحو، واللغة، والاخبار، وعلوم الادب والشعر والعروض عالماً بالحديث والفقه والجدل، عارفا بالطب والرياضة والنجوم، وكان يميل الى الاعتزال، مات بعد انصرافه من المشرق سنة ٣١٥ هج

وذكره ابن ابي اصيبعة بمثل ذلك في تاريخه، نقلا عن القاضي، صاعد بن احمد بن صاعد في كتابه « التعريف » في طبقات الامم، وكلاهما لم يذكر اله شعرا

وقال في معجم الاطباء: كان متصرفا في ضروب العلم، متفننا في الاداب ورواية الاخبار، مشاركا في الفقه والرواية وعقد الشروط، بصيراً بالاحتجاج والكلام، نافذاً في معاني الشعر وعلم العروض والتنجيم والطب

٢٢٦ — يعقوب بن اسحق الكندي (*)

١٨٨ — ٢٥٨ هج

يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث ابن قيس بن معدي كرب الكندي، فيلسوف العرب، واحد ابناء ملوكها، فرع الدوحة الكندية وسليل امرآء الجزيرة العربية. كان ابوه اسحق ابن صباح اميراً على الكوفة لعهد ثلاثه من الخلفاء العباسيين. وهم المهدي والهادي والرشيد، وتنتهي سلسلة اجداده الى يعرب بن قحطان، وبينهم الاشعب بن قيس من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله. وكان قيس بن معد يكوب ملكا على جميع كندة، وهو الذي مدحه الاعشى بقصائده الاربع المشهورة، التي

اولاهن — لعمرك ماطول هذا الزمن

والثانية — رحلت سمية غدوة اجمالها.

والثالثة — أأزمعت من آل ليلي ابتكارا.

(*) عيون الانباء، تاريخ الفلسفة في الاسلام، تاريخ الحكماء للقفطي

والرابعة ـ أتهجر غانية ام تلم .

ومن اجداده معد يكرب الشهير وقد كان ملكا على بنى حارث في حضرموت ومعظم اجداد الكندي كانوا ملوكا في المشقر واليمن واليمامة والبحرين.

ونقل القفطي عن ابن جلجل الاندلسي ، ان الكندي كان بصريا ، وكانت له هناك ضيعة ، فقد نزل بها ثم انتقل الى بغداد ، وتخرج في مدارسها بعد مدارس البصرة ، وكان عالما فى الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم . وقيل انه يملك جانبا من علوم الاغريق والفرس ، ويعرف حكمة الهنود ، وكان عالما باليونانية . ولاجل هذه المعرفة فقد انتدبه المأمون فى جملة من اختارهم لترجمة مؤلفات ارسطو وغيره ، فكان الكندي في طليعتهم ومقدمة الشارحين منهم .

وله من المعالجات العجيبه ، وخوارق الفن المدهشة ، شيء كثير نقله عنه المترجمون والمؤرخون .

قال القفطي في تاريخه : ان تاجراً كبيراً كان في جوار الكندي ، وكان يزرى به ويطعن عليه ، فمرض له ولد بالسكتة فجمع له الاطباء من البلادوالاطراف ولكنهم عجزوا عن علاجه لخطورة علته ، فقيل له : انت في جوار الحكيم ، وهو فيلسوف زمانه واعلم الناس بعلاج هذه العلة ، فلو قصدته لو جدت عنده ماتحب . فقصده خجلا ، فاجابه عجلا ولما اخذ مجسه ، دعى تلاميذه الحذق بضرب العود ، وامرهم ان يديموا الضرب عند رأسه ، فاخذوا يضربون ، وهو آخذ بمجس الغلام ، وقد اخذ نفسه يمتد ونبضه يقوى ويرجع اليه شعوره شيئاً فشيئاً ، الى ان تحرك ثم جلس وتكلم ، هذا والتلاميذ يضربون بلا فترة ، فقال الكندي للتاجر : سل ابنك عن علم ماتحتاج الى علمه ، ممالك وعليك ، واثبته فجعل يسأله وهو يخبره والتاجر يكتب ، فلما اتى على جميع مايحتاج اليه ، غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربون عليها وفتروا ، فعاد الصبي الى الحالة الاولى ، فسأل التاجر الكندي ، ان يامرهم بمعاودة

الضرب ، فقال : هيهات . انما كانت صبابة قد بقيت من حياته ، ولا سبيل لي ولا لاحد من البشر الى زيادة مدة من انقضت مدته اذا استوفى الاجل المحتوم له.

وهكذا قد شوهد له من امثال هذه الغرائب في الفن والمعاجز الطبية مالو جمعت لكانت مجلداً ضخماً .

ومن غرائب ذكائه ماذكره ابن حجة الحموي في كتابه « ثمرات الأوراق » وذلك انه حضر يوماً مجلس (احمد بن المعتصم) وقد دخل عليه ، ابو تمام ، فانشد قصيدته السينية المشهورة ، فلما بلغ الى قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الكندي : ماصنعت شيئا . قال له : كيف ؟ قال مازدت على ان شبهت ابن امير المؤمنين بصعاليك العرب ، وايضا فان شعراء عصرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ، الا ترى الى قول العكوك في ، ابي دلف » .

رجل ابرّ على شجاعة عامر   باساً وغبر في محيا حاتم

فاطرق ابو تمام قليلا ثم انشأ يقول :

لاتنكروا ضربي له من دونه   مثلا شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره   مثلا من المشكوة والنبراس

ولم يكن هذان البيتان من القصيدة بل ارتجلهما ابو تمام بعد سماع قول الكندي فيه فتزايد العجب منه ، ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل ، فاستصغر الممدوح منه ذلك ، فقال الكندي : ولّوه فانه قصير العمر ، لان ذهنه ينحت من قلبه . وقد يكون ظهرت له دلائل من شخصه في ذلك الوقت على قرب اجله .

حياته

لم يمكننا ان نحيط بحياة الكندي كما هي ، اذ لم يخلف له ترجمة في كتاب اورسالة ، ولم يذكر له المؤرخون الاقدمون الا النزر القليل ، ولكن ملاحظة بعض مؤلفاته واستعراض حالات عصره الذى عاش فيه ، توضح لنا شيئا قليلا عن

حياته ، فقد عاش في المائة الثالثه من الهجرة في كنف المأمون والمعتصم والمتوكل ، ومرح في تلك القصور في ظل نعم هؤلاء الخلفاء ومما يفهم ان عصر المأمون كان له خير العصور لما جبل عليه ذلك الخليفة من حب العلم والعلماء والحكماء ، وتقديمه اياهم ، واغداقهم بالخير والمال ، مضافا الى ان الكندي كان ينتاب الخلفاء بالتطبيب ويخدمهم بالتوقيعات الفلكية دون التنجيم ، لانه كان يبغضه ويكرهه وينفر الناس منه . وهكذا فقد كان في راحة وهناء حتى شطر من ايام المتوكل .

قال ابو جعفر ابن يوسف ، في كتابه (حسن العقبى) عن ابي كامل شجاع ابن الحاسب : كان في عهد المتوكل اخوان شريران وهما محمد واحمد ، ابنا موسى بن شاكر ، وكانا يكيدان لكل من ذكر بالتقدم في علم اومعرفة ، فلما ذاع صيت الكندي ، غاضهما ذلك ، وارادا الوقيعه به لدي المتوكل ، وكان في بلاط الخليفة نصير للكندي قوى يدعى « سند بن علي » فباعداه عن الخليفه بكل صورة وحيلة ، واشخصاه الى مدينة السلام ، فلما خلالهما الجو ، دبرا على الكندي مكيدة ، نفرا عليه الخليفه المتوكل ، فغضب عليه ، واراد به الوقيعة ، فوجهها الى داره فاخذا كتبه باسرها ، وافرداها في مكتبة خاصة ؛ سميت (المكتبة الكندية) وبعد مدة غضب عليهما المتوكل ، اى على احمد ومحمد لخيانة صدرت منهما في المال عندما وكلهما على حفر نهر « الجعفري » فتوسلا لدى طريدهما (سند بن على) فاشترط عليهما ارجاع كتب الكندي ، فارجعاها واخذ امنه وصلابها ، ومات المتوكل بعد ذلك بشهرين .

ويؤخذ من مختلف اقوال المؤرخين انه عاش سبعين سنة ومات في سنة ٢٥٨هج

قال ابو معشر الفلكي : كانت علة يعقوب بن اسحق الكندى في ركبته ، وكان يشرب لها الشراب العتيق فيصلح ولما ثاب من الشراب ، وعوضه بشراب العسل لم تنفتح له افواه العروق ، ولم يصل الى اعماق البدن شيء من الحرارة وسرى الى الدماغ ، فمات الرجل من جراء ذلك ، وكان يعلم بذلك ومارجع الى الشراب لتوبته

اخلاقه وصفاته

يذكر عن الكندي انه كان بخيلا الى درجة الشح ، وله في ذلك اقوال مشهورة ومأثورة ، كما انه كان يحب العزلة والانقطاع عن الناس ، لاسيما في اواخر ايامه ، وان كان بعضهم ينسب ذلك الانقطاع الى ماقاساه من المحن والاضطهاد في زمن المتوكل من مناوئيه . وكان شريف المبدأ ، سامي الغرض ، يحب الخير ، ويبتعد عن الشر ، ويجامل عدوه مهما امكنه حباً للسلامة والراحة . ومما يدل على ذلك ؛ ماقله ابن النديم البغدادي في (فهرسته) : وهو ان ابا جعفر بن محمد البلخي ، كان من الد اعدائه ، وممن يغرى به العامة ، ويشنع عليه لاخذه بعلوم الفلاسفه ولما رأى الكندي منه ذلك ، اراد ان يقطع عن نفسه شره بما ينفع به ابا جعفر ولا يضره ، فدس عليه من يحسن له النظر في علم الحساب والهندسة فاشتغل بهما ، ولكنه لم يوفق فيهما ، فعدل عنهما الى علم احكام النجوم ؛ فانقطع شره عن الكندى بنظره في هذا العلم ، ثم افضى به شغفه في هذا العلم الى التدريس عند الكندي نفسه ، ففسح له المجال ، واقبل على تدريسه بكليته حتى استفاد كثيرا ؛ واصبح من اخص اصحابه بعد ان كان من الد اعدائه قبلا .

مؤلفاته

ان للكندى مؤلفات كثيرة لا يسعها هذا المختصر ، ذكرها اكثر المؤرخين كالقفطي وابن ابي اصيبعه ، وهي تكاد تشمل ساير العلوم عدا العلوم الدينيه كما ذكر ذلك صاحب تاريخ الفلسفة في الاسلام . فقد صنف في الفلسفة وعلم السياسة والاخـــلاق ، والارثماطيقي ، وعلم الكريات ، والموسيقى ، والفلك ، والجغرافيا والهندسة ، ونظام الكون ، والتنجيم ، والطب ، والنفسانيات ، والمعادن ، والكيميا ورسالة في خدع الكيماويين ، وغيرها كثير . غير ان الموجود منها الآن ثمانية وهي:

كتاب الآلهيات لارسطو وكلام في الربوبية ـ رسالة في الموسيقي ـ رسالة في الادوية المركبة ـ كتاب اقسام العقل الانسي ـ الجوامع الفكرية ـ الفلسفة

الاولى ـ رسالة في علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو ـ اختبارات الايام وغيرها

كلماته المأثورة

نقل عنه: انه قال في وصية له: ليتق الله تعالى المتطبب فليس عن الانفس عوض، كما يحب ان يقال عنه انه كان سبب عافية العليل فليحذر ان يقال عنه انه كان سبب موته

ونقل عنه ابن بختويه انه قال: العاقل يظن ان فوق علمه علماً فهو ابداً يتواضع لتلك الزيادة، والجاهل يظن انه قد تناهي فتمقته النفوس لذلك.

وقال في وصية لولده: يابنى الاب رب، والاخ فخ، والخال وبال والولد كمد، والاقارب عقارب، وقال فى مدح البخل: ان قول لا يصرف البلاء، وقول نعم يزيل النعم، وسماع الغناء برسام حاد؛ لأن الانسان يسمع فيطرب، وينفق فيسرف ويفتقر فيغتم فيعتل فيموت.

وقال لولده ايضا في البخل: يابنى الدينا رمحموم، فان صرفته مات، والدرهم محبوس، فان اخرجته فر، والناس سحرة. فخذ شيئهم واحفظ شيئك، ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة، فانها تدع الديار بلاقع.

ومن اقواله في البخل: من شرف البخل، انك تقول للسائل (لا) وراسك الى فوق، ومن ذل العطا انك تقول « نعم » وتميل برأسك الى اسفل.

تلاميذه

من المتفق عليه أن تلاميذ الكندي كثيرون وقد غفل التاريخ اكثرهم. ولكن المعروفين منهم ستة نفر، وهم حسنويه، ونفطويه، وسلمويه، وحمدويه. واحمد بن الطيب السرخسي (١) ـ وابو معشر الفلكي (٢)

« ١ » وهو الذي قتله المعتصم سنة ٢٨٦ هج

« ٢ » هو جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ هج

ادبه وشعره

ان هذا الفيلسوف العظيم ، والحكيم الشهير، لم تقف به همته العالية ، وروحه الشفافة وطبعه الرقيق الى حد دون ان ترقى حتى الى الادب ، فيحوز به قصب السبق على اقرانه . وقدروى عن ادبه ونظمه المؤرخون الشيء الكثير ونحن نذكر لك ماعثرنا عليه . قال الاستاذ (محمد لطفي جمعه) في تاريخ الفلاسفة ، عن العسكري ، في كتاب (الحكم والامثال) وابن ابي اصيبعة بهذا السند عن السرخسي قوله :

اناف الذنابي على الارؤس ... فغمض جفونك اونكس
وضائل سوادك واقبض يديك ... وفي عقر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو ... وبالوحدة اليوم فاستانس
فان الغنى في قلوب الرجال ... وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من اخي عسرة ... غنى وذى ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت ... على انه بعد لم يرمس
فان تطعم النفس ماتشتهي ... تقيك جميع الذي تحتسي

وذكر ابو محمد عبد الله بن قتيبة فى (فرائد الدرر) عن بعض تلامذته قوله :

وفي اربع مني حلت منك اربع ... فما انا ادري ايها هاج لي كربي
أوجهك في عيني ام الطعم في فمي ... ام النطق فى سمعي ام الحب فى قلبى

قال ابن ابي اصيبعه : انهما ليستا للكندي ، وانما انشدتا امامه ، فاستحسنهما وقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا لاخامس لها ابدا

وذكر له ابن نباته ، محمد . فى كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون في وصف قصيدة قوله :

تقصر عن مداها الريح جريا ... وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد ... فحث بها المطايا والمدام

وذكر ايضا قوله :

هجرت في القول لا الا لعارضة　　تكون اولى بلا فى اللفظ من نعم

الى غير ذلك

٢٢٧ - يوسف بن عتبه الاشبيلى (*)

يوسف بن عتبه ابو الحجاج الاشبيلي ، ذكره صاحب نفح الطيب ، فى باب من رحل من الاندلسي الى الشرق فقال · ومنهم الاديب الطبيب ابو الحجاج الاشبيلي مطبوع في الشعر والتوشيح · قال ابن سعيد : اجتمعت به في القاهرة مراراً ، بمجلس الامير جمال الدين ، ابي الفتح موسى بن يعمور بن جلدك ، وفي غيره . توفي فى المارستان في القاهره وله شعر بديع منه قوله :

اما الغراب فانه سبب النوى　　لاريب فيه وللنوى اسباب

يدعو الغراب وبعد ذاك يجيبه　　جمل وتعوى بعد ذاك غراب

لاتكذبين فهـــذه اسبابه　　لكن منها بدأة وجواب

قال البستاني في دائرة معارفه : ان ابن عتبة احد المرتحلين من الاندلس الى المشرق وكان قد فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود . واضطرمت بقتله الاندلس ناراً ، ولما قدم مصر هارباً من تلك الاهوال ، تغيرت عليه البلاد ، وتبدلت به الاحوال ولما سئل عن حاله قال :

اصبحت في مصر مستضاماً　　ارقص في دولة القرود

ياضيعة العمر فى اخــير　　ـــع النصارى او اليهود

بالجـــد رزق الانام فيهم　　لا بذوات ولا جـــدود

لاتبصر الدهر من يراعي　　معنى قصيد ولا قصود

اود من لؤمهم رجوعا　　للغرب فى دوله ابن هود

الى غير ذلك من بديع النظم ورقيق الشعر وبما ذكرنا كفاية

(*) نفح الطيب ، دائرة معارف البستاني

٢٢٨ـ يوسف بن ابراهيم الداودي (*)

٧٣٣ ـ ٨٣٣ هـ

يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن داود ابن ابي الفضل بن ابي الفتيان الطبيب الملقب بجمال الدين الداودي.

مات في سنة ٨٣٣ هـ عن عمر ١٠٠ سنة ، وهو من اهل بيت كانوا من اشراف اليهود ، وممن يعترف لهم لدى عامة اليهود انهم من ولد النبي عليه السلام ولكن جده الاقرب اعنى ابا ابيه ، عبد الله كان قد اسلم ، وحسن اسلامه ، ومن اجل ذلك كانت اولاده ومنهم المترجم له من المسلمين .

برع جمال الدين هذا فى الطب . واشتهر بحسن علاجه ، ومعاجزه الطبية ، وباشر دهراً طويلا ، وعاشر الاكابر بما فيه من فضيلة وحسن محاضرة وجميل معاشرة ، وقد كان على كبر سنه يغتسل بالماء البارد فى الشتاء لاعتدال صحته وقوة مزاجه .

وكان اديباً كاملا شاعراً ، رقيق الطبع خفيف الروح ، لطيف الكلام ، ينظم الشعر ويجيده . ومن نظمه وقد سئل عن حاله فقال :

أسائل عن اخباركم فيسرني سماعي الذي ارجوه فيكم واطلب
اذا كنتم في نعمة وسلامة فما انا الا فيهما اتقلب

٢٢٩ ـ يوسف ابن ابي سعيد السامري (*)

. . . ـ ٦٢٤ هـ

يوسف بن ابي سعيد بن خلف السامري . كان متقنا لصناعة الطب ، ممتازا في العلوم الحكمية ، مع ادب جم وفضل وذكاء . وكان محسناً كثير الاحسان ، فاضل

(*) الضوء اللامع للسخاوي ، العقود للمقريزى

(*) محبوب القلوب وغيره

النفس ، صائب الحدس ، وقد حاول من شدة ذكآئه وغزارة علمه تطبيق العلم على العمل ، وهذا مما لا يتسنى لكل طبيب ، حتى اشتهرت عنه معالجات عجيبه وحذق منفرد فى تشخيص الدآء والدوآء .

تلمذ فى الطب على الحكيم ابراهيم السامري المعروف (بشمس الحكمآء) وعلى اسماعيل ابن ابي الوتار الطبيب وعلى مهذب الدين ابن النقاش ، ودرس الادب على الشيخ تاج الدين الكندي ، حتى برع وعرف بحسن العلاج ، وجودة المداواة ، وبرز فى الادب والشعر .

قال قطب الدين اللاهجي فى (محبوب القلوب) : ومن حسن معالجاته انه قد عرض الملك ابي بكر ابن ايوب ، وعن ابن ابي اصيبعة : بل عرض لاخت الملك المدعوة (ست الشام) مرض ذو سنطاريا كبدية (الاسهال الكبدي) دموية فعالجها الاطباء بالادوية المشهورة ، فلم يفلحوا ولم تبرأ ، ولما احضر مهذب الدين هذا وجس نبضها امرها بالكافور القيصوري ، وسقاها اياه بالحليب وبزر الباقلا المحمصة وشراب الرمان والصندل ، فقل الدم وسكنت حرارة الكبد ، ثم كرره في اليوم الثاني والثالث فبرأت وعوفيت تماماً ، بعد ان عجزت الاطبآء من علاجها وايقاف اسهالها . وله من هذا القبيل الشيء الكثير .

وقد خدم بصناعته هذه ، الملك عز الدين فرخشاه بن ايوب ، ثم ابنه مجد الدين بهرام شاه ، واقام عنده فى بعلبك مدة طويلة ، واخيراً استوزره ، فكان لا يتعدى رأيه ، لما كان يرى من حسن ادارته ، وصفآء نواياه ، حتى قال الشيخ شهاب الدين فيه وفى الملك شعراً وهو قوله :

الملك الامجد الذي شهدت ... له جميع الملوك بالفضل
اصبح في السامرى معتقدا ... ما اعتقد السامري فى العجل

ولما بلغ به الامر الي هذا الحد من الرفعة ، واعتماد الملك ، قصده اقاربه السمرة ، فقدمهم وانالهم الوظائف والرواتب الضخمه ، واطلق لهم العنان في الحكم ، فعاثوا

في بعلبك فساداً حتى ضجرت منهم الناس ، ولم يقدر احد على ردعهم ، وعندما بلغ ذلك مسامع مجد الدين ، ولاموه بعض خواصه على هذا التفويض المطلق ، قبض على السامري وجميع اقاربه ، واستنزف منهم جميع اموالهم بعد ان اعتقلهم ، حتى لم يبق عنده ولا عند احد من ذويه واقاربه شيء من المال ، ثم اطلقه فغادر بعلبك الى دمشق وبقي فيها حتى توفي سنة ٦٢٤ هج كما ذكره قطب الدين اللاهجي .

وكان من شعره وقد قاله في الحبس او عند اطلاقه قوله :

ان ساءني الدهر يوماً   فانه سرّ دهرا

وان دهاني بمالي   فقد تعوضت اجرا

الله اغنى واقنى   والحمد لله شكرا

وله من المؤلفات : كتاب شرح التوراة فقط .

٢٣٠ - يوسف بن موراطير (*)

يوسف بن موراطير ابو الحجاج . كان فاضلا في صناعة الطب ، خبيرا بها ، مزاولا لاعمالها ، محمود الطريقة حسن الراى ، عالما بالامور الشرعيـة ، اديبا شاعرا محبا للمجون ، كثير النوادر ، وهو من شرق الاندلس في قرية قريبه من بلنسية .

خدم بطبه المنصور ابا يوسف يعقوب ، ثم ولده الناصر ابا عبد الله محمد بن يعقوب ثم ابنه ابا يعقوب ، يوسف المستنصر ، وعمر طويلا ، وكان محترما معززاً عند هؤلاء الملوك ، حتى مات بمرض النقرس فى مراكش فى دولة المستنصر .

وكان حسن النظم فمن ذلك قوله : وقد كان ذات يوم مع الناصر فى تونس وكان قد حدث في العسكر غلاء ، قلّ معه الشعير ، فقال فيه موشحا ، جاء في ضمنه هذا البيت :

ماالعيد في حلة وطاق   من الحرير   وانما العيد بالتلاقي   مع الشعير

(*) عيون الانباء وغيره

وقد تخرج عليه جملة من الاطباء المعروفين ، منهم محمد بن سحنون الندرومي ، وابو العباس احمد ابن ابي عبد الله الاشبيلي ، وغيرهما

٢٣١ – يوسف بن هلال الصفدي (*)

٠٠٠ – ٦٩٦ هـ

يوسف بن هلال ابن ابي البركات ، جمال الدين الحلبي ، ابو الفضائل الطبيب الصفدي

كان طبيباً اديباً متدينا رؤفا ، فيه تعبد واعتكاف في شهر رمضان ، وكان يوثر الفقراء فيطبهم ويبرهم بالشراب والطعام والدواء .

وله نظم بديع وشعر رقيق فمن نظمه قوله :

بكمال حسنك يامخاطب ذاتي ... بلوائح اخفى من اللحظات
انعم علي بترك ماهو عكس ما ... قد جل عن حصر وعن كلمات
ياقهوة مني الي شربتها ... عندي اذا خطرت على الاموات
ارتجت الارضون ثم تشققت ... عن كل ميت فيه كل حياة .
هي روح سر السر فهي اذا بدت ... تستغرق الارواح في الاوقات
من دونها موت وفيها عيشة ... فالروح اول نقدة يا آت
ماذا اقول وما اصرح واصفا ... قد قلت في الحركات والسكنات
فوصفت ظاهرها بما اظهرته ... فالسر في سري ولا بصفات (١)

قال الذهبي : كان اديباً عالماً ، له ارجوزة في الخلاف بين ابي حيفة والشافعي ؛ وقد توفي في القاهرة يوم ١٣ محرم سنه ٦٩٦ هـ .

وهو ابو الطيب الشاعر ، احمد بن يوسف الصفدي المتقدم ذكره في حرف الالف من كتابنا هذا .

« * » معجم الاطباء عن اعيان العصر

« ١ » هكذا وجدت هذه الابيات فاثبتها كما هي والمعنى مع ذوق القاري

الى هنا ينتهي الجزء الثاني من معجم ادباء الاطباء مختتماً بحرف الياء وقد جمعت في هذين الجزئين كلما عثرت عليه وامكنني تحصيله بعد الجهد الذي لا يقدره الا الباحثون الذين تهمهم هذه الناحية من التاريخ والادب ، خدمة للعلم والادب والتاريخ ، مستمداً من الله التوفيق والسداد ،

والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين

وفي النية، ان شاء الله تعالى اصدار الجزء الثالث باسم (المستدرك) اجمع فيه تراجم اطباء عصرنا الادباء الذين لم اكن احصل على تراجمهم عند طبعي للجزئين الاول والثاني من هذا المعجم ، وسنباشر بطبعه بعد اكماله وبعد ان يمد الاطباء الادباء انفسهم يد المساعدة ويرسلوا لنا تراجمهم المفصلة من جميع الأقطار العربية حيث يمكننا السير الى الغاية ، ومن الله نستمد المساعدة ولله ولي التوفيق

جدول الخطأ والصواب

صفحه	سطر	الخطأ	الصواب
١٣	٢١	نظرة	نضرة
٣٣	٠٩	عنعدي	عندي
٣٣	١٢	القف	القصد
٣٤	٠٨	موقفها	موافقها
٣٨	٠٥	مضاما	مضافا
٤٠	١٨	كثيرا	كثيرة
٤١	٠٩	بمقبرة القراديس	ودفن في مقبرة القراديس
٤٢	٠٥	رغائم	غنائم
٤٦	١٠	وقيتضي	ويقتضي
٥٧	٢٠	آ « الية اللغة بعراب »	« اداب اللغة العربية »
٥٩	٠٢	مبلح	مليح
٦٠	٠٦	اللام	اللامي
٦٠	١٧	ليلاد	ليلا
٦٠	٢٠	الافودي	الادفوي
٦٣	٠٤	غص	غصن
٧٦	١٥	بشيء	لشيء
٧٨	٠١	خالي	حالي
٨٨	٠٨	٣١٧	٧١٣
٩٣	٠٥	ياحرقة بين	ياحرقة البين
٩٨	١١	السوق	الشوق
١٠٦	٢٠	طيبا	طيب

جدول الخطأ والصواب

صفحه	سطر	الخطأ	الصواب
١١٠	٠٠٨	فان	ان
١١٠	٠١٢	رده	زده
١١٠	٠١٩	كرم	كردم
١٢٨	٠١٢	يرتحى	يرتجى
١٣٣	٠٠٣	انثر	النثر
١٤٤	٠١٨	غرآ	عزّ
١٥٧	٠٠٧	البلاد	بلاد
١٦٥	٠١٩	هذه هو الصلاة	هذا هو الصلات
١٦٩	٠١٤	الشخصى	الشخص
١٧٢	٠٠٩	يكفى	يكتفي
١٧٢	٠١٨	مرضى	مرض
١٨٦	٠١٧	شعت	اشعث
١٨٧	٠١١	غصاره	غضارة
١٨٧	٠١٨	يحيي بن ابراهيم	يحيي بن احمد بن ابراهيم
٢٠٢	٠٠٩	السهروري	السهرودي
٢٠٣	٠٠٥	اتى ناحية	اية ناحية
٢٠٣	٠٢١	تباع	تباح
٢٠٦	٠١١	عند	عنه
٢١٦	٠١٨	حيفة	حنيفة

فهرس المعجم

فهرس المعجم

فهرس المعجم